أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م

# الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

AL-Waei AL-islami

العدد (٥٩٤) جمادى الآخرة ١٤٣٦ هـ / مارس - أبريل - ٢٠١٥م

## الإسلام بريء من العنف

هيروشيما

الوطن العربي

› تنمية جماليات الذوق الرفيع

› العالم الجاهل في الفكر الإسلامي

› ألف اختراع واختراع في الكويت

مجانا مع العدد: براعم الإيمان

info@alwaei.com

www.alwaeikuw.net

مجلة الوعي الإسلامي

# الافتتاحية

## الانحراف

إذا تأملنا واقع الأمة اليوم، وما تمر به من المحن والابتلاء، نلاحظ أن هناك مفاهيم غائبة عن الكثير، فقد حرص الإسلام كل الحرص على استقرار حياة الناس، والحفاظ على أمنهم وأرواحهم.

وهذا ما أوصى به النبي ﷺ في خطبة الوداع من الإرشادات القويمة، والتعاليم الحكيمة، والنصائح العظيمة.. والكتاب العظيم الذي بين أيدينا قد بينها وفصلها. لذا، فإن الاعتناء بدراسة السيرة النبوية مهم للمسلمين ولغيرهم، لأنها التفسير الواقعي والتطبيق العملي لهذا الدين، وكيف استطاع النبي ﷺ أن يحول العرب من أمة أكلتها الثارات والأحقاد إلى أمة وصفها الله بالخيرية، واستحقت الشهادة العالمية.

هذا وإن أسباب الخلل الواقع عائدة لغياب هذه الحقائق، وإن الجهل بها أوقع في خلل كبير، من الاستعجال والتنازل والقنوط والعزلة، والانحراف عن المنهج وتأصيل العصبية والحزبية، والخلط بين انتصار الأشخاص وبين انتصار الأمة، وظهور الحق والحقيقة.

فالإسلام الذي جاء به نبي الرحمة ﷺ قد تولى تحديد المرتبة العظمى وإقامة المعالم، وإنارة السبل، ودعا الناس إلى الأخذ بها والانتفاع بثمراتها العاجلة والآجلة، رسم للناس الطريق القويم، والمنهاج المستقيم، الذي يكفل لهم السبق العظيم، فجاء بالشرائع والأحكام الكفيلة بأن تقيم مجتمعا إنسانيا فاضلا، إذا التزموا بتطبيقها، وترك المجال الواسع للاستزادة من النظم الحضارية.

فالعدل نظام كل شيء، والإنصاف عَزَّ في هذه الأيام، وسيطر مكانه الخلاف، فصارت الحاجة ماسة إلى المنهج السليم، والقسطاس المستقيم، لنزن الأمور، ونبتعد عن الجور، وقد تتحول الاختلافات الفكرية والسياسية إلى عصبية، تسود فيها القيم السلبية، من التعصب والتنازع وسفك الدماء، فتلغي العقل، وتأمر بالكره والعداوة.

إن قادة المجتمع والعلماء والعقلاء وصناع القرار هم من يوجه المجتمع للرقي والألفة والمؤاخاة ووحدة الكلمة، فلابد من دراسة علمية منهجية، توضح الرؤية، وتبين الطريق، وتتكاتف الجهود لكشف الأسباب والعودة إلى المجد.

**رئيس التحرير**
**فيصل يوسف العلي**

# الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٥٩٨ | جمادى الآخرة ١٤٣٦ هـ
العام الثاني والخمسون
مارس- ابريل ٢٠١٥ م

**رئيس التحرير**
فيصل يوسف العلي

**سكرتير التحرير**
سليمان خالد الرومي

**التحرير**
عبادة السيد نوح
د. الطاهر خذيري
هدايت الله نثار أحمد

**الإخراج والجرافيك**
أبورواش زكي محمد
فاطمة الجندي

**الإشراف الفني**
الشركة العصرية
للطباعة والنشر والتوزيع



**المراسلات**

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الالكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net



**المجلة غير ملزمة**
بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.
والمقالات لا تعبر بالضرورة
عن رأي المجلة.

## في هذا العدد


٨ ظاهرة التطرف وممارسة الإرهاب

٢٠ تنمية جماليات الذوق العام

٤٦ النقود في التاريخ الإسلامي

٨٦ ألف اختراع واختراع في الكويت

**التوزيع**

وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٤٩١٥١٠٦- ٢٤٩١٥١٠٧ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٩١٥١٠٩ (٠٠٩٦٥)

- مصر - القاهرة - شارع الصحافة - جريدة أخبار اليوم - ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤-(٠٠٢٠٢)
- اليمن - صنعاء - الدار العربية للنشر والتوزيع ت - ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)
- لبنان - شركة نعنوع الصحفية - ت: ٦٥٣٢٥٩(٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠
- سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ ( ١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية
- مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة - ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر - الدوحة - ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- ماليزيا- شركة - المصطفى ميديا جروب سندرين برحد - ت- ٣٣٧١١٩٦٦ (٠٠٦٠٣)
- الجزائر - شركة ام بي سي ت: ٣١٩٠٩٥٩٠(٠٠٢١٣)
- تونس - الشركة التونسية للصحافة ت: ٧١٣٢٢٤٩٩ (٠٠٢١٦)
- المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

**الأسعار**

•الكويت : ٥٠٠ فلس •السعودية: ٥ ريالات • البحرين : ٥٠٠ فلس • قطر : ٥ ريالات • الإمارات : ٥ درهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة •الأردن:دينار واحد • مصر : ٢ جنيه •اليمن : ١٠٠ ريال •لبنان: ٢٠٠٠ ليرة • سوريا: ٣٠ ليرة • المغرب : ١٠دراهم • الجزائر: ٤ دينار جزائري •تونس: دينار واحد تونسي • المملكة المتحدة: ١,٥ جنيه استرليني • باقي دول العالم : ٣ دولارات أمريكي أو مايعادلها.

# المحتويات


| | | |
|---|---|---|
| ٣ | **الافتتاحية/** الانحراف | فيصل يوسف العلي |
| ٦ | **قضايا/** مسؤولو الأوقاف: الإسلام بريء من كل عنف مشين | التحرير |
| ٨ | **فكر/** ظاهرة التطرف وممارسة الإرهاب | د. أحمد حمد أحمد |
| ١٢ | **معرفة/** اغتيال العلم.. ووأد المعرفة | د. خالد راتب |
| ١٤ | **حوار/** الخطاط مصطفى عمري | إسلام أحمد |
| ١٨ | **علوم/** الكتابة الميكروسكوبية | د. عمرو عبدالعزيز |
| ٢٠ | **ملف العدد/** تنمية جماليات الذوق العام | د. آندي حجازي |
| ٢٤ | الذوق العام في حضارتنا | محمد شعبان أيوب |
| ٢٦ | سلبيات المجتمع في مرآة الشرع والفطرة السليمة | إسلام لطفي ومحمد عبدالعزيز |
| ٣٠ | الإسلام والذوق | إسلام عبدالتواب |
| ٣٢ | الفيومي: مفهوم «الإتيكيت» إسلامي | هالة عبدالحافظ |
| ٣٣ | **أعلام/** باي شو يي.. مؤرخ الصين الكبير | عبدالقادر رالة |
| ٣٤ | **تربية/** فضالة بن عبيد.. نموذج حي للتربية الإسلامية | د. مصطفى رجب |
| ٣٧ | **رثاء/** عبدالسلام الهراس في ذمة الله | التحرير |
| ٣٨ | **دعوة/** الرسول ﷺ.. داعيا ومعلما | السنوسي محمد |
| ٤٠ | **دراسات/** سرقة بطاقات الائتمان الإلكترونية في التشريع الجنائي الإسلامي | د. رضا عبدالحكيم |
| ٤٢ | العالم الجاهل في الفكر الإسلامي | د. مسعود صبري |
| ٤٦ | النقود في التاريخ الإسلامي | حواس سلمان |
| ٥٠ | **سيرة/** قراءة في حوادث الإساءة إلى نبينا محمد ﷺ | د. نبيل فولي |
| ٥٤ | **لغة وأدب/** القول المأثور في الصواب المهجور (٣١) | عبدالله أيت الأعشير |
| ٥٦ | اصفح الصفح الجميل | محمود توفيق |
| ٥٩ | نبع الحنان | حسين سباهي |
| ٦٠ | أمنية | مياسة النخلاني |
| ٦٢ | اللغة العربية من التحدي إلى رهان العالمية | السهلي عويشي |
| ٦٦ | **مقدمات الكتب/** تاج العروس.. من جواهر القاموس | التحرير |
| ٦٨ | **قضايا/** الجالية المسلمة ودورها في الدعوة بالغرب | محمد الدرداري |
| ٧٠ | **أسرة/** أحوال الطفل المهمل | د. حميد مسرار |
| ٧٤ | الغيرة عند الأطفال | صبحة بغورة |
| ٧٦ | وسائط ثقافة الأطفال وخصائصها | عبدالمجيد إبراهيم |
| ٧٨ | في منهجية الحوار مع الطفل | فاطمة عبدالرءوف |
| ٨١ | **تربية/** العودة إلى الكتاتيب | د. سوسن عبدالكريم |
| ٨٤ | **أقليات/** المسلمون المنسيون في جمهورية تتارستان | نجاح منصور |
| ٨٦ | **استطلاع/** ألف اختراع واختراع في الكويت | علاء عبدالفتاح |
| ٨٨ | **كنوز الذاكرة/** التعليم القروي في الكويت | عبدالحميد الصانع |
| ٩٠ | **النوازل/** الاتجار في العملات والصرف | د. محمود الكبش |
| ٩٢ | **ينابيع المعرفة** | تركي النصر |
| ٩٤ | **بريد القراء** | التحرير |
| ٩٨ | **مسك الختام/** حرية التعبير | جاك صبري شماس |


# كلمة العدد

## الحكمة والغلو لا يجتمعان

الحكمة، هي: فعل ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي؛ وقد قال الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ ﴾ (النحل:١٢٥)؛ أي: ادع، أيها المسلم، كل أحد على حسب حاله وفهمه، وقبوله وانقياده. ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل، والبداية بالأهم والأقرب إلى الأذهان، ولابد من الرفق واللين، كما قال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ (طه:٤٤)؛ فإن انقاد المدعو فبها ونعمت، وإلا فلينتقل معه إلى الدعوة بالموعظة الحسنة، وهي الأمر والنهي المقرونان بالترغيب والترهيب، وحين طبق الصحابة - رضي الله عنهم - الحكمة في دعوتهم؛ دخل الناس في الإسلام أفواجا، وانتشر دين الله في بقاع الأرض شرقا وغربا.

ومن أصول الحكمة مراعاة حال المدعوين؛ فأسلوب الدعوة مع الكبير والصغير والرجل والمرأة والمتعلم والجاهل والرئيس والمرؤوس؛ ليس أسلوبا واحدا، بل هو متنوع، يليق بكل واحد على حدة. كما أن من أعلى المراتب الدعوية دفع السيئة بالحسنة، فإن لها أثرا بالغا في قلوب المخالفين.

وأما الغلو، فهو: نقيض الحكمة في كل شيء. فالشرع جاء بتحريم الغلو في الأقوال والأفعال والاعتقادات، واستخدم أنواعا من الأساليب والدلالات في بيان ذلك؛ تارة بالنهي عنه، وتارة بالتحذير من مشابهة الكفار في الغلو، وتارة ببيان أن الغلو سبب للهلاك. ولقد اتفق فقهاء الشريعة على تحريم الغلو بجميع صوره وأنواعه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ (النساء:١٧١).

وقال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس، إياكم والغلو في الدين؛ فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين» (رواه النسائي).

**التحرير**


**الاشتراكات**

- داخل الكويت: للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- دول العالم: للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- الدول العربية: للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

# مسؤولو الأوقاف:
# الإسلام بريء من كل عنف مشين

التحرير

علا صوت التنظيمات الإرهابية أخيرا، وظهرت صورها القبيحة في بعض وسائل الإعلام لتفزع الآمنين وتثير المشاعر وتقلب القلوب على أمتنا الإسلامية.

وقد يظن الجاهل أنه يحقق هدفا ذا قيمة أو منفعة لأمة عظيمة، إذ يتبنى هذا النهج الذي نبذه الدين، وحذر منه الرسول الكريم ﷺ والصحابة والتابعون.

أفلا يدرك أولئك المتورطون أن الإسلام منهم براء، وأن تعاليمه السمحة بعيدة عنهم بعد الأرض عن السماء، وأنهم بأفعالهم الدنيئة هذه يضرون ولا ينفعون، ويخدمون سياسات الحاقدين على الدين، ويبررون للماكرين أفعالا خبيثة أخرى تعتدي على المسالمين في أمتنا الإسلامية؟!

وزارة الأوقاف في دولة الكويت لم تألوا جهدا في محاربة مثل هذه الأفكار المتشددة.

يقول الوكيل المساعد للشؤون الثقافية في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت مهندس داود العسعوسي: «هذه التنظيمات لا تمت إلى الإسلام بأي صلة، بل هي دخيلة عليه؛ لأنها تحمل شعار الغلو الذي حرمه

م. داود العسعوسي

الإسلام. ومنهج هذه التنظيمات هو منهج الخوارج قديما في تكفير المجتمعات المسلمة، واستحلال الدماء، وزرع الفتن بين أفراد الأمة، وعدم البيعة لولاة الأمر.. وغير ذلك، مما يتصادم مع عقيدة الإسلام الصافية ومنهجه السمح. كفى الله الأمة شرهم ورد عنها كيدهم».

ويؤكد أن مثل تلك التنظيمات المتطرفة قد تؤثر على قلوب الشباب بما تروجه من شبهات من جهة، واستغلال عواطفهم وغيرتهم على الإسلام من جهة أخرى، وهذا ولاشك يشكل خطرا كبيرا على أولادنا وشبابنا. ولذلك، كل الجهات الرسمية في الدولة تعمل على مواجهة هذه التنظيمات والتحذير منها، ووزارة الأوقاف لها في ذلك قصب السبق؛ حماية لجناب الشريعة، ودفاعا عن أصول الدين، ووقاية للشباب، وذلك عبر إقامة المؤتمرات التوعوية والمحاضرات التوجيهية والاتصال المباشر معهم في المساجد أو المدارس، أو من خلال حسابات الوزارة في مواقع التواصل الاجتماعي، بالإضافة إلى عمل الإصدارات المتنوعة التي تبين حقيقة الدين الإسلامي وشذوذ مثل هذه التنظيمات عن العقيدة الصحيحة، محذرة الشباب من الانخراط معهم أو التأثر بهم، وقد صدرت فتاوى من الوزارة بهذا الشأن.

فيما يقول الوكيل المساعد للشؤون الإدارية المهندس فريد عمادي إن التكفير والعنف والإرهاب ظاهرة قديمة جديدة؛ تطل برأسها بين الحين والآخر عبر تاريخ الأمة الإسلامية، وبدأ التكفير منذ أن ظهر الخوارج في الصدر الأول من الإسلام، بل ظهرت بوادرهم في عهد النبي ﷺ حينما وزع النبي ﷺ غنائم حنين وأعطى مسلمة الفتح مائة مائة من الأبل ولم يعط المهاجرين والأنصار منها شيئا، فجاء رجل إلى رسول الله ﷺ

يقال له ذو الخويصرة مخاطبا النبي ﷺ بسوء أدب فقال: اعدل يا محمد، فإنها قسمة ما أُريد بها وجه الله، فلم يناد النبي ﷺ بقوله: يا رسول الله، وإنما قال: يا محمد، ثم اتهم نية النبي ﷺ حتى كاد خالد بن الوليد يضرب عنقه، فمنعه النبي ﷺ وقال له: «لعله أن يكون يصلي» ولما ولى ذلك الرجل قال ﷺ: «يخرج من ضِئضِئي هذا (أي من نسله وأصله) قوم يتلون كتاب الله لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود» ولهذا حذر النبي ﷺ من هذا الصنف من الناس فقال : «يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم»، ولهذا أوضح علماء الأمة خطورة التكفير وبينوا أن التكفير هو حكم الله عزوجل ولا يجوز بحال أن ينسب التكفير لأحد إلا بما قرره الله في كتابه أو على لسان رسوله محمد ﷺ، وبينوا أن للتكفير موانع تمنع من تكفير المسلم، وذلك أن المسلم قد دخل الإسلام بيقين بنطقه بالشهادتين ولا يجوز بحال أن يخرج من هذا اليقين إلا بيقين مثله، كأن يرتد عن الإسلام أو يكفر صراحة، كأن يسب الله ويسب الرسول ﷺ، وأما من وقع في الكفر وهو جاهل أو متأول أو كاره فلا يكفر، ويكون معذورا، كما فرق العلماء بين

م. فريد عمادي

الشرك الأكبر والشرك الأصغر، وبين الإطلاق والتعيين في الكفر، وغيرها من الضوابط والقواعد المقررة عند أهل العلم.

ولهذا يجب على شباب الأمة أن يتعلموا الدين من منابعه الأصلية وأن يسترشدوا بأقوال أهل العلم الراسخين، وعليهم الحذر من هذه المسالك المعوجة التي غررت بالشباب وحرفتهم عن الصراط المستقيم.

والوزارة عليها أدوار كبيرة في مواجهة الأفكار المتشددة، خاصة لدى شريحة الشباب، وبفضل الله الوزارة تملك قنوات كثيرة يمكن من خلالها توجيه المجتمع والشباب خاصة؛ التوجيه السليم من خلال خطب الجمعة والأسابيع الثقافية والدورات التأصيلية والمحاضرات العامة في الأسواق والمجمعات التجارية، وأماكن تجمع الشباب، فضلا عن التوجيه المطلوب في مراكز دور القرآن الكريم ومراكز التحفيظ ومراكز السراج المنير، وكلها منابر تستطيع الوزارة من خلالها التوجيه السليم والتحذير من هذه الآفة التي انتشرت في أوساط بعض المتحمسين للدين، وبحجة الدفاع عن هذه الشريعة، كما أن الوزارة قامت بإصدار بيان حول هذا الموضوع، وأجابت على سؤال حول مسائل الجهاد، وتم نشر هذه الإصدارات كنوع من أنواع التوجيه المطلوب.

كما أنني وبصفتي أمين عام اللجنة العليا لتعزيز الوسطية قدمت المحاور الاستراتيجية العملية لنشر الوسطية والاعتدال ومواجهة التطرف والعنف، وشملت هذه المحاور ثلاثة محاور رئيسية (المحور التوجيهي، والمحور الاعلامي والتقني، ومحور الأمن المجتمعي) وشملت هذه المحاور (٤٦) مبادرة، وكل مبادرة تحتوي على مجموعة مشاريع عمل، كلها تصب في نشر الوسطية ونبذ التطرف، والهدف من هذه المبادرات هو أن تقوم جميع المؤسسات الرسمية بدور تكاملي لنشر الوسطية والاعتدال ومواجهة العنف والتطرف، وقد قمنا بتوزيع هذه الوثيقة على جميع مؤسسات المجتمع المدني الرسمية والأهلية لنتعرف على وجهة نظر المجتمع في هذه المقترحات، وبوصول هذه الملاحظات سيتم صياغة الوثيقة على ضوء هذه الملاحظات للعمل بموجبها؛ لإيماننا بأن قضية الوسطية قضية تهم المجتمع بأسره، ومن المهم أن نتعرف على وجهات النظر في تلك المشاريع المطروحة.

# ظاهرة التطرف وممارسة الإرهاب

د. أحمد حمد أحمد
أستاذ الشريعة والقانون - جامعة قطر

حتى نكون موضوعيين في كتاباتنا، سنبدأ بتحديد معنى التطرف، هل يعني التطرف التمسك بالدين؟ أو هل يعني التعصب للرأي؟ أو هل يعني معاداة الفرد للمجتمع الذي يعيش فيه؟ أو هل يعني محاربة الفساد في هذا المجتمع؟ أو هل يعني مجابهة الحكومات بسبب اختلال سياستها وأنظمتها؟ أو هل يعني توجيه شديد النقد إليها، كلما حدث خطأ أو تجاوز منها؟

إن لفظة التطرف تعني الوقوف على طرف، أي أن المتطرف يقف على حافة شيء، وغالبا ما يختل توازن كل من يقف على الحافة أو الطرف، فهو مهدد دائما بالسقوط. فالتطرف إذن هو المبالغة في أي أمر، وعدم الاعتدال فيه.

## المجتمعات الأوربية

لا يخلو أي مجتمع من وجود التطرف والمتطرفين، حتى المجتمعات الأوروبية التي يظن الكثيرون أنها مستقرة لا يعكر صفوها هذا التطرف وهؤلاء المتطرفون، ففي فرنسا مثلا توجد فئة كبيرة مشايعة لليمين المتطرف exl-reme droite، وأخرى مشايعة لليسار المتطرف، وعلى الرغم من أن الحكومة الفرنسية ذات ميول يسارية في أصل مذهبها السياسي، لكنها تحاول أن تكون حكما محايدا، لا ينحاز لأي من هذين الاتجاهين المتطرفين.

## المجتمعات الإسلامية

والتطرف في المجتمعات الإسلامية يأخذ طابعا خاصا، إذ تتمحور اتجاهات التطرف وتتبلور في مدى التمسك بالفضائل المرتبطة بالعقيدة، وعدم التمسك

بها، فكلما كان هناك مساس بهذه الفضائل، كان هناك مجابهة لهذا المساس، وكلما كان هناك تطرف في هذا المساس، كان هناك تطرف في هذه المجابهة.

التطرف في العبادة والدعوة:

وقد جاءت نصوص الآيات والأحاديث، لتضع المسلم في مركز التوسط والاعتدال، حتى لا تذهب به المبالغة إلى التطرف، ولاسيما في مجال العبادة والدعوة، لأن العبادة ترشيد لنفسه، والدعوة ترشيد لغيره، وهذا الترشيد لا يحقق ثمرته على الإطلاق في نطاق المبالغة والتطرف.

ففي مجال العبادة يقول الله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٍ﴾ (المائدة:٦)، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ (البقرة:١٨٥)، ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ﴾ (الإسراء:٢٩)، وهذا نموذج من الآيات التي تؤكد على التوسط والاعتدال في هذا المجال. ويقول الرسول ﷺ: «إن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل»، «يسروا ولا تعسروا»، «من شدد شدد الله عليه»، «لا يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه»، وهذا نموذج من الأحاديث يؤكد هذا المعنى المراد.

وفي مجال الدعوة يقول الله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ (النحل:١٢٥)، ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ﴾ (الشورى:١٥). ويقول الرسول ﷺ: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه»، «بشروا ولا تنفروا».

من أين يأتي التطرف إذن؟

أمثل علاج للتطرف هو توسيع نطاق الصالحين والمصلحين، والتضييق على الفساد والمفسدين.

يبدو أن الأحداث الخطيرة التي تنزل بمجتمعات المسلمين، أو الكوارث التي تعصف بها تدفع بالعباد والدعاة إلى أن يتشددوا، ويشددوا في الأخذ بتعاليم الدين، والتحلي بفضائله، خوفا من طغيان هذه الأحداث، واستمرار هذه الكوارث، وتهديد المجتمع بالانهيار والدمار، فإن الاعتقاد السائد أن انتشار الفساد في أي مجتمع وخاصة المجتمع الإسلامي هو سبب هذا كله، مصداقا لقولة تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ١٦﴾ (الإسراء:١٦).

ويبدو أن محترفي الفساد وهواته يضيقون بهؤلاء العباد وهؤلاء الدعاة، ولذلك يبذلون أقصى جهودهم في استعداء السلطة عليهم، واستنهاض الأقلام والكتاب للنيل منهم وتشويه أمرهم، واستنكار أعمالهم، تمهيدا للقضاء عليهم، حتى يضمنوا لأنفسهم العيش في أمان من مخاطرهم. وتظل حلقة التشدد والتطرف بين الفريقين تتداح وتتسع أبعادها، حتى تشغل المجتمع، وتلهيه عن تحسين حاله، وتأمين مستقبله.

**وما العلاج الناجع للتطرف؟**

لاشك أن علاج التطرف بالذات لا يكون بمقابلته بتطرف مثله، فإن هذا كما يقال إنما هو سكب البترول على جمرة من النار، ليزيدها اشتعالا، أو أنه سيكون كعملية شد الحبل بين فريقين، يمسك كل منهما بطرف منه، وقد يكون هذان الفريقان متساويين في القوة، فتظل المغالبة بينهما إلى ما شاء الله، وقد يكون أحدهما أقوى فتكون له الغلبة، ولكن انتصاره موقوت، فإن

المهزوم لن يصبر على هزيمته، وسيحتال لتقوية نفسه، كي يعود إلى الشد من جديد. ومعنى هذا أن المغالبة مستمرة، ولا يعلم إلا الله متى تنتهي، ومن سيكون فيها المغلوب إلى الأبد.

إن العلاج الأمثل هو في توسيع النطاق للصالحين والمصلحين، وتضييق الخناق على الفاسدين والمفسدين، هو في تقوية صوت الحق، وخفوت صوت الباطل، هو في جعل الفساد وبطارقته من ثانويات تكوين المجتمع، لا من أساسياته. وأقول «تضييق الخناق وخفوت صوت الباطل وجعل الفساد من الثانويات لا من الأساسيات»، لأننا لا نستطيع القضاء على الفساد مهما بذلنا من قوة، لكننا نستطيع أن نجفف الكثير من روافده، ونكشف التزوير الذي يخدع به الكثير من دعاته.

إن العلاج الأمثل إنما هو في تجلية المثل العليا، حتى لا يغشيها غبار الشهوات الدنيا، وفي الحفاظ على القيم النفيسة، حتى لا تهبط بها النفوس الخسيسة، وفي الحرص على الأخلاق الفاضلة، حتى لا تنال منها الميول السافلة.

**وما الإرهاب؟**

أما الإرهاب فهو إحداث الرعب في القلوب، وليس الإرهاب مرتبطا حتما بالتطرف، فقد يكون التطرف دون إرهاب، وذلك عندما تكون السلطة من الحكمة بحيث تحفظ التوازن بين الفئات المتطرفة، ومن العدالة بحيث لا يميل أي متطرف إلى الإرهاب بسبب شعوره بظلم.

وإحداث الرعب أمر غير محمود في أي مجتمع، سواء أكان مصدر هذا الرعب هو الأفراد أم الحكومات، فقد يكون هذا الرعب من فرد ضد فرد، وقد يكون من فرد ضد جماعة أو حكومة، وقد يكون من حكومة ضد مواطنيها أو مواطني دولة أخرى.

**الإرهاب المطلوب**

وأمر الإرهاب يحتاج إلى شيء من التفصيل، فقد يكون الإرهاب مطلوبا شرعا، وذلك إذا ما كان موجها إلى أعداء الإسلام والمسلمين، فمن الواجب شرعا على كل مسلم وكل حكومة مسلمة الإعداد المستمر لهذا الإرهاب، مصداقا لقوله تعالى:

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن

دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ (الأنفال:٦٠). وهذا الإرهاب المطلوب هو الذي يتحقق به النصر على الأعداء، فإن الرعب إذا استحكم في قلوبهم خارت قوتهم، وارتعدت مفاصلهم، وسقط السلاح من أيديهم، وفروا هاربين، أو استسلموا مهزومين. ولذلك قال رسول الله ﷺ: «نصرت بالرعب».

**الإرهاب المرفوض**

والإرهاب المرفوض هو غالبا ما يتركز في طائفتين: طائفة يحركها الاعتداء المؤقت، وطائفة يحركها التخريب المبيت، فأما طائفة الاعتداء المؤقت فيسميهم الفقهاء البغاة، وقد نظم الإسلام علاقة جمهور المسلمين بهم على أساس من الإصلاح والتقويم، لا على أساس من الانتقام والتجريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ (الحجرات:٩). وقد يكون اعتداء طائفة على طائفة أخرى من المؤمنين لأسباب تافهة، لكنها على كل حال لا تضمر عداء لتعاليم الدين، ولا تبيت النية لتخريب ديار المسلمين.

أما الطائفة التي يحركها التخريب المبيت فهي طائفة الحرابة، وقد نظم الإسلام علاقة المسلمين بهم على أساس من الانتقام والتجريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ (المائدة:٣٣). فالإرهاب هو إدخال الرعب بتحدي منهج الله ونظام رسوله في استقرار مجتمع المسلمين، وتأمين كل فرد فيه على نفسه وماله وعرضه، وهو إرهاب الحرابة، وهو الإرهاب الذي تجب مقاومته، وتحصين مجتمع المسلمين منه. أما الإرهاب الذي نبث به الرعب في قلوب أعداء الإسلام والمسلمين، فهو من الخصائص التي يجب أن يتميز بها مجتمع المسلمين.

**عدم الخلط أسلم**

وقد قمنا بتوضيح مفهوم هذه العبارات، وتحديد مواقف هذه الطوائف، حتى لا يكون هناك خلط بينها، فإن عدم الخلط بين هذه المفاهيم، أو هذه المواقف هو الأسلم في أي مجتمع مسلم. لابد أن يستعمل الدواء المر في محله، وأن يستعمل الدواء الحلو في محله، لابد أن تستعمل المبيدات والمطهرات في أماكن الحشرات والقاذورات، وأن تكون الجماليات والزينات في أماكن الأفراح والاحتفالات، لابد أن يتوفر الأمن لكل من يحرص على رقي المجتمع وتنمية مواهبه وموارده، وأن يتوجه الإرهاب إلى كل من يعمل على انحدار المجتمع، وتصفية مواهبه، وتخريب موارده.

**القول الثابت**

وإذا كان الكلام الذي تتداوله أو تتناوله الألسنة والأقلام في المجتمعات غير الإسلامية كلاما قد ينقصه التحديد والثبات، إذ يتعرض للتغيير والتحوير، ويقبل التبديل أو التعديل، فإن كلام الله هو المحكم الثابت الذي لا يلحقه تغيير أو تحوير، ولا يرد عليه تبديل أو تعديل، بل هو الذي تستقر عليه الأحوال، وتنتظم به الأوضاع، وتنضبط التصرفات والأعمال، ويثبت الله به قلوب المؤمنين: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ (إبراهيم:٢٧).

● المقال منشور من قبل في العدد٣١٩- ربيع الأول ١٤١٣هـ - سبتمبر ١٩٩٢م.

# اغتيال العلم ووأد المعرفة

د. خالد راتب
باحث أكاديمي

**بالعلم والمعرفة تنهض الحضارات، وذلك لأن العلم بمفهومه الشامل والكامل وضوابطه هو مهد الرسالات، ولقد افتتحت الرسالة المحمدية بالعلم: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ (العلق:١)، فكان ختامها الكمال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ (المائدة:٣)، وسارت الأمة الإسلامية في ركاب الخيرية وقيادة البشرية عندما فهمت حقيقة الرسالة ﴿وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ﴾ (الجمعة:٢)، وطبقت هذا المنهج، منهج التزكية القائم على العلم والمعرفة تطبيقا عمليا، فكان اعترافا لها بالنعمة وشكرا لها: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝١٦٤﴾ (آل عمران:١٦٤).**

وقد جعل النبي ﷺ فداء ناس من الأسارى يوم بدر أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة، وبذلك شرع الأسرى يعلمون غلمان المدينة القراءة والكتابة، وكل من يعلم عشرة من الغلمان يفدي نفسه. وقبول النبي ﷺ تعليم القراءة والكتابة بدل الفداء في ذلك الوقت الذي كانوا فيه في أشد الحاجة إلى المال، يرينا سمو الإسلام في نظرته إلى العلم والمعرفة، وإزالة الأمية (١).

هذه هي أمة اقرأ التي أولت العلم اهتماما بالغا.. ولكن أمة اقرأ الآن تغتال، ثقافيا وعلميا، عن طريق مارد الجهل. ومن صور اغتيال العلم ووأد المعرفة:

- أن يسند الأمر إلى غير أهله. فقد اتخذ الناس رؤوسا جهالا، فعندما ينطق الرويبضة، ويسمع لكلامهم، ويصبحون نخبا، ويؤخر أهل العلم والفكر والثقافة، فهذا اغتيال واضح وصريح للعلم والمعرفة، وكل من شارك في هذا الاغتيال هو مجرم في حق نفسه أولا؛ لأنه كلف نفسه ما لا تطيق، ووضعها في مكانها الخطأ. ومجرم في حق وطنه؛ لأن الأوطان لا تبنى إلا بالعلم وبأيدي العلماء. ومجرم في حق دينه؛ لأن كل الأديان التي أنزلها الله

قوامها العلم والمعرفة.

● أن يطلب لغير الله ليجاري به العلماء، أو ليماري به السفهاء، أو يصرف وجوه الناس إليه، ومن فعل ذلك فقد كتب على نفسه الشقاء في الدنيا قبل الآخرة، عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: «من طلب العلم ليماري به السفهاء أو ليباهي به العلماء أو ليصرف وجوه الناس إليه فهو في النار» (٢).

● ومن صور اغتيال العلم أيضا ضياع هيبته واحتقار أهله، فجميع الفنون الآن لها قوانين لابد أن تحترم ويحترم أهلها، بل ويتقدم أهلها الصفوف، في وقت نرى فيه تأخيرا متعمدا لأهل العلم والفضل.

● ومن صور الاغتيال أيضا طلب العلم والفتوى من غير المتفقهين العلماء الربانيين.

● وأكبر اغتيال للعلم والمعرفة أن نرى أسفارا من العلوم يحملها من لا يعقل ولا يعرف مقدار هذه العلوم وقيمتها: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ (الجمعة:٥).

فبنو إسرائيل - ومن سار على طريقتهم - حملوا التوراة، وكلفوا أمانة العقيدة والشريعة.. ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ (الجمعة:٥).. فحملها يبدأ بالإدراك والفهم والفقه، وينتهي بالعمل لتحقيق مدلولها في عالم الضمير وعالم الواقع. لكن سيرة بني إسرائيل، كما عرضها القرآن الكريم، وكما هي في حقيقتها، لا تدل على أنهم قدروا هذه الأمانة، ولا أنهم فقهوا حقيقتها، ولا أنهم عملوا بها، ومن ثم كانوا كالحمار يحمل الكتب الضخام، وليس له منها إلا ثقلها، فهو ليس صاحبها. وليس شريكا في الغاية منها! (٣).

والطامة الكبرى أن يقود هؤلاء الحملة (حملة الأسفار) المشهد، وتكون لهم القيادة والريادة، مما يترتب عليه قلب الموازين وضياع أمانة العلم؛ بغياب الفهم، وقدر الرسالة التي يحملها، وهي ميراث الأنبياء، وعندما نضع هذا الميراث عند الحملة، عند عقول غير ناضجة وواعية، فإن ذلك يعد وأدا للمعرفة وانتحارا للثقافة والفكر، وذلك لأن الرويبضة سيصبحون في زمن اختلاط المفاهيم هم الجهابنة، وتنطلق ألسنتهم وأقلامهم للتحدث في أمور العامة، ويقدم مَنْ رأس ماله الجهل على أصحاب الكفاءات، وهذا ما حذر منه سيد الأولين والآخرين سيد العلماء ﷺ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بين يدي الساعة سنون خداعة، يتهم فيها الأمين، ويؤتمن فيها الخائن، وينطق فيها الرويبضة». قالوا: وما الرويبضة؟ قال: «السفيه ينطق في أمر العامة»، وفي رواية: «الفاسق يتكلم في أمر العامة»، وفي رواية الإمام أحمد: «إن بين يدي الدجال سنين خداعة، يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويخون فيها الأمين ويؤتمن فيها الخائن»، وذكر باقيه (٤).

إن من أعظم الظلم قتل المواهب والإبداعات، وتحطيم الكفاءات، وتقديم العجزة فكريا وثقافيا، وفتح الباب لهم على مصراعيه ليقولوا ما يريدون من دون فهم ووعي.

● ومن صور اغتيال العلم ووأد المعرفة: ضآلة الإنفاق على التعليم، فإن حجم الإنفاق على التعليم في أي دولة يعكس مدى اهتمامها به. ومن أبرز الحقائق التي كشف عنها تقرير منظمة العمل العربية عن الفجوة العلمية والتكنولوجية بين العرب والكيان الصهيوني ما يلي:

- معدل الإنفاق العربي على البحث العلمي لا يزيد على اثنين في الألف سنويا من الدخل القومي، في حين أنه يبلغ في الكيان الصهيوني ١,٨ في المئة.

- نصيب المواطن العربي من الإنفاق على التعليم لا يتجاوز ٣٤٠ دولارا سنويا، في حين يصل في الكيان الصهيوني إلى ٢٥٠٠ دولار سنويا.

- في حين يأتي الكيان الصهيوني في المرتبة رقم ٢٣ في دليل التنمية البشرية على مستوى العالم، والذي يقيس مستويات الدخل والتعليم والصحة، فإن مصر تحتل المرتبة رقم ١٩٩ طبقا لتقرير عام ٢٠٠٢م، وسورية تحتل المرتبة ١١١، والأردن المرتبة ٩٢، ولبنان المرتبة ٨٢، وهي الدول العربية المحيطة بالكيان الصهيوني، أو دول الطوق. وكشف التقرير أن مصر وحدها فقدت ٤٥٠ ألف عالم وباحث ومتخصص من أفضل الكفاءات العلمية بهجرتهم إلى الغرب، وأن نسبة العقول العربية تزيد بين العلماء والتكنولوجيين في أميركا وكندا على ٢ في المئة (٥).

## الهوامش

(١) السيرة النبوية، دروس وعبر في تربية الأمة وبناء الدولة، ٧٦/٦، علي الصلابي.

(٢) أخرجه الترمذي، وقال الشيخ الألباني: حسن، انظر حديث رقم: ٦٣٨٣ في صحيح الجامع.

(٣) الظلال، ٢٠٥/٧.

(٤) سنن ابن ماجه، ومسند الإمام أحمد، وقال الشيخ الألباني: صحيح، الصحيحة (١٨٨٧).

(٥) الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل، جمع وإعداد علي بن نايف الشحود، ٢/٨.

القاهرة - إسلام أحمد
تصوير: رمضان إبراهيم
دار الإعلام العربية

### أكد أن الخط العربي كائن حي يعبر عن صاحبه..

# الخطاط مصطفى عمري: التكنولوجيا أضرت بفن الخط

وصف أبوالعباس أحمد بن رجب صاحب كتاب «زاد المسافر» الخط بأنه «لليد لسان، وللخلد ترجمان».. وهو فن جميل، ساعدته لغة الضاد بما تتمتع به من مرونة وطواعية وقابلية للمد والرجع والاستدارة والتزوية، والتشابك والتداخل والتركيب، على حفظه من الاندثار، وهذا ما يؤكد عليه الخطاط والفنان مصطفى عمري، من خلال حواره مع «الوعي الإسلامي»، مشيرا إلى أن صمود فن الخط مرتبط بصمود اللغة العربية، فإلى نص الحوار:

**• يتخوف كثيرون من تأثير التقنية الحديثة، وضعف الاهتمام باللغة العربية على مستقبل فن الخط الذي ظل معطاء لقرون عديدة.. فكيف ترى الأمر برأيك؟**

– أراه مبشرا بالخير في أمور، وغير جيد في أمور أخرى، فهو رائع فيما يخص الإبداع، فبرغم وجود وسائل التكنولوجيا الحديثة، ظهر خطاطون على مستوى العالم لم يكن متوقعا ظهورهم، حتى من بلاد أجنبية، سواء كان من شرق آسيا أو أوروبا أو أميركا، فظهرت صحوة كبيرة في مجال الخط العربي، تدعمه مسابقات دولية تقام في العديد من الدول، مثل تركيا والكويت.. لكن في المقابل أخشى على فن الخط من ضعف الاهتمام باللغة العربية، وظهور التكنولوجيا الحديثة التي جعلت الناس لا يكتبون بأيديهم، فلم يعد أحد لديه صبر أو قوة تحمل للتعلم عن طريق المعلم بما يسمى بالمشافهة، ففن وعلم الخط العربي مثل القرآن الكريم، لا يصلح تعلمه بدون معلم مباشر، وفي مصر تراجع الاهتمام بالخط العربي مع تراجع مكانة الكتاتيب، وإغلاق مدارسه الخط العربي، تحت ذريعة التوفير، وبالتالي أصبح الخط العربي شيئا روتينيا لا يسلط عليه الضوء، خاصة من جانب وزارات الإعلام والتربية والتعليم والثقافة، وكنت أتوقع أن يدافع الأزهر الشريف والكليات التي تعلم اللغة العربية عن الخط، وتجعل له حيزا كبيرا، لكن غاب الاهتمام بقضية الخط العربي، رغم أن اللغة والخط توأمان ومتماسكان ببعضهما البعض، فلا تصلح اللغة بدون خط، أو الخط بدون اللغة.

**• هل يعني هذا أن حال مدارس الخط العربي في مصر لم يعد كسابق عهدها؟**

– هذا صحيح، فعدم اهتمام وزارة التربية والتعليم بمدارس الخط، بل والسعي نحو إلغائها يعد شيئا مجحفا جدا، وأثر بشدة على تعليم هذا الفن ونقله إلى الأجيال الجديدة، فإن كانت الوزارة ترى في هذه المدارس عبئا ماليا عليها، فيمكن تقليل أعدادها، وليس إلغاءها بالكلية، ومن المهم أن يتولى التعليم فيها متخصصون، فليس كل من يكتب بخط جميل يصبح معلما لهذا الفن الذي له قواعد ينبغي الالتزام بها، ففي الفترة الملكية كان المعلم يخضع لاختبارات دقيقة، لكن الوضع اختلف في الوقت الحالي، وكثير من المدارس الحالية تحولت إلى مجرد مشروعات

ربحية، أكثر منها مهنية.

**● وكيف ترى العلاقة بين الخط واللغة العربيين؟**

– علاقة ترابط، لا انفصام أو انفصال فيها، فاللغة العربية عامل أصيل في الخط العربي، فلولاها ما كان هناك خط، فالقرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، ولكل حرف أسراره وقدسيته في اللغة العربية، ولولا هذه القدسية ما وجدنا للخط العربي أي إبداع، بدليل أنه في ديانات أخرى لا نجد هذا الإبداع، إلا المرتبط منها باللغة العربية، فالخط العربي يسمى الخط الإسلامي في بعض الدول، والبعض الآخر يسمونه الخط العثماني، ومشهور بأنه مرتبط باللغة والقرآن.

**● وبالتالي أي تراجع في مستوى اللغة العربية هل يؤثر سلبا على الخط العربي؟**

– بالتأكيد، فمن أهم عوامل ضعف الخط ضعف اللغة نفسها، لأن الخطاط الذي لا يعلم ماذا يكتب ولا يستطيع التفريق بين الحروف والهمزات

## الحاسوب وفر جهدا كبيرا، لكنه أضر بروحانيات هذا الفن

وغيرها، لا يكون خطاطا، فيجب أن يكون متمكنا في أصول العربية، لأنه إن لم يكن متمكنا فسيأتي بأشياء غريبة ومخطئة، فعبدالله بن المبارك يقول: «من تكلم في غير فنه أتى بالعجائب». وعندما كتبت المصحف كان لابد لي من أن ألتحق بمعهد إعداد الدعاة، وعندما شعرت أن اللغة غير جيدة عندي تعلمت في كلية دار العلوم، لجعل الخط أكثر قوة ومتانة، لأن الخط بدون اللغة لا يساوي شيئا، فالخط هو الذي يظهر اللغة، واللغة هي بنية الخط، فهناك في الخط العربي ما يسمى بالاختزال، وهو استخدام الحرف أكثر من مرة في لوحة واحدة.

**● تؤكد أن الخط كائن حي.. لماذا؟**

– لأنه يعبر عن شخصية الخطاط، فإذا أردت أن تعرف شخصية الكاتب، فلابد من أن ترى من خطه وهو يكتب بطريقته في الكتابة، لأن كل شخص مختلف عن الآخر في طريقة التناول، وكل «إناء ينضح بما فيه». فالخطاط وهو يكتب يظهر شخصيته، وحتى من خلال العبارات نستطيع الحكم على سمات الخطاط، سواء كان يكتب عبارات إسلامية أو غيرها. ومن خلال كتاباته تعرف إن كان حزينا أم فرحا، بخيلا أم كريما، فالمخطوطة الحقيقية هي التي نرى فيها الحبر أمام أعيننا، ونشعر بإحساس الخطاط.

وإذا دخلت المخطوطة الأصلية إلى الحاسوب، خرجت من كونها «كائنا حيا» إلى كائن مرتبط بأنظمة غير حية، يدخل فيها أشياء لا تعبر عن صاحبها، لأن الحاسوب لا ينفذ إلا الأوامر، وفي القرآن الكريم: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (لقمان:٢٧)، سمي المداد بذلك الاسم لأنه يمد القلم، وعندما يقال: القلم، يقصد به الخط العربي، وما سمي القلم قلما إلا من تقليمه، وليس القلم الجاهز، فالخط العربي ذكر في القرآن الكريم، وهذا لعظمته ومكانته.

**● وما مدى تأثير الحاسوب على الخط العربي؟**

– تأثيره سلبي مع الخطاط غير الماهر، لأن الماهر يعتبر الحاسوب عاملا مساعدا، لكن الخطاط الضعيف هو الذي يجعل من الحاسوب كل شيء، فهو يكتب، ثم يستخدم الحاسوب، ليجعل من الخط تحفة ليس فيها تدخل يدوي، فلابد من أن يكون للخطاط شخصية مستقلة تعبر عنه، وهذا ليس إنكارا. فالحاسوب وفر على الخطاطين وعلى كل من يعمل في الفن التشكيلي جهدا

كبيرا، لكن أثر على الأشياء الروحانية الأصلية.

**• وكيف ترى حالة تطور الخط العربي للوصول إلى الحاسوب؟**

– حالة التطور تخدم جوانب اللغة، فيما يتعلق بالمعاجم والقواميس، ولكن لا تخدم بنية الخط العربي، رغم أنه من يدخل مجال الخط العربي دون ممارسة هذا الفن بيده ليس بخطاط أو فنان.

**• لماذا يسمى الخط العربي بـ«الشريف»؟**

– لتشرفه وارتباطه بالقرآن الكريم.

**• ماذا عن أهم المعارض التي شاركت فيها؟ وما أبرز ملامح مسيرتك الفنية؟**

– أشهرها كان في المدينة المنورة، خلال ملتقى مجمع الملك فهد لخطاطي القرآن الكريم في العالم، عام ٢٠١١م، حيث ضم خطاطين من ٣٠ دولة، اجتمعوا على معرض للخط العربي،

ظهر في الحاسوب برامج تستخدم الخط العربي، لكن هناك فرق بين خطوط الحاسوب والخط اليدوي، فهي تقوم بمقام قريب منه، لكن لا غنى عن الخط اليدوي، لكنه جهد مشكور ممن يحاولون إيجاد حلول وبدائل لإثراء اللغة، وليس لإثراء الخط، لأنه معتمد في الأساس على الأشياء الأصلية، وكل

**• بم يختلف الخط عن الفنون الأخرى؟**

– فن الخط يعتمد على الروحانيات أولا، والخط العربي له قواعد وأصول، لارتباطه بالقرآن الكريم، لأنه جعل للخط مكانة سامية عالية. حتى إن هناك آيات تبين عجز اللغة أمام القرآن الكريم.

وتكريم الذين كتبوا القرآن، وكان هناك معارض أخرى، منها لوزارة الثقافة في مصر.

وبدأت من كلية الفنون الجميلة عام ١٩٨٢م، فكان الخط العربي ملازما لي حتى التخرج، وعملت بعدها بالتدريس في صغر سني، في دار المعلمين في الدقي، ثم بعد ذلك سافرت إلى

السعودية كمعلم للخط العربي والتربية الفنية وتعليم القرآن الكريم، ومنذ ذلك الحين شاركت في معارض كثيرة، ولي بصمات بأغلفة الكتب في العالم العربي كافة، وليست مصر فقط، كما كتبت المصحف أربع مرات، آخرها طبع بقراءة ورش عن نافع، ولي جولات كثيرة حول العالم لتعليم الخط، في مصر، وفرنسا، وجنوب إفريقيا وغيرها من الدول.

وحصلت على جائزة التميز في مسابقة خاصة بالخطاطين، وأيضا تم تكريمي في ملتقى مجمع الملك فهد، وآخر شيء تكريمي في كلية الفنون الجميلة بجامعة المنيا، خلال ورشة للخط العربي، ومن وزارة الشباب والرياضة مع مؤسسة «ألوان» لتعليم الخط العربي، وفي فرنسا من خلال ورشة عام ٢٠٠١م.

**● ما أكثر اللوحات التي تسترعي انتباهك؟**

– اللوحات التي تتميز بالجانب التشكيلي، ولها فكرة، وفيها كلاسيك أكاديمي وبصمة تشكيلية، خاصة عندما تكون حروفيات متداخلة، ولا يجب أن تكون لوحة لها نص مقروء، لكن بها حروفيات متداخلة، تعطي شكلا جميلا، فالحروفيات تعطي متسعا من الثراء والتعددية من الإنتاج الفني، غير اللوحة المقروءة، فذلك يدل على أن الخطاط يفهم في العلاقات والمساحات والمنظور والأبعاد والألوان، وتحويل اللوحة الخطية إلى لوحة إبداعية، يدخل فيها جانب التصميم والتنوع، وهذا لا يكون عند الخطاط الكلاسيك.

وأنعم الله علي بدراسة الفن الكلاسيكي والتشكيلي، وحاولت أن أجمع بينهما في إطار متساو، وقلما نجد أن خطاطا يدرس الكلاسيك بأصوله مع الفن التشكيلي.

**● ما أهمية تنظيم معارض للخط العربي؟**

– تشجع على الإبداع بالنسبة للخطاطين في مرحلة التعلم، وتحافظ على فن الخط العربي، وتوفر التواصل المباشر بين الخطاطين.. وهناك محاولات من البعض ليكون لهم بصمة، خاصة في الخط العربي، لكن دون جدوى، لأن الخط وصل لمرحلة تشبع بشكل معين، لا يستطيع الإضافة فيه، لكن التطوير يكون في التناول، وليس ابتكار خط جديد، ويسمى باسم صاحبه، فهذا مستحيل، لكن الإضافة الممكنة هي الابتكار في حدود ما وصل إليه فنانو الخط العربي، وكانت في نهاية الدولة العثمانية، فالعثمانيون هم الذين أرسوا للخط العربي قواعد، وجعلوا منه شكلا مبهرا لا يستطيع أحد أن يغير فيه، فكانت العثمانية آخر العهود الإسلامية التي اهتمت بالخط العربي بشكل خاص، بدليل أنه حتى الآن تسمى إسطنبول قبلة الخطاطين في العالم أجمع، ومن يريد الوصول إلى أعلى مستوى يذهب إلى تركيا، لأنها الوحيدة التي حافظت على هذا الفن.

## شعرت بمدد روحاني وأنا أكتب آيات القرآن الكريم

**● ما أكثر الدول التي اهتمت بالخط العربي على مر العصور؟**

– الدولة الأموية والعباسية والفاطمية، وأكثر الدول التي اهتمت بالخط العربي هي العراق، ويكفيها فخرا أن الخطاط ابن مقلة العراقي الأصل هو أول من وضع للخط العربي ميزانا وقواعد، ووضع له شكلا ومقياسا، يميز الحروف عن بعضها، وهناك الأندلس وفي الوقت الحالي تركيا، وهي ثلاث محطات للفن الإسلامي.

لكن هناك فن آخر لا ننساه وهو الفارسي، المرتبط بالمقامات في إيران، ويعتبر مستقلا بذاته، لأن له أدبيات مختلفة عن الفنون الأخرى.

**● ما هي أنواع الخطوط العربية؟**

– هي ستة أنواع مشهورة تتمثل في: الرقعة، النسخ، الفارسي، الديواني، الثلث الكوفي، علاوة على وجود أنواع غير مشهورة، لكن يكتب بها، مثل الإيجازة، المحقق، قلم التوقيع والكوفي، وهناك أكثر من سبعين نوعا. والخط العربي إما أن ينسب للبلد التي نشأ فيها، مثل الفارسي نسبة لفارس، وإما للشخص مثل الخط الديواني الغزلاني، نسبة إلى غزلان، أو نسبة إلى مناسبة، مثل خط التاج كان في الفترة الملكية أيام الملك فؤاد.

**● وما الاختلاف بين الخطوط؟**

– الاختلاف في التوظيف والشكل، لكن يسقى بماء واحد، فمثلا خط الرقعة لا نستطيع أن نشكل منه لوحات إبداعية، لأنه ليس فيه فنيات عالية، لكن خط الثلث به فنيات كبيرة، يمكن أن نبدع به، والخط الكوفي لا يكتب إلا على المساجد، والخط الديواني مرتبط بالدواوين الحكومية، ونجده يستخدم في رسالات الماجستير والدكتوراه.

**● ما شعورك في أثناء كتابتك للقرآن الكريم؟**

– أشعر حين أكتب القرآن بأنني منفصل عن العالم كله، وأشعر بمتعة كبيرة. وحينما أترك الكتابة أشعر بضيق، لأنها متنفس روحاني للخطاط، هو شعور لا أستطيع وصفه، لأنه مرتبط بمدد روحاني، وقت الكتابة نفسها، وعندما بدأت الكتابة كنت أشعر برعشة في يدي، لأنه كلام الله، وله رهبة كبيرة، وتعلمت أنني عندما أخطئ لا أقف عنده، بل أصححه، وأستشعر معنى الآية. وهذا ما دعاني للالتحاق بمعهد إعداد الدعاة، لأتعلم معنى الآية، ووضع الحروف، وإعراب القرآن الكريم، فكتابة القرآن غير أي شيء آخر.

وعلى الرغم من أن هناك كثيرين أجمل خطا مني، فإن كتابة القرآن اصطفاء من الله، كما أنها أمنية لأي خطاط في العالم أجمع.

## على البيض والأرز عند العرب:

# الكتابة الميكروسكوبية

د. عمرو عبدالعزيز منير
باحث أكاديمي

**تزخر متاحف العالم بأعداد لا حصر لها من الكتابات المتناهية الصغر، التي بلغت درجة عالية من الجودة والإتقان، ساهمت بدور كبير في تتبع مراحل تطور الفن الكتابي، الذي ساهم فيه الخطاطون العرب بخدمات جليلة عندما ابتكروا الأقلام الدقيقة التي مكنتهم من تصغير الكتابة إلى حد أثار الإعجاب، حيث كانوا يكتبون على الحبوب وعلى الخواتم وغيرها، مما هيأ في ما بعد لبلورة هذا الفن؛ ليكون شكلا من أشكال حفظ المعلومات المهمة والحساسة، والذي أصبح يطلق عليه اليوم الكتابة الميكروسكوبية وقد تنبه العرب منذ قرون عديدة إلى فكرة تصغير الكتابة إلى حد لافت للانتباه، وكأنهم أرادوا أن يوضحوا للعالم أن هذا اللون من الكتابة المصغرة قد يكون هو الأنسب لإخفاء المعلومات والرسائل المهمة في مستقبل الأيام، وكأنهم تنبأوا بما سيكون في القرن العشرين، الذي شهد مولد التقارير الميكروسكوبية، التي يتم فيها تصغير صفحة كاملة في حجم الدبوس بواسطة ميكروكاميرا، بل تعدى الأمر إلى توصل العلماء إلى ما يسمى بالنقطة الميكروسكوبية، التي يمكن بواسطتها عن طريق كاميرا خاصة تصوير كتاب متوسط الحجم بأكمله في مساحة لا تزيد على المساحة التي يشغلها رأس نفرتيتي المرسومة على ورقة النقود المصرية، بحيث لا يزيد الخطاب الفردي عن حجم الدبوس.**

ولكن المدهش أن العرب لم تكن لديهم أجهزة التصغير الحديثة، بل استخدموا إمكاناتهم البسيطة، وبرعوا في ذلك إلى حد يفوق الخيال، ومارسوا هذا اللون من الفن على الحبوب، والذي لم يكن لأغراض عسكرية ولا سياسية، وإنما كان عبارة عن ترف فني، القصد منه إظهار المهارة في هذا اللون من الكتابة، وهو ما يوضحه لنا المؤرخ النابه سلامة محمد البلوي في كتابه المدهش «تاريخ أمن المعلومات في الحضارة الإسلامية»، الصادر أخيرا عن دار القلم في دبي.

ولعل من أطرف الملاحظات التي أشار إليها البلوي، هي أن الإشارات التي تدل على أن العرب استخدموا هذا اللون من الفن ما أورده عبدالحي الحنبلي صاحب «شذرات الذهب في أخبار من ذهب»، من أن إسماعيل بن عبدالله الناسخ، المعروف بابن الزمكجلي (ت ٧٨٨هـ - ١٣٨٦م) أنه كان أعجوبة في كتابة قلم الغبار مع أنه لا يطمس واوا ولا ميما، وكان يكتب آية الكرسي على أرزة وكذا سورة الإخلاص.

ولم يكن الزمكجلي الوحيد الذي ذكرته مصادرنا الإسلامية ممن برع في هذا الفن، بل يحدثنا صاحب تاريخ الأول في من تصرف في مصر من أرباب الدول، أنه شاهد عام (٩٩٦هـ - ١٥٨٧م) شخصا يدعى الأمير سليمان بن أحمد بن أزدمر، المشهور بالأخرس، الجركسي الأصل، وهو من أعيان عسكر مصر، حضر إلى محكمة منيف في مصر، وأبرز من يده حبة أرز مكتوب عليها ما قرأته وهو: «بسم الله الرحمن الرحيم» سورة العصر، وسورة الكوثر، وسورة الإخلاص، كتبه محمد سنة ٩٩٢هـ. وشاهد ذلك قضاة المحكمة المذكورة وشهودها، وما من شخص منهم إلا وقرأ ذلك مرة أو مرتين. أما الراوي لهذه الحادثة فإنه قرأ ما على الأرزة ثلاث مرات، وتأمل حروفها تأملا شافيا، وشاهد جرة كل بسملة، والكافات المبسوطة واسم الكاتب والتاريخ المكتوب بالأحمر، وكتب في خصوص ذلك محضرا رقم به شهادة من شاهد ذلك ورآه منهم. إن ممارسة هذا النوع من الفن ليست بالأمر اليسير وإلا لما قدم إلى المحكمة لتثبت صحة دعواه، ولما كتب محضرا في ذلك. إن ذلك يتطلب صناعة أقلام دقيقة، خصيصا لهذه الغاية، كذلك يتطلب الأمر تحضير نوع خاص من الحبر الذي يمكن أن يكتب به على هذا النوع من الحبوب، كذلك يتطلب الأمر صبرا وأناة من المتعامل مع هذا اللون من الكتابة، وكذلك دليل على رقي العقلية الإسلامية وقدرتها على ممارسة الأمور الدقيقة التي تبهر عقل المطلع عليها.

لقد استثمر المسلمون ورعايا الدولة الإسلامية في ممارسة هذا اللون من الفن حتى مطلع القرن العشرين، رغم الظروف الصعبة التي تلت الحرب العالمية الأولى كدليل على تواصل هذه الحضارة وعدم انقطاعها وتجددها رغم كل الظروف المحيطة، فممن اشتهر في مطلع القرن العشرين بالكتابة المصغرة على الحبوب وغيرها الأستاذ القانوني حسن أفندي عبدالجواد بمصر، الذي كتب على حبة قمح ثلاث سور من القرآن من السور القصار، وممن اشتهر بذلك أيضا الخطاط اللبناني الشهير نسيب مكرم، الذي نقش على فص خاتمه من الذهب بحجم ٩/١٠ مليمتر النشيد القومي المصري لأحمد شوقي، وعدد أبياته ستة عشر بيتا وعدد كلماته ٢٨٧ كلمة، وكان

نسيب قد سمع عن الأمير التنوخي أنه كتب آية الكرسي على حبة قمح مقدمة إلى متحف الجامعة الأميركية في بيروت كتب عليها قصيدة كلماتها ١٠٧، وهناك حبة أرز من رخام بحجم حبة الأرز الطبيعية كتبت عليها قصيدة للشاعر عبدالرحيم قليلات بعنوان «مصر وبنوها» من ثلاثين بيتا و٢٨٧ كلمة، وحبة أرز كتب عليها قطعتين من نشيد المرسيير الفرنسي، ومن عجائب آثاره بيضة من رخام بحجم بيضة الدجاجة الطبيعية كتب برأسها الطغراء السلطانية ثم مقدمة بدا فيها اسم الشيخ نسيب ودعاء للسلطان ثم فاصلا تليه مواد الدستور العثماني باللغة التركية، ثم فاصلا تليه قصيدتان في الدستور والجيش العثماني من ٥٩ بيتا، ثم فاصلا تليه خريطة الدولة العثمانية. وقد جمع على سطح هذه البيضة نحو عشرة آلاف كلمة عدا الطغراء والخريطة، وكذلك جاء في تحفة الخطاطين بأن قاسم عبارى (ت ١٠٣٤هـ - ١٦٢٤م)، وحمد مصلح الدين بن إسماعيل (١٠٨١هـ - ١٦٧٠م) كانا يكتبان على الحبوب سورا من السور القصار.

وقد أهدى نسيب إلى الملك عبدالعزيز خاتما ذهبيا نقش على فصه تاريخ جلوس الإمام العادل ملك الحجاز وسلطان نجد عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود أيده الله ثم أبيات منها:

**بك يا عبدالعزيز انتظمت**
**حالة الإسلام بين العالمين**
**وعلى حبك في الله لقد**
**جمع الله قلوب المسلمين**

كذلك اشتهر في القرن العشرين محمد طاهر الكردي، فقد كتب بيتين من الشعر على حبة أرز، ورسم خريطة الجزيرة العربية، مع أسماء البلدان ووضع الألوان، رسما صغيرا بحجم طابع البريد محلاة بالذهب وقدمها هدية للملك عبدالعزيز آل سعود.

هذا، ويوجد في دار الكتب المصرية العديد من الحبوب التي تحتوي على كتابات، من بينها حبة قمح مكتوب عليها باللغة العبرية مدح سيدنا موسى - عليه السلام - للأراضي المقدسة حين دخلها بنو إسرائيل. واشتهر خطاط أفغانستان بكابول محمد داوود الحسيني بالكتابة على الحبوب، وقد كتب على بوصة مربعة ٥٥٥ كلمة. من هنا، يتضح أن هذا الفن ازدهر في أجزاء عديدة من عالمنا الإسلامي حتى مطلع القرن العشرين.. في مصر ولبنان والجزيرة العربية وأفغانستان وسوريا، وهذا خير شاهد على أن العرب كانوا السابقين لهذا الفن من بين أمم الأرض، وهم الذين أعطوه شخصيته كفن من الفنون التي انفردت بها الحضارة الإسلامية.

وقد سبق العرب الفرنسيين في الكتابة على البيض، بيد أن العرب استخدموا الكتابة على البيض كترف فكري ومن أجل الزخرفة وإظهار الإبداع، أما الفرنسيون فقد استخدموا الكتابة على البيض من أجل أهداف سياسية وعسكرية. وكانت الكتابة على البيض عند الفرنسيين غير ظاهرة، بينما عند المسلمين كانت ظاهرة بارزة، فقد كان الفرنسيون يغسلون بيضة طازجة بعناية فائقة ليزيلوا الغشاء الطبيعي لها ويكتبوا الرسالة على القشرة بحبر سري يمكن إظهاره بواسطة الحرارة، وعندما يمر القلم على المسام الموجودة على القشرة بحبر سري يمكن إظهاره بواسطة الحرارة، وعندما يمر الحبر على المسام الموجودة على القشرة إلى الغشاء لا يترك أثرا ملحوظا على البيضة التي توضع بين عشرات البيض.

أما العرب فقد كانوا يكتبون على البيضة بعد تفريغها، فقد كتب حسن أفندي عبدالجواد بمصر، والذي اشتهر كما تقدم بالكتابة على الحبوب وعلى البيض أيضا، على بيضة دجاجة مفرغة تاريخ محمد علي باشا وإسماعيل باشا، وكتب على بيضة مفرغة أخرى الدستور المصري، وقد نال العديد من الجوائز على ذلك. وقد اشتهر غيره في أنحاء عديدة من عالمنا العربي في هذا الفن. وهكذا نرى أن العرب سبقوا الكثير من الأمم في التنبيه إلى إمكانية التصغير ليدفعوا التفكير الإنساني في القرن العشرين إلى تطوير هذه الفكرة، فاستغل النهضة الصناعية وما توافر من أجهزة إليكترونية ليصل إلى نتائج مذهلة في فن التصغير، الذي يعتبر شريان حياة شبكات التجسس في العالم، وقد قرر أخيرا الناشر الكندي روبرت تشابلن أن يصدر نسخة مطبوعة من كتاب «تيني تيد فروم تيرن أب تاون»، وهو الكتاب الذي تم تسجيله عام ٢٠١٢م في موسوعة جينيس للأرقام القياسية كأصغر كتاب في العالم، حيث تتطلب قراءته نوعية خاصة من أجهزة المايكروسكوب التقليدية، إذ تمت كتابته عبر الأشعة الأيونية المركزة على ٣٠ صفيحة معدنية متناهية الصغر، وتم وضعها جميعها على رقاقة إلكترونية صغيرة، مع العلم أن كل الأحرف في الكتاب تم «نقشها» على سطر يبلغ حجمه ٤٢ نانومتر (النانومتر يساوي واحدا على المليون من المليمتر).

# تنمية جماليات الذوق العام

د. آندي حجازي
أستاذة تربوية أردنية

**عندما تسير في شوارع المدن المختلفة تعترضك الكثير من المظاهر والسلوكيات التي تعكس صورة الأمة والذوق العام لديها. فالكثير من الأمم اليوم يقاس رقيها وتقدمها ليس بمقدار إنتاجاتها واختراعاتها فقط، بل أيضا بمدى ما يقدم أفرادها من سلوكيات تدل على الذوق العام في المجتمع، إذ إن الذوق العام يتضمن التنظيم والترتيب والنظافة واحترام حقوق الآخرين واحترام خصوصيتهم، واحترام الأملاك العامة والخاصة للآخرين وعدم الاعتداء عليها. ويشمل كذلك القدرة على التعايش مع الآخر، وأساليب تعامل الأفراد بعضهم مع بعض، ومدى تحمل المسؤولية الجماعية وتقبل روح الجماعة. ويعكس الذوق العام مدى حب الإنسان لوطنه ومجتمعه وانتمائه للوطن الذي يعيش فيه ويأكل من خيره، حتى وإن لم يكن يحمل جنسيته.**

فالذوق العام، الذي يتحلى به أفراد مجتمع ما، يعكس ثقافة ذلك المجتمع التي نشأ عليها وعاداته وتقاليده وقيمه وأفكاره التي تربى عليها، والتي قد تكون انطلقت من ديانته أو من مبادئه التي يؤمن بها، وكثيرا ما تصبح سلوكيات أفراده صورا نمطية يوصم بها ذلك المجتمع؛ ما يجعلنا نتمنى لو أن سلوكياتنا العامة تنطلق من تعاليم ديننا الحنيف وقيمه، فعندها سنكون أفضل المجتمعات وأرقاها سلوكيا وأخلاقيا، ولكن حيث بعدنا اليوم عن مظلة الدين، ولم نجعل لسلوكياتنا أي مظلة ذات قيمة؛ باتت سلوكياتنا العامة عجيبة لا يمكن أن توصف بأي حال من الأحوال بأنها من الذوق العام أو الخاص!

ولنضرب أمثلة على ذلك، انظر وأنت تسير في الكثير من المدن العربية اليوم كيف أصبح حال نظافة شوارعها، سترى أبناءها يرمون المخلفات من نوافذ السيارات وأبوابها، وعلى أبواب مدارسها، ومداخل محلاتها التجارية، وفي حدائقها يتركون مخلفاتهم على أرضها، أو يخربون ملاعبها وأشجارها وأزهارها، في مشاهد تثير الاستعجاب! فكيف

ونحن أمة جعلت النظافة دليلا من أدلة إيمانها «النظافة من الإيمان»، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ (المدثر:٤). فلم يعد يمنع من يمارس تلك السلوكيات، كبارا كانوا أو صغارا، أي خلق أو ذوق عام! وتأمل أيضا كيف يكتب البعض على جدران الأنفاق والجسور والأسوار العامة والأماكن الأثرية! فهل يقبلون أن يكتب أحد على أسوار بيوتهم وجدرانها؟

وانظر كذلك إلى من يريد البناء في أرض له تجد أنه يحفر أرضه، ثم ما يخرج منها من أتربة يأخذه ويرميه في أرض غيره أو في أرض عامة، فهل هذا يحق له؟! وهل هذا من الذوقيات العامة؟! فأين نحن من الأمانة ومن تعاليم ديننا الحنيف؟!

وترى العديد افتقدوا الحس الوطني العام، فمثلا نلحظ حينما يريد البعض الاعتراض على سياسة حكومية ما؛ أنهم يأخذون بالتدمير والإتلاف وتحطيم الممتلكات العامة والخاصة والدوائر الحكومية، فهل هذا يمت لتعاليم الدين أو للذوق العام بصلة أو يخدم القضية المعنية؟! تصرفات لا تليق بأخلاقيات الذوق العام والخلق الرفيع والسلوك الحضاري، حيث يمكن التعبير عن الرأي بطرق حضارية كما يفعل الأفراد في المجتمعات الغربية. كما أن ما نخسره من ممتلكات عامة أو أشجار أو أرصفة، نحتاج إلى وقت طويل لإعادته إلى ما كان عليه، بالإضافة إلى الخسائر المادية والجمالية. وللأسف، إن أخلاقيات الذوق العام باتت لدى أفراد الغرب أفضل مما هي لدى أبنائنا اليوم!

## أمثلة واقعية لظاهرة الذوق العام

إن الذوق العام تعكسه أساليب التعامل بين البشر وأفراد المجتمع الواحد، خصوصا في الأماكن العامة وفي المناسبات المتنوعة والمعاملات المختلفة، فمثلا حينما يصطف الأفراد في طابور من أجل إتمام معاملة ما ثم يأتي شخص متأخر من بعيد، وبشكل متحايل يقنع أحد المصطفين في مقدمة الصف بالاصطفاف أمامه، متجاهلا بقية المصطفين، ومتغاضيا عن حقوقهم، فهذا يعكس نقصا في الذوق العام لدى هذا الشخص، الذي يتمركز حول نفسه ولا يرى إلا حاجته، وكأن الآخرين لا حاجات لديهم، أو هو يعتبر نفسه أفضل منهم، وأن لديه موعدا لا يمكن التأخر عنه بينما هم لا!

أو تكون في حافلة فتفتح حقيبتك أو تقرأ في ورقة أو مجلة أو هاتفك، فترى من يجلس أو يقف بجانبك يختلس النظر؛ ليرى ما تقرأ أو ما ستخرج من حقيبتك أو جيبك، وكأن الأمر يعنيه! أو تجده يحاول معرفة ما اشتريته داخل الأكياس التي تحملها! أو تكون في الطريق فتسمع صراخ بعض الأفراد أو ألفاظا بذيئة أو تحرشات حرجة في سلوكيات تفتقد الحد الأدنى من الذوق العام! أو تكون في سيارتك فتسمع أصوات الموسيقى الصاخبة تخرج من إحدى السيارات، أو أصوات بعض الشباب وهم يصرخون مخرجين أنفسهم من نوافذها بطريقة تزعج الآخرين ولا تحترم آداب السير في الشارع أو حاجات بعض الناس.. أو تجد استخدام منبه السيارة لمناداة بعض الأشخاص أو في الأفراح بطريقة صاخبة تزعج الآخرين! أو ترى بعض الشباب يمارس هواية «التفحيط» في السيارات في الشوارع بطريقة تمتلئ بالخطورة والتهور.

هذه سلوكيات لا يمكن أن تحدث في الدول المتقدمة، حيث أساليب التعامل مع المجتمع الذي يحيط بالفرد تعكس المستوى الثقافي والتعليمي لذلك الشعب، وعمق تفكيره، والبعد الإنساني والحضاري الذي تربى عليه، واحترام الآخر. وبهذه السلوكيات يعرف مدى الرقي في التعامل والذوق العام الذي بلغه ذلك المجتمع دون غيره، كالمجتمع الياباني أو الماليزي أو السنغافوري أو مجتمعات بعض دول أوروبا أو المجتمع الكندي.

وعندما نقول إن هذا الذوق العام ينطلق من ثقافة المجتمع التي نشأ عليها، فإننا لا نبالغ، فانظر مثلا إن كانت الأم تسير مع ابنها في حديقة عامة أو شارع عام أو مركز تجاري، وبعد تناول ما بيدها من طعام ترمي

المخلفات على الأرض! أو ترى ابنها يرمي مخلفات طعامه من دون أن تردعه أو تعلمه التصرف الصحيح! فكيف سينشأ هذا الطفل؟ فكما قال الشاعر:

**وينشأ ناشئ الفتيان منا**

**على ما كان عوده أبوه...**

والكلام ينطبق على الأم والأب على حد سواء. وإن كان هذا السلوك هو الأعم الأغلب لدى أفراد مجتمع ما، فستصبح ثقافة الشعب هي رمي المخلفات أينما كانوا في الأماكن العامة من دون أدنى اكتراث. والمشكلة أيضا أن تتكون لدى الآخرين صورة نمطية سلبية عن هذا الشعب يصعب تغييرها ما لم تتغير تلك السلوكيات.

## الإسلام دين الذوق العام

وديننا الإسلامي أعاننا على التربية القويمة لتلك السلوكيات التي تنم عن الذوق العام، وذلك بآيات وأحاديث كثيرة تربي المسلم على الذوق العام، فمثلا ألا يرفع الصحابي أو الأعرابي صوته في حضرة النبي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢﴾ (الحجرات:٢)، وفي موضع آخر يعلمنا التأدب في الطريق كالسير بهدوء ومن دون إزعاج للآخرين وعدم رفع الصوت: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾ (لقمان:١٩)، فما بالك بمن يرفع صوت المسجل في السيارة، أو «يفحط» في سيارته ليزعج الآخرين، أو يستخدم منبه السيارة بطريقة مزعجة من دون مراعاة لوجود مستشفى أو مدرسة أو ما شابه، فأين غض الصوت من ذلك كله؟!

وآيات كريمة في تعليم المسلمين أخلاقيات التعامل مع رسول الله ﷺ عند دعوتهم إلى بيته، وهي أخلاقيات وذوقيات تعامل المسلمين بعضهم مع بعض عامة، كعدم دخول بيوت الغير من دون إذن، وعدم الإطالة عند الآخرين، وبالأخص بعد تلبية دعوات الطعام؛ فقال تعالى معلما المسلمين في كل زمان ومكان تلك الذوقيات العامة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾ (الأحزاب:٥٣).

وكذلك في ضرورة الاستئذان للزيارة أو الاتصال للسماح بالقدوم، فإن اعتذر الشخص فعلينا عدم القدوم وعدم الغضب من ذلك، فلكل إنسان ظروف خاصة، وعدم دخول أي بيت من دون إذن، وإن كان مفتوحا، لأن دخوله بهذه الطريقة ليس من الذوق العام في شيء، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨﴾ (النور:٢٧-٢٨).

وقد قال رسول الله ﷺ: «الاستئذان ثلاث فإن أذن لك وإلا فارجع» (رواه مسلم). فما أجمل هذا التهذيب الذوقي!

وانظر لجماليات الذوق العام في قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ (الحجرات:١١)، وقال أيضا: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ﴾ (الحجرات:١٢).. أليست هذه تربية إسلامية على ذوقيات التعامل مع الآخرين بعدم السخرية منهم أو التجسس عليهم أو اللمز والتنابز بالألقاب والأسماء السيئة التي تؤذي الآخرين؟!

وكذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي

ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟﴾ (المجادلة:١١). فهذه السلوكيات في التوسيع للآخرين في المجلس أو في الحافلة أو القطار أو لكبار السن أو ذوي الحاجات، إنما تنم عن أخلاق وذوقيات عالية، ومن الجميل تربية النشء عليها. وقال النبي ﷺ: «حق المسلم على المسلم ست». قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: «إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه» (رواه البخاري ومسلم). وقال عليه الصلاة والسلام: «تبسمك في وجه أخيك صدقة»، أليست هذه من جماليات الذوق العام، كإفشاء السلام وإجابة الدعوة وتقديم النصح للآخرين حين الحاجة، وتشميت العاطس حيث يشعر بالاهتمام به، وكذلك زيارة الأهل والأصدقاء عند المرض؛ والتبسم في وجوه الآخرين... ألا تحتاج إلى بعض الذوقيات للشعور بحاجات الآخرين وإشاعة المحبة بينهم؟

## الذوق العام والتربية

إننا نرى البعض وبحمد الله يظهر سلوكيات تنم عن ذوق عالي المستوى؛ كمن يتحدث بصوت معقول أثناء سيره في الشارع، أو يسلم على المارة في الطريق أو الباعة الجالسين على أبواب محلاتهم، أو ترى موظفا يبتسم في وجوه المراجعين، ويعكس جوا من الابتسام والأريحية، مما يريحهم ويشعرهم بإنسانيتهم، أو ترى شخصا يساعد جاره، أو شخصا مريضا في الشارع، أو تشاهد رجلا مارا يلتقط الأذى عن الطريق ويضعه بعيدا، أو أما تمنع طفلها من تكسير مصابيح الشوارع أو قطف أزهار الحدائق العامة، أو والدا يمنع ابنه من تخريب سيارات الجيران أو إيذاء قطة في الشارع، ويرفض منه استخدام السباب والألفاظ البذيئة أثناء اللعب مع أقرانه.. فهذه كلها سلوكيات تمت تنميتها ومراقبتها لدى هؤلاء الأفراد منذ الصغر أيام الطفولة والمراهقة.

فتنمية الحس الجمالي والذوق العام لدى أفراد المجتمع تبدأ منذ الصغر ومن التربية والتعليم في البيت والمدرسة، فأخلاقيات الذوق العام تعكس التربية التي نشأ عليها الفرد من خلال أسرته ومدرسته ومجتمعه. فحينما يشاهد الطفل أمه تبتسم في وجوه الآخرين وتحترم حقوق جيرانها ولا تؤذيهم بصوتها أو ألفاظها وسلوكياتها، وتهتم بنظافة بيتها وأناقته وتهيئة ديكوره بشكل جميل ومريح للنفس، وتضع أحيانا بعض الزهور في بعض غرف البيت أو على مداخل بيتها، وتعلم أبناءها النظافة فرائحة بيتها فواحة عطرة جميلة، وتشجع أبناءها على ترتيب غرفهم وأسرتهم قبل الذهاب إلى المدرسة، وتحثهم على الأناقة والتهذيب مع الآخرين في التعامل فلا شجار يدوي ولا سباب، وتعلم أبناءها اتباع السنن النبوية في آداب الطعام، وآداب النوم، وآداب الاستئذان، والسلام، وآداب الطريق والشارع، واحترام الكبير والوالدين، وتهتم بالمحافظة على الحدائق العامة والشارع وممتلكات الآخرين.. فإنه حتما حينما يكبر هذا الطفل سيكون قد اعتاد الحفاظ على ممتلكات المجتمع العامة، لأنه يشعر بالأمانة تجاهها، وبأهمية نظافتها، ومراعاة حقوق الآخرين... فينمو معه حس جمالي وذوق عام تجاه ما حوله، لأن من الطبيعي ألا يكون الإنسان بشخصيتين أو وجهين: شخصية في البيت وأخرى في العالم الخارجي.

ولكن إن كانت التربية قاصرة النظر أو ذات فجوات وتناقضات وتشجع على تخريب ممتلكات الدولة وعلى الاعتداء على حقوق الآخرين، فهذا كله سيكون مصدرا لإشاعة روح الفوضى والأنانية مع قتل الحس الجمالي والذوق العام لدى الطفل، الذي يتخذ من والديه قدوة له، يرقبهما في كل تصرفاتهما وأقوالهما وأفعالهما.

وهناك دور كبير للمؤسسات التعليمية من خلال منهاجها في الإسهام في تكوين ثقافة التعاون وتنمية الروح الجماعية والتأكيد على كرامة الإنسان وحرياته، واحترام الآخر، والاعتراف بالتعددية الفكرية، والاختلاف في الأمزجة والسلوكيات والتي لا تعني التدمير والتخريب والعبث! فعلى المناهج تنسيق الأنشطة كي تكون ذات طابع اجتماعي حضاري وإنساني، تحترم الفرد وتغرس فيه روح الانتماء الوطني والشعور بالمسؤولية تجاه الوطن وممتلكاته وأنظمته، لينمو لدى الأطفال الانتماء إلى المجتمع وهويته الثقافية؛ فمازال الكثير من أطفالنا وشبابنا تنقصهم التربية على قضية الذوق العام والحس الوطني التنموي.. فحب الوطن من الإيمان.

# الذوق العام في حضارتنا

محمد شعبان أيوب
باحث دراسات إسلامية

**حين كتب المستشرق الجاد مايكل كوك كتابه المهم «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، كان دافعه من وراء هذا العمل الذي استمر معه لمدة عشر سنوات كاملة، هي تلك الحادثة التي قرأ عنها في الصحف الأميركية عن تلك المرأة التي اغتصبت على مرأى من الجميع، في محطة قطار شيكاغو سنة ١٩٨٨م، وما تدخل عشرات المشاهدين لإنقاذها، أو ردع الجاني، «وماذا يعنيه ذلك في سياق المسؤولية الأخلاقية والقانونية والدينية العامة». (١) ثم انتقاله في بداية كتابه الآنف إلى قصة «صائغ مرو» الذي تصدى لأبي مسلم الخراساني بطل الثورة العباسية؛ لردعه عن الظلم، ففقد حياته، استنادا لاعتقاده بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومقارنته بين تلك الحادثتين، وما ترتب عليه من تتبع كوك على مستوى الطرائق الفيلولوجية - التي انتهجها من قبله مستشرقو القرن التاسع عشر والعشرين في دراساتهم حول التراث الإسلامي – في القرآن الكريم والحديث النبوي والمذاهب الفقهية والكلامية والمدارس الإسلامية المعاصرة، فخلص إلى تلك النتيجة التي فصلها الغزالي (ت٥٠٥هـ) في «إحياء علوم الدين»، في الفصل الذي عقده باسم: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، إذ قال رحمه الله: «إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين». (٢)**

لقد رأى ذلك الباحث الأميركي كوك أن مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو المبدأ الذي ميز الأمة المسلمة عن أمته الغربية، فهو يعترف بصراحة تحسب له أنه «ليست لدينا (في الغرب) في حياتنا اليومية مصطلح يشرح هذا الواجب، كما ليست لدينا نظرية عامة حول الأوضاع التي ينطبق عليها، والإرغامات التي تسقطه. إن القيمة الأخلاقية موجودة عندنا، لكنها ليست من القيم التي أولتها ثقافتنا صياغة متطورة ومتكاملة». (٣)

في المقابل، فإن من يبغي فهم قضية الذوق العام واللياقة في ديننا الحنيف لن يجد أفضل من مدخل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمعناه الأعم الأشمل، للفهم والاستيعاب، وربما الدهشة التي تصيب القارئ والباحث على السواء لمدى الشمولية التي تلمس في هذا المبدأ الإلهي العظيم.

واستقاء هذا المبدأ كغيره من المبادئ الأخرى في الإسلام، إنما يتكئ على القرآن الكريم والسنة النبوية، وهو مما لا يحصى ولا يحصر، والآية القرآنية الجامعة التي تكشف عن أن خيرية الأمة المسلمة إنما ترتبط بتمسكها بهذه الوظيفة الحضارية والأخلاقية، على المستوى الفردي والجمعي على السواء كاشفة لذلك، إذ قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران: ١١٠). وقد علق الأستاذ سيد قطب رحمه الله على هذه الآية بقوله: «سبق في السياق الأمر التكليفي للجماعة المسلمة أن ينتدب من بينها من يقومون بالدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أما هنا فقد وصفها الله سبحانه بأن هذه صفتها، ليدلها على أنها لا توجد وجودا حقيقيا، إلا أن تتوافر فيها هذه السمة الأساسية، التي تعرف بها في المجتمع الإنساني». (٤)

والحق أن الغزالي كان من أوائل من عكفوا على فهم النظرية الأخلاقية في القرآن الكريم، وأثرها العملي على الذوق والسلوك العام، وذلك في كتابه «جواهر القرآن»، وقد رد جوهر هذه النظرية إلى عنصرين أساسيين يتصل أحدهما بالمعرفة، ويتصل الآخر بالسلوك، وانتهى إلى أن حصر في القرآن من النوع الأول سبعماءة وثلاثا وستين آية، كما حصر من النوع الثاني سبعمائة وإحدى وأربعين آية. (٥)

أما الأحاديث النبوية الشريفة فهي كثيرة للغاية، لعل أشهرها قوله ﷺ: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» (٦)، وهذا الحديث الشريف من جوامع الكلم في قضية الذوق العام واللياقة، إذ ترك الحرية للمفسدين أو المنحلين على إطلاقها مفسدة للمجتمع؛ والإنسان بطبعه متعجل للمعصية قبل الطاعة، كما أخبرنا تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس: ٨)، ولو لم يجد هؤلاء المفسدون من يقف لهم آمرا

بالمعروف وناهيا عن المنكر، لاستشرى فسادهم.

### من النظرية إلى العمل

إن أهم ما يميز الحضارة الإسلامية أنها كانت على المستوى العملي نموذجا فذا لتطويع الحركة البشرية، فكرا ومادة لخدمة الوحي الشريف. ونظرا لأن قضية الذوق والسلوك العام، كانت قد تجلت في آي الذكر الحكيم، وأقوال وأفعال النبي ﷺ وخلفائه من بعده، فقد برزت بمرور الوقت، ونضوج الفكرة، مسألة الاحتساب كسلوك واقعي، وانتقل الأمر من طور الفردانية إلى عمل مؤسسي جاد له ضوابطه وقواعده الواضحة، بل لم يتوقف الأمر عند ذلك، إذ صار الاحتساب وظيفة لا غنى للدولة الإسلامية عنها، ثم شرع في وقت لاحق في الكتابة المتخصصة عن الدور الأخلاقي والتعريف المنطقي لهذه المؤسسة، فظهرت مؤلفات الاحتساب في حقل الآداب والأخلاق العامة، وربما وجدناه في حقل السياسة الشرعية وآدابها.

أما الأمثلة التاريخية على هذا فأكثر من أن تحصى في مجلد، فضلا عن مقال، لقد حكى الإمام ابن كثير في «البداية والنهاية» أن رجلا يدعى أبا الحسين النوري اجتاز بزورق فيه خمر مع ملاح (بحار) فقال: ما هذا؟ ولمن هذا؟ فقال له: هذه خمر للمعتضد (الخليفة العباسي). فصعد أبوالحسين إليها، فجعل يضرب الدنان (أوعية ضخمة) بعمود في يده حتى كسرها كلها، إلا دنا واحدا تركه، واستغاث الملاح، فجاءت الشرطة، فأخذوا أبا الحسين، فأوقفوه بين يدي المعتضد، فقال له: ما أنت؟ فقال: أنا المحتسب. فقال: ومن ولاك الحسبة؟ فقال: الذي ولاك الخلافة يا أمير المؤمنين. فأطرق رأسه، ثم رفعه فقال: ما الذي حملك على ما فعلت؟ فقال: شفقة عليك، لدفع الضرر عنك. فأطرق رأسه، ثم رفعه، فقال: ولأي شيء تركت منها دنا واحدا لم تكسره؟ فقال: لأني إنما أقدمت عليها فكسرتها إجلالا لله تعالى، فلم أبال أحدا، حتى انتهيت إلى هذا الدن دخل نفسي إعجاب من قبيل أني قد أقدمت على مثلك فتركته. فقال له المعتضد: اذهب، فقد أطلقت يدك، فغير ما أحببت أن تغيره من المنكر. فقال له النوري: الآن انتقض عزمي عن التغيير. فقال: ولم؟ فقال: لأني كنت أغير عن الله، وأنا الآن أغير عن شرطي. فقال: سل حاجتك. فقال: أحب أن تخرجني من بين يديك سالما. فأمر به فأخرج فصار إلى البصرة، فأقام بها مختفيا، خشية أن يشق عليه أحد في حاجة عند المعتضد، فلما توفي المعتضد رجع إلى بغداد. (٧)

لقد تدخلت وظيفة المحتسب في كل ما من شأنه المحافظة على الذوق والسلوك العام، ومن أعجب ما نقرأ، ما وضعه ضياء الدين ابن الأُخوة (ت٧٢٩هـ) في كتابه «معالم القربة في طلب الحسبة»، في فصل «في الحسبة على مؤدبي الصبيان»، حيث قال: «يشترط في المعلم أن يكون من أهل الصلاح والعفة والأمانة، حافظا للكتاب العزيز، حسن الخط ويدري الحساب، والأولى أن يكون مزوجا، ولا يفسح لعازب أن يفتح مكتبا لتعليم الصبيان، إلا أن يكون شيخا كبيرا، وقد اشتهر بالدين والخير، ومع ذلك فلا يؤذن له بالتعليم إلا بتزكية مرضية، وثبوت أهليته لذلك. وينبغي للمؤدب أن يترفق بالصغير... ولا يضرب صبيا بعصا غليظة تكسر العظم، ولا رقيقة لا تؤلم الجسم، بل تكون وسطا... وينبغي للمؤدب أن لا يستخدم أحد الصبيان في حوائجه وأشغاله التي فيها عار على آبائهم، كنقل التراب والزبل وحمل الحجارة وغير ذلك، ولا يرسله إلى داره وهي خالية، لئلا يتطرق إليه التهمة...» (٨). وهذا الكتاب يعد من أروع ما كتب في قضية الذوق العام وضوابطها، فضلا عن مؤلفات أخرى سبقته مثل كتاب «نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة» للشيزري (ت٥٩٠هـ).

لا ريب أن نظام الحسبة في الإسلام – كما يقول العلامة مصطفى الشكعة – «هو ذروة ما يمكن أن يفكر فيه الحكم الحصيف، للحرص على راحة الناس وأمنهم ودعتهم، والحفاظ على رفاهيتهم، وتجنيبهم كل أسباب القلق والضيق، وحماية المجتمع أدبيا ومعنويا وماديا، حماية مبسوطة كل البسط، غير محدودة بحدود، ولا مقيدة بقيود، إلا حدود الأمن وقيود الذوق، ولا نكاد نجد حكما معاصرا في أية دولة معاصرة يستعمل مثل هذا الأسلوب من أساليب حماية المواطنين في نطاق وظيفة بعينها، مثل وظيفة الحسبة وصاحبها المحتسب». (٩)

### هوامش

١- مايكل كوك: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفكر الإسلامي، مقدمة رضوان السيد، ص٢٠. الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الثانية – بيروت، ٢٠١٣م.

٢- الغزالي: إحياء علوم الدين ٣٠٦/٢، دار المعرفة – بيروت.

٣- كوك: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ترجمة رضوان السيد وآخرين، ص٢٥.

٤- سيد قطب: في ظلال القرآن ٤٤٨/١، دار الشروق، الطبعة السابعة عشرة، القاهرة، ١٤١٢هـ.

٥- محمد عبدالله دراز: دستور الأخلاق في القرآن، ترجمة عبدالصبور شاهين، ص٥، مؤسسة الرسالة، الطبعة العاشرة، بيروت، ١٩٩٨م.

٦- صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان (٧٨). تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧- ابن كثير: البداية والنهاية، ٨٩/١١.

٨- ابن الأخوة: معالم القربة في طلب الحسبة، ص١٧٠، ١٧١، دار الفنون، كامبردج.

٩- مصطفى الشكعة: معالم الحضارة الإسلامية، ص٨٤.

غياب التنشئة والمسؤولية والرقابة والمحاسبة أبرز أسبابها

# سلبيات المجتمع في مرآة الشرع والفطرة السليمة

إسلام لطفي ومحمد عبدالعزيز
دار الإعلام العربية - القاهرة

- د. إبراهيم الهدهد: المشكلة تبدأ من البيت والمدرسة.. ومنهما أيضا يبدأ الحل
- د. هاشم بحري: عودة التنشئة الأسرية واحترام آدمية المواطن أولى خطوات العلاج
- خبيرة إتيكيت: ضغوط الحياة والتفريط في الدين أفرزا هذه السلبيات
- خبيرة اجتماعية: لابد من تربية النشء على السلوكيات القويمة واحترام الآخرين

## د. عمارة: التدهور السلوكي ليس وليد اللحظة

أكد المفكر الإسلامي د. محمد عمارة في مقال له أن تدهور السلوك لدينا ليس ظاهرة معاصرة، وليس مرتبطا بالاستعمار فقط، ولكننا لدينا تخلف موروث، وألوان من التدهور الاجتماعي، حتى قبل مجيء الاستعمار وما جاء به من علمانية. لكن الوافد الغربي أحدث خللا في المعيار، بمعنى أننا قبل الاحتلال كنا متفقين على موقف واحد لتعريف ما هو الخلل، فالحلال والحرام - رغم وجود التدهور في الماضي - كان هناك اتفاق عليهما، وكان هناك اتفاق على تعريف ما هو القويم وغير القويم في السلوك، ولكن الخلل في المعيار جاء مع قدوم المستعمر الأجنبي، فعندما يكون الميزان صحيحا تعرف أن فلانا على حق في فعله، وأن الآخر على باطل، فماذا يحدث إذا كان الميزان نفسه فيه خلل؟!

وأوضح أن الاستعمار أضاف كما من التدهور وخللا في الميزان الذي يفرق بين الحسن والقبيح؛ فمنذ الدولة الأموية تغيرت الأمور، فحل الجور محل الشورى، لكن نطاق عمل الدولة كان محدودا، فالدولة كانت تفتح البلدان، أما من يجاهد وينشر الإسلام فكان هو الأمة، والأمة هي التي كانت تقوم على أمر التعليم والصحة، وظلت الشريعة هي الحاكمة في نطاق الأمة، والعلماء هم قادتها، وبالتالي ظل الانحراف محدودا.

وأضاف د. محمد عمارة أن القانون المرتبط بالعقيدة كان له انضباط وقوة، فحتى السارق وهو يسرق كان يعلم أن هذا انحراف وحرام وأن عليه الندم والتوبة، وبهذا المنطق الإسلامي نقلل حجم الانحراف ونفتح الأبواب أمام العودة إلى السلوك الاجتماعي السوي، أما القانون الوضعي فهو غير محترم بين الناس الذين يتحايلون عليه لأنه يخالف الشريعة.

تموج مجتمعاتنا الإسلامية اليوم بالعديد من السلوكيات السلبية، التي لا تمت إلى قيم دين الرحمة والتكافل والاحترام والنظافة والأخلاق الحميدة بصلة. ولا تبدأ هذه السلوكيات المرفوضة من علو الصوت والشجار في الطرقات والبصق فيها وحشوها بالنفايات، مرورا بالتحرش والتطاول وانتهاك الحرمات، والتنابز بالألفاظ والألقاب، وعدم الالتزام بآداب المرور والجيرة، وصولا إلى التخلي عن احترام الكبير وتوقيره، وفقدان المعلم هيبته وتطاول التلاميذ عليه، وكذا السخرية من علماء الدين وغياب توقيرهم.. كلها من السلوكيات المرفوضة التي جاء الإسلام بضدها.. «الوعي الإسلامي» سألت عددا من العلماء عن هذه السلوكيات وكيفية علاجها، فإلى ما قالوا:

نبدأ مع دراسة لاستشارية الطب النفسي د. رضوى سعيد، أكدت أن السبب الرئيسي في تدهور السلوكيات المجتمعية هو المشكلات التي تتفاقم داخل المجتمع، لافتة إلى أن هناك علاقة بين المشاكل المجتمعية وسلوكيات الأفراد، فكلما ازدادت هذه المشكلات تدنت سلوكيات الأفراد.

وأوضحت أن الجهل والازدحام والتكدس السكاني والضوضاء تعد عوامل تقلل من قدرة الجهاز العصبي على التحمل، وبالتالي ينفعل الشخص، ثم يتجاوز، ومن هنا يظهر سوء سلوكياته. لذلك، نجد أن سلوكيات الأشخاص الذين يعيشون في الأماكن التي تمتاز بالطبيعة النظيفة والأقل ازدحاما تكون أفضل من سلوكيات من يقيمون في بيئة غير صحية.

### حلقة مترابطة

بينما أشار تقرير للجمعية الوطنية للدفاع عن الحقوق والحريات، إلى أن هناك ظواهر غريبة طارئة على المجتمع المصري أصبحت في تنام وازدياد، ويجب على الدولة والمجتمع أخذ زمام المبادرة بمواجهتها. وأكد التقرير أنه إذا لم تتم مواجهة هذه السلوكيات فإنها سوف تنتشر كما النار في الهشيم، وهي سلوكيات مشينة ترقى إلى مستوى الجرائم مثل «التحرش، هتك العرض، زنا المحارم، الاغتصاب».

وطالب التقرير بضرورة مواجهة هذه السلوكيات بحسم وعدم دفن الرؤوس في الرمال، مشيرا إلى العديد من المظاهر السلبية الأخرى، مثل حالة الفوضى التي يمر بها الشارع، وانتشار البطالة والمخدرات والموبايلات الصينية الرخيصة الثمن، التي أصبحت وسيلة في أيدي المراهقين يتداولون من خلالها مقاطع الفيديوهات الجنسية المقززة، والتي تشكل جميعها حلقة مترابطة من السلوكيات السلبية التي ينبغي التصدي لها.

### ابتزاز تكنولوجي

كما رصد تقرير آخر لمركز تنمية مهارات المرأة أبرز السلبيات التي جدت على المجتمع، وذكر منها مساوئ استخدام التكنولوجيا بطريقة خاطئة تسيء إلى الآخرين وتقتحم خصوصيتهم أو تمارس ضدهم الابتزاز. كما تطرق إلى سلبيات اجتماعية تتكرر يوميا، مثل إلقاء المخلفات والقمامة المنزلية من شرفات المنازل وأبواب السيارات في الشارع، أو وضع هذه المخلفات في أوعية أمام الشقق السكنية من دون غطاء، وإلقاء بقايا الطعام وقشور الفاكهة من وسائل المواصلات المختلفة

أثناء السير، إضافة إلى التدخين داخل وسائل النقل والمواصلات وفي الأماكن العامة.

### الأسرة هي الأساس

إلى ذلك، أكد نائب رئيس جامعة الأزهر د. إبراهيم الهدهد، أن رسول الله ﷺ كما صح في الحديث الشريف عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «إياكم والجلوس في الطرقات». قالوا: يا رسول الله، ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها. قال رسول الله ﷺ: «فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه». قالوا: وما حقه؟ قال: «غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر». فإعطاء الطريق حقه من آداب الذوق العام التي يجب أن يكون المسلمون عليها في تصرفهم في الملتقيات العامة والشوارع.

وأضاف: كف الأذى هنا مبدأ عام.. المراد منه كف الأذى قولا وفعلا، والذي يحدث الآن في الطرقات أمور تقشعر لها الأبدان، حيث يكثر فيها الأذى بالقول أو الفعل، فنرى كثيرا انتهاك الآداب العامة والاعتداء على الذوق العام، فيستغل الإنسان ما أمام بيته أو متجره مما لا يحل له من حق لعامة المسلمين في الشوارع، ويضيق عليهم الطرقات.

وتابع: الأمر الآخر من الذوق العام أيضا المنافي للآداب، هو عدم احترام الصغير للكبير في أثناء جلوسه على قارعة الطريق، سواء كان جالسا أو قائما، حيث مرور الإناث أو الذكور، فليس هناك غض للبصر أو عفة في اللسان، ولا مراعاة لحق الكبير.. مع أن شريعة الإسلام في ذلك واضحة، حيث صح عن النبي ﷺ في حديث عبدالله بن عمرو: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا»، وفي الحديث الذي صححه الألباني: «ليس منا من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه»؛ فهذه أمور وسلبيات كثيرة جدا في المجتمع المسلم ما كان ينبغي أن يأتيها أحد من المسلمين، فمثلا صار من الأمور المعتادة جدا في الطرقات أن يمر كبار السن بينما الصغار من الشباب والغلمان يضعون قدما على أخرى ويتلفظون بألفاظ قبيحة، مع مد أرجلهم في الشارع بحيث لا يستطيع الشيخ الطاعن المرور في الطريق، وإذا استنكر الشيخ الأمر ناله شيء من الألفاظ القبيحة.. كل هذا يعتبر من الأمور التي تعد اعتداء على الذوق العام ولا يرضاها الإسلام.

وأكد أن الأمثلة كثيرة، فمن حفر حفرة أمام بيته ولم يقم بردمها وإصلاح الطريق كما كان، وترتب على ذلك أن يصاب أحد من المارة بسوء، فعليه ذنب وعقاب حسب الواقعة التي تحدث، فمعالم الشريعة واضحة في هذا الأمر. كذلك من المخالفة للذوق العام كسر قواعد المرور، لأنها من الأمور التي تنظم العلاقات في الشارع بين الأفراد والسيارات، فأي مخالفة من هذا القبيل هي مخالفة لشرع الله، وإن القانون يأتي لمصالح الناس كافة، فالناس جميعا في الحق سواء. ونرى كثيرا من المشاجرات التي تحدث، والتكدس جراء ذلك، وهو سوء سلوك من الأفراد، وعدم احترام الذوق العام.

وعن إلقاء القمامة في الشارع، أكد الهدهد أن الرسول ﷺ قال: «طهروا أفنيتكم فإن اليهود لا تطهر أفنيتها»، والأمر ينطبق على الشارع أيضا، فالنظافة من الإيمان، ومعنى هذا أن الإسلام يربط النظافة بالإيمان؛ أيضا النبي ﷺ علمنا أن من رفع شوكا أو عظما أو ما إلى ذلك من الطريق يعد بمنزلة صدقة فقال ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان». فالإسلام يدفعنا إلى أن ننظف شوارعنا، وكل الممتلكات العامة التي يستخدمها المواطنون.

وأشار إلى أن المصطفى ﷺ، تحدث عن أن الإيمان يأمر بالنظافة، وأنه لابد من غسل اليدين، مع وضع اليدين على الفم عند التثاؤب أو العطس.. وكل ذلك المقصود منه في الإسلام عدم إيذاء الآخر، فكل ما فيه إيذاء للآخر وخدش لمشاعره هو من المنهي عنه شرعا، مما هو قائم الآن وما قد يستجد حتى قيام الساعة، لأن هناك أناسا يعانون من حساسية من هذه التصرفات، فربما لو رأى أحدا يبصق أو يدخن في الشارع ترتب عليه أذى، حتى في الصلاة، وكذا عادة التجشؤ التي تؤذي الآخرين، فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال لرجل تجشأ: «كف عنا جشاءك، فإن أكثرهم شبعا في الدنيا أطولهم جوعا يوم القيامة».

وعن الأسباب التي أدت إلى ظهور هذه السلوكيات السلبية في المجتمعات المسلمة، قال الهدهد: الأسباب ترجع إلى التنشئة، لأن البيت هو الأساس في هذا الأمر، وترجع بعد ذلك إلى المدارس التي يتعلم فيها النشء الصغار، فنحن في بيوتنا لا ننتبه إلى الآداب العامة، مع أن الإسلام يأخذ بيد الإنسان ويعلمه كل شيء، فالنبي ﷺ علم الأمة في أحاديث صحيحة كل شيء، حتى دخول الحمام والخروج منه، فالإسلام لم يترك هذه الآداب العامة، إنما فصلها تفصيلا، وعندنا في تراث المسلمين كتب في آداب السفرة والطعام، مع نصوص واضحة من الإسلام تعلم النشء هذا السلوك القويم العالي المستوى، الذي يرفع وضع الإنسان أمام الآخرين، إلا أن البيوت شغلتها شواغل أخرى كثيرة، وأصبح هم كل واحد أن يشتغل بلقمة العيش ثم لا يشتغل بتنشئة من يطعمه، فيكون ذلك الفساد الأعظم.

وعن العلاج، قال: يبدأ من البيوت والمدارس، ولابد من أن تكون لدينا مقررات دراسية للآداب العامة في مراحل التعليم المختلفة، خصوصا في المرحلة الابتدائية والإعدادية والثانوية، وأن توضع الآداب المناسبة لكل مرحلة عمرية؛ فنحن نفتقد الآداب التي يجب أن يتحلى بها الأبناء مع آبائهم، لأن الآباء أنفسهم افتقدوا الآداب المفروض أن يعلموها هم لأبنائهم، فذلك الأمر تعاوني، ولابد من أن يكون هناك تعاون بين الأسرة، مع وجود برامج توعية، وأن يكون هذا اتجاها عاما للدول الإسلامية، لأن التنشئة إذا كانت صحيحة تتحلى بالآداب العامة فكل ذلك يعود بالخير الوفير جدا على المجتمع. نحن الآن نرى الطفل في الشارع يمسك بزجاجة ويضربها في الحائط ويملأ أرض الشارع بالزجاج المكسور، مما يترتب عليه إيذاء الآخرين، فترسيخ الآداب العامة يعود بالخير على المجتمع والدولة والأسرة، لكن الناس لا يفطنون إلى هذا ويفطنون إلى كل شيء يحتاج إليه أبناؤهم من الناحية المادية فقط.

ولفت إلى أن هناك تأثيرات عدة على المجتمع، فبناء الأسرة أصبح متهالكا، وكثر العقوق، وتفكك الأسر، وتقطعت الأرحام. والتأثير الثاني هو على الدولة، فأصبحت الدول تتكلف كثيرا جدا بسبب تنظيف شوارعها. والتأثير الثالث على الفرد نفسه، لأنه يصبح بلا وعي لهذه الآداب، مما يجعله فردا مفسدا في المجتمع.

## حياة آدمية

من جانبه، أوضح رئيس قسم الطب النفسي في جامعة الأزهر د. هاشم بحري، أنه لابد من عودة دور الأسرة في تنشئة أبنائها على سلوكيات مستمدة من الدين، وكذا ضرورة إصلاح التعليم، لأنه يعطي للإنسان ثقة في نفسه، واحتراما لذاته، حتى لا يدخل في مرحلة الانهيار. علاوة على أن تتحمل الدولة مسؤولياتها في توفير فرص العمل، وتهيئة البيئة المعيشية المناسبة التي توفر القدر المناسب من الحياة الآدمية لمواطنيها.

وأكد أن العنف من أبرز الممارسات السلبية الدخيلة على المجتمعات العربية، وهو نوع من تصريف الغضب، ويأتي على شكلين: إما الاعتداء على الآخرين وهو ما نراه في العنف في الشوارع أو التحرش، أو الاعتداء على النفس كما في حالات الإدمان. والحل يكمن في احترام النفس والشعور بقيمتها، فلو شعر الإنسان بقيمته لا يمكن له أن يعتدي على الآخرين أو على نفسه.

وأشار إلى أهمية مبدأ الثواب والعقاب للحد من هذه الظاهرة، وضرورة أن يبادر المجتمع إلى علاجها منذ الصغر.

## أساسيات الفطرة

أما خبيرة الإتيكيت وفن التعامل ماجي الحكيم فقالت: كان المجتمع الشرقي يمتاز بصفات أصيلة، مثل الشهامة واحترام الصغير للكبير، لكن مؤخرا تراجعت هذه القيم نتيجة ضغوط الحياة، فتخلت الأسرة عن التربية في ظل انشغالها بالعمل، وبالتالي نشأت الأجيال خالية من أساسيات الذوق على الرغم من أنها من أساسيات دين الفطرة الإسلام.

وأضافت: الأصل في الإتيكيت هو التعليم الإسلامي، ونحن بطبيعتنا شعوب متدينة، وإذا لم يتعلم المسلم أساسيات دينه، مثل النظافة والحفاظ على الغير وخصوصياتهم وغض البصر، فلن يكون لديه أي صفة من أصول الإتيكيت. فالإشكالية الآن أن الناس ابتعدوا عن دينهم، ونحن في حاجة إلى العودة إلى أصولنا أكثر من التعلم، ويجب علينا أن نعامل الآخرين كما نحب أن يعاملونا.

## ثواب وعقاب

بينما ترى الخبيرة في المركز القومي المصري للبحوث الجنائية والاجتماعية د. سوسن فايد، أن المسألة تعود إلى عوامل كثيرة، أهمها في الأساس التربية والتعليم من خلال الأسرة أولا، ثم من خلال المؤسسات التعليمية، حيث إنه في التنشئة يجب تعويد الطفل وتعليمه الطرق الصحيحة للتعامل مع الآخرين.

وأضافت: الثقافة العامة والضوابط واللوائح التي نضعها في المرور والنظافة والتعاملات على أي مستوى من المؤسسات، لابد من وجود قواعد ولوائح، وأن يكون هناك ثواب وعقاب، لكن في حالة عدم ضبطها تكون الفوضى، مثل ما نمر به الآن، لأنه لا يوجد ثواب وعقاب ومثل أعلى.

وشددت على أنه لابد من وجود هدف مشترك لدى جميع المؤسسات لمناقشة القواعد والضوابط التي تخلق المناسب للالتزام والابتعاد عن المظاهر السلبية. ومعظم الناس يريدون أن يكونوا صورة من المجتمعات المنظمة، لكن غياب المسؤولية والرقابة والمحاسبة تسبب في الوضع السيئ الذي نشهده.

وعن أبرز المظاهر السلبية التي تثير استياءها، قالت إنها تكمن في الشوارع المكدسة بالسيارات وكأنها أصبحت «جراج»، فهناك بعض من يمتلكون سيارات لكنهم لا يستخدمونها، مما يحدث أزمة مرورية، علاوة على أن عدم إعطاء الطريق حقه من مظاهر الفوضى، كما طالبت النساء بأن يلتزمن بالزي الإسلامي، مؤكدة أن هناك أزمة ثقة متبادلة بين الذكور والإناث، ولكي يكون الالتزام كاملا علينا فهم الدين بحق.

# الإسلام والذوق

إسلام عبد التواب
باحث دراسات إسلامية

**لا يزال الإسلام كل يوم يبهر كل من يطالع نصوصه وتشريعاته من المؤمنين به أو غير المؤمنين، حيث يرون في انبهار وإكبار كيف اهتم الإسلام بالقضايا الكبرى من عقائد وتشريعات وعبادات، وصراع بين الحق والباطل، ثم يرون كيف خصص في إحكام جانب من اهتمامه لقضايا يعتبرها البعض جزئية أو هامشية، أو في أحسن الأحوال متروكة لعادات الناس وطباعهم واختلافاتهم.**

فكما اهتم الإسلام مثلا بقضية التوحيد، وحث المؤمنين على الصلاة والزكاة، وكما اهتم بالجهاد في سبيل الله، وسماه: ذروة سنام الإسلام، فإنه أولى اهتماما كبيرا أيضا للذوق في حياة المسلم، وحثه على مراعاة ما يجعل حياته وحياة الآخرين جميلة، ولا ينفر الناس عنه.

وقد بين العلماء أن أصول الشريعة ثلاثة: ضروريات وحاجيات وتحسينيات، والذوق الذي نتحدث عنه يدخل في باب التحسينيات التي تضفي الجمال والراحة على حياة المسلم.

فإذا نظرت إلى آية الاستئذان في سورة النور رأيت عجبا، فالإسلام يتدخل هنا في أمر قد نراه يسيرا بسيطا، وهو: كيف يدخل عليك أولادك وخدمك حجرتك، وكيف ومتى يستأذن عليك أصدقاؤك وأهلك عند زيارتهم لك، فيقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ (النور: ٥٨).

«فالمؤمن إذا كان معه ملك يمين يستأذن عليهم، لأنه قد يكون في حالة لا يرضون أن يروا عليها، فيستأذن عليهم في هذه الأوقات، وهكذا أهل بيته يستأذن عليهم في الأوقات الثلاثة التي بينها الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة... فالخادم سواء كان مملوكا، أو كما نصت عليه الآية، أو غير مملوك من باب أولى، وهكذا من لم يبلغ الحلم من

الصبيان يستأذن في هذه الأوقات الثلاثة، وغير الصبي من باب أولى، والكبير من باب أولى، والمقصود من هذا التحرز من كونه يرى أهل البيت على حالة غير مناسبة، فإذا استأذن استعدوا وحرصوا على أن يكونوا في حالة حسنة».

فهذا التشريع هو مراعاة وتنمية للذوق في نفوس المسلمين في أمر يتكرر يوميا، ويتحرج منه الكثيرون، بينما يفعله الآخرون دون إحساس بالذنب أو الخطأ؛ فجاء التشريع القرآني ليلفت الأنظار إلى أهمية مراعاة الذوق في الاستئذان على الناس في بيوتهم.

وفي مجال تناول الطعام نرى شائعا بين الناس أفعال وتصرفات، تثير اشمئزاز الجالسين، وتصرف نفوسهم عن مشاركة الآخرين هذا الطعام، وربما صرفته عن مصاحبة هذا الجليس، لعدم مراعاته الذوق في آداب تناول الطعام، ولو كان الذوق أمرا هينا لتركه الإسلام ولم يهتم به، ولكن لأهميته وجدنا هذا الحديث يوجه فيه النبي ﷺ إلى بعض آداب وذوقيات تناول الطعام، فعن عمر بن أبي سلمة قال: «كنت غلاما في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا غلام، سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك»، فما زالت تلك طعمتي بعد».

وموقف الرسول ﷺ هنا ضبط سلوكيات الغلام وذوقه في تناول الطعام، وجعل سلوكه يتغير بعد ذلك إلى نهاية عمره، وهذا هو معنى تربية الإنسان على الذوق: أن يجعل الذوق سلوكا بديهيا في كافة جوانب حياته لا يتكلفه تكلفا.

وفي هذا الحديث إشارة إلى الاهتمام بالذوق في تناول الطعام عامة. ومن جوانب الذوق في تناول الطعام، والتي نوصي بتربية أبنائنا، وتوجيه شبابنا إليها: مضغ الطعام والفم مغلق، وعدم الحديث أثناء المضغ، وعدم مزاحمة الآخرين عند وجود أيديهم في الإناء.

وعندما يحثنا الإسلام على عيادة المريض، تجده يأمر بأن نفسح للمريض في الأمل؛ فعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخلتم على المريض فنفسوا له في الأجل، فإن ذلك لا يرد شيئا، وهو يطيب نفس المريض».

وفي معاملة الكبير والصغير يروي سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ أتي بشراب فشرب منه، وعن يمينه غلام، وعن يساره الأشياخ، فقال للغلام: «أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟». فقال الغلام: والله يا رسول الله، لا أوثر بنصيبي منك أحدا، قال: فتلّه رسول الله ﷺ في يده.

وفي هذا الحديث مراعاة للذوق من نواح عدة، حيث راعى رسول الله ﷺ الترتيب بدءا من اليمين، ولكن هذا الترتيب كان يوجب إعطاء الغلام الصغير أولا، بينما يوجد من هم أكبر منه سنا، فاستأذنه رسول الله ﷺ؛ فلما وجد من الغلام إصرارا على أن ينال شرف وكرامة أن يشرب خلفه ﷺ منحه النبي ﷺ الإناء ليشرب منه.

هذه الأمثلة التي سقناها وغيرها الكثير، تدل دلالة واضحة على أهمية الذوق من المنظور الإسلامي، فالحياة ليست أياما تنقضي على أية حال، وهي كذلك ليست مجرد أساسيات وضروريات نحتاجها، لنظل على قيد الحياة بأي شكل من الأشكال، وإنما لابد من تجميلها بالذوق والمعاملة الراقية التي تبهج المسلم، وتجعل حياته جميلة سعيدة هو ومن حوله.

# الفيومي: مفهوم «الإتيكيت» إسلامي

هالة عبدالحافظ
صحفية مصرية

تحول الإتيكيت من ممارسة عملية للرقي والتحضر في المعاملات الإنسانية إلى علم أكاديمي يدرس في الجامعات والمعاهد. واستطاعت خبيرة فن الإتيكيت د. ميسون الفيومي أن تفعل ذلك مع طلابها، وقبل ذلك مع أبنائها (ولدين وبنت)، وتؤكد في كتبها ومحاضراتها أن هذا الفن ذو أصول إسلامية وليس بدعة غربية كما يعتقد كثيرون.

تقول الفيومي: معظم من أدرس لهم هم طلبة أرى لديهم إقبالا شديدا باختلاف الفئات التي ينتمون إليها؛ على اعتبار أن العمل بالخارج يحتاج إلى هذا الفن في التعامل، وقد لاحظت في أثناء الدورات التدريبية التي أحاضر فيها إقبالا من فئات مختلفة.

وتضيف: الإتيكيت فن مرن وليس فيه قواعد ملزمة مثل البروتوكول، وله أصل إسلامي، والنبي محمد ﷺ كان يطبق هذا المفهوم في كل تصرفاته كآداب عامة، والفارق هو في المسمى فقط، فما نسميه نحن «آداب إسلامية» يسمونه هم «إتيكيت».

فالنبي علمنا كيفية التصرف في كل المواقف التي نمر بها على مدار اليوم، منذ الاستيقاظ وحتى النوم، ومن ذلك معاملة الأصدقاء، فالنبي حين كان يسلم على من يصافحه يهز اليد ثلاث مرات، وأشير إلى مدرسة في أميركا تدرس الإتيكيت كانت تؤكد أنه يجب النظر في عين من نسلم عليه، وهذا من آداب الإسلام، إذ كان عليه الصلاة والسلام لا يخفض بصره عمن يسلم عليه، ولا تفارق الابتسامة وجهه، كذلك كان أبوبكر الصديق رضي الله عنه يمثل دور مدير العلاقات العامة بوزارة الخارجية اليوم، فكان يستقبل الوفود التي تأتي لمبايعة النبي ﷺ وينظمها ويشرف على تقديم واجبات الضيافة لها، وهذا موجود في البروتوكولات الآن، فالإتيكيت الغربي معظمه مستمد من الإتيكيت الإسلامي.

وتؤكد الفيومي: إذن لو رجعت إلى جذورك الأولى فستستغني تماما عن الثقافات الغربية؛ لأن النبي ﷺ أرسى دعائم الآداب الإسلامية، والدين لم يترك كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها، ولو كنت ملتزما دينيا فستكون متبعا بالضرورة لقواعد فن الإتيكيت.

# باي شو يي مؤرخ الصين الكبير

عبدالقادر رالة - الجزائر

المؤرخ باي شو يي ١٩٠٩-٢٠٠٠م من أعلام المؤرخين في الصين وشيوخهم، واعترف له عظماؤهم وكبار الباحثين بطول الباع، ودقة المعلومات، وصدق النظر، والبعد عن الشهرة والتعصب القومي، بالإضافة إلى وفرة مؤلفاته التي تدور حول موضوعين رئيسيين، هما: تاريخ الصين، وتاريخ المسلمين في الصين.

«اسمه العربي جمال الدين، ولقبه دجاو لون، أما مسقط رأسه فهو مدينة كاي فنغ بمقاطعة خنان» (١) جنوب الصين. «وهو أحد أعلام التاريخ الصيني، وبالأخص تاريخ الإسلام وتاريخ قومية هوي» (٢)، أكبر القوميات الصينية المسلمة العشر.

وبالإضافة إلى براعته في البحث التاريخي، كانت له اهتمامات بالفلسفة الصينية، وثقافة وتقاليد القوميات الصينية المتنوعة والثرية، وبالأديان والآداب العالمية.

تعلم اللغة العربية في المدارس الخاصة التابعة للمساجد، فتعمق فيها وأتقنها، وفي الوقت نفسه كان يطالع كتب الأدب الصيني الكلاسيكي (باللغة الصينية).

«درس باي شو يي أربع سنوات في مدرسة الإرسالية (التبشيرية) التي كان التعليم فيها أفضل كثيرا من نظام التعليم الصيني ونظام التعليم لقومية هوي في ذلك الوقت. درس باي شو يي اللغة الإنجليزية والعلوم الحديثة في المدرسة، فاستفاد من ذلك في بحوثه ودراساته في ما بعد. ولكنه لم يغير عقيدته، فقد ظل طول حياته مؤمنا بالإسلام وملتزما بتعاليمه» (٣).

وبعد أن تخرج، مارس التدريس في أكبر الجامعات الصينية، في مقاطعة يونان، ونانجينغ وبكين. وبالموازاة مع ذلك كان يكتب المقالات وينشر الدراسات حول التاريخ وفلسفته.

«وأشرف على مجلة «نجوم الفجر»، نصف الشهرية، حيث بدأ نشاطه الأكاديمي حتى صار أحد أكثر علماء عصره شهرة في دراسة قومية هوي» (٤). وقد بدأ يهتم بتاريخ الإسلام في الصين منذ سنة ١٩٣٨م، خصوصا قومية هوي، أكبر القوميات الإسلامية في الصين، والتي تعود أصولها إلى العرب الذين تزوجوا بالصينيات، بينما القوميات الأخرى الأقل عددا تعود إلى أصول تركية ومغولية.

«وفي عام ١٩٤٣م نشرت له مقالة طويلة بعنوان «مختصر تاريخ الإسلام في الصين»، وتعتبر هذه المقالة من أهم الأبحاث التي تعتني بتاريخ قومية هوي أثناء فترة الجمهورية (١٩١١-١٩٤٩م)» (٥).

«قام بكتابة وتحرير موسوعة «أهم الأحداث في التاريخ الصيني»، والتي صدرت في عام ١٩٨٠م، وقد طبعت أكثر من ثلاثين مرة، فصدر منها أكثر من مليون نسخة، وترجمت إلى عدة لغات أجنبية، كالإنجليزية والفرنسية واليابانية والألمانية والإسبانية والكورية والرومانية» (٦)، وبالإضافة إلى تلك الموسوعة الشهيرة فقد ألف العديد من الكتب التاريخية المهمة، مثل تاريخ المواصلات في الصين، ومختصر علم التاريخ.. وكذلك العديد من الكتب حول تاريخ الإسلام في الصين، تعتبر مراجع أساسية في هذا المجال، وأهمها وثائق تاريخ الإسلام في الصين، مختصر تاريخ الإسلام في الصين، ترجمة أعلام قومية هوي، الحياة الجديدة لقومية هوي، انتفاضات قومية هوي عبر التاريخ وغيرها.

«وفي ١٩٩٩م قام بإصدار ٢٢ جزءا من موسوعة تاريخ الصين العام. وتعد هذه الموسوعة العمل النموذجي لإنجازات وإسهامات باي شو يي في القرن المنصرم، وينظر إليها على أنها أعظم المشروعات العلمية في القرن الفائت، وهي من أكثر الأعمال التاريخية وأعلاها مستوى في القرن العشرين» (٧).

## الهوامش

(١) مين شان لين ورفيقه، موجز تاريخ وثقافة قومية هوي، ترجمة أحمد عاشور ورفاقه، دار الشعب، نينغشيا، الصين، ط٢٠١٢م، ص٢٢٦.
(٢) المرجع نفسه، ص٢٢٧.
(٣) لي هواين، مئوية المؤرخ الصيني المسلم باي شو يي، الصين المصورة، يوليو ٢٠٠٩م، بكين، ص٨٦.
(٤) دينغ هونغ ورفيقه، المسلمون في الصين في القرن العشرين، ترجمة يه ليانغ ينغ، دار الشعب، نينغشيا، الصين، ط٢٠١٣م.، ص٢٦.
(٥) موجز تاريخ وثقافة قومية هوي، ص٢٢٧.
(٦) المرجع نفسه، ص٢٢٨.
(٧) المرجع نفسه، ص٢٢٨.

# فضالة بن عبيد.. نموذج حي للتربية

د : مصطفى رجب
أستاذ جامعي - مصر

**تحدث الكتاب العزيز عن الصحابة رضوان الله عليهم في مواضع كثيرة، كقوله تعالى:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ **(المائدة:٥٤). وقد روى الحاكم في المستدرك أن رسول الله ﷺ عندما نزلت عليه هذه الآية، أشار إلى أبي موسى الأشعري وقال: «هم قوم هذا». كما تحدث القرآن عن بعض القبائل التي أظهرت تمسكها بالدين، وحبها لرسول الله ﷺ مثل جهينة ومزينة - فيما روى الإمامان الجلالان - اللتين نزل فيهما قوله الله تعالى:** ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ **(التوبة: ٩٩).**

إلا أن هناك آيتين امتازتا بأنهما تناولتا بصورة مباشرة أوصاف صحابة رسول الله ﷺ وجزاءهم ومكانتهم عند الله سبحانه وتعالى، وعلى هاتين الآيتين وما آزرهما من أحاديث شريفة بنى العلماء أحكامهم الخاصة بالتعامل مع الصحابة، وما ينبغي لهم من التأدب عند ذكرهم.

أما أولاهما فهي قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ (التوبة:١٠٠).

والثانية قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ (الفتح: ٢٩).

هاتان الآيتان هما الأصل فيما يجب على المسلم من التأدب مع جميع الصحابة، فإن الله سبحانه وتعالى اختارهم لصحبة نبيه، ونقل رسالته لمن بعدهم من الأجيال المسلمة. وإلحاق العيب أو النقص بهم، فيه غمز في الشريعة عموما، لأنهم كانوا أوعية نقلها.

## من هو فضالة بن عبيد؟

هو أبو محمد فضالة بن عبيد بن نافذ بن قيس بن صهيب بن أصرم ابن جحجبى الأنصاري الأوسي. شهد بيعة الرضوان، وشهد أحدا - على ما قال الواقدي - والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ثم خرج بعد وفاة النبي ﷺ إلى الشام فسكنها، وتوفي بها سنة ثلاث وخمسين من الهجرة، وقيل: سنة تسع وخمسين في عهد معاوية.

وقد شهد فضالة فتح مصر، وشارك فيه مع الفاتحين، وأقام فيها مدة،

فقد نقلت إلينا كتب السيرة والسنة أنه تولى القضاء والبحر في مصر لمعاوية بعض الوقت، وروى عنه من أهلها: أبو خراش الصحابي، والهيثم بن شفي، وعبد الرحمن بن جحوم وغيرهم.

ولما استقر المقام لفضالة في بلاد الشام ذاع صيته بها، فقد رووا أن الصحابي الجليل أبا الدرداء كان قاضيا على دمشق أيام معاوية، فلما احتضر عاده معاوية، فسأله عمن يرشحه لتولي القضاء بعده، فقال: فضالة بن عبيد، فلما توفي أبو الدرداء، قال معاوية لفضالة: إني قد وليتك القضاء، فحاول فضالة أن يعتذر، فقال له معاوية: «والله ما حابيتك بها (أي: والله ما وليتك هذا المنصب محاباة لك)، ولكني استترت بك من النار».

## فضالة المربي:

كان الصحابي الجليل فضالة بن عبيد واحدا من أولئك الصحابة الذين اعتنوا كل العناية بالفقه والتعلم، فكان يداوم على حضور مجالس النبوة، ويشارك في الغزوات، ويناقش غيره من الصحابة فيما سمعوا - في غيبته - من النبي الكريم ﷺ.

وكان يجمع إلى التفقه والعلم، قوة الشخصية والحزم والشجاعة والورع والتقوى، ولكن تلك الصفات اجتمعت في كثيرين غيره من الصحابة، فما تميز به من بينهم؟

في رأينا أنه تميز بصفة المعلم المربي الذي يحرص على إبلاغ العلم لغيره، والحث على العمل به.

وأدلتنا على ذلك كثيرة منها:

١- أننا تتبعنا مروياته في كتب السنة فوجدنا مروياته يغلب عليها الطابع العملي. فهو من الذين نقلوا عن النبي الكريم ﷺ السنة العملية، أي أفعال النبي ﷺ التي شاهدها فضالة.

٢- أن كثيرا من الأحاديث التي رواها أو رويت عنه كانت ذات صبغة تعليمية. فكثير منها يبدأ بقول أحد تلاميذه: سألنا فضالة عن كذا وكذا، فقال: كذا وكذا.

٣- أن سلوكه - في بعض أحاديثه - كان سلوكا عمليا، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه أن ثمامة بن شفي حدثه قال: كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس، فتوفي صاحب لنا، فأمر فضالة بن عبيد بقبره، فسوّي، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها.

والنسائي في سننه أن ثمامة بن شفي حدثه قال: كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم، فتوفي صاحب لنا، فأمر فضالة بقبره فسوي ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها.

ومن مواقف فضالة التربوية ما رواه الذهبي في سير أعلام النبلاء عن القاسم أبي عبد الرحمن قال: غزونا مع فضالة بن عبيد - ولم يغز فضالة في البر غيرها - فبينا نحن نسرع في السير، وهو أمير الجيش، وكانت الولاة إذ ذاك يسمعون ممن استرعاهم الله عليه، فقال قائل: أيها الأمير، إن الناس قد تقطعوا، قف حتى يلحقوا بك. فوقف في مرج عليه قلعة، فإذا نحن برجل ذي شوارب، فأتينا به فضالة، فقلنا: إنه هبط من الحصن بلا عهد، فسأله فقال: إني البارحة أكلت الخنزير، وشربت الخمر، فأتاني في النوم رجلان فغسلا بطني، وجاءتني امرأتان، فقالتا: أسلم، فأنا مسلم، فما كانت كلمته أسرع من أن رمينا بالزبار فأصابه، فدق عنقه، فقال فضالة: الله أكبر، عمل قليلا، وأجر كثيرا. فصلينا عليه، ثم دفناه (الزِّبار - بتشديد الزاي المكسورة -: نوع من الحجارة الصغيرة).

ففي هذه الرواية درسان تربويان كبيران، أولهما: ما أشار إليه راوي القصة من حسن قيادة فضالة وتبسطه في الحديث مع رجاله، واهتمامه بالاستماع إلى آرائهم والعمل بها إذا وافقت الصواب.

والدرس الثاني: هو سرعة بديهته وحسن تصرفه فور مصرع الرجل، فقد علق على إسلام الرجل الذي جاء سريعا وموته الذي أعقب إسلامه بلسانه.

ومن مواقفه التربوية التي تكشف عن صفة بارزة ينبغي للمعلم والقاضي والحاكم أن يتحلى بها وهي: سعة الأفق، وحسن التصرف، ما روي عن ابن هشام الغساني قال: حدثني أبي عن جدي قال: وقعت من رجل مائة دينار، فنادى: من وجدها، فله عشرون دينارا، فأقبل الذي وجدها. فقال: هذا مالك، فأعطني الذي جعلت لي. فقال: كان مالي عشرين ومائة دينار، فاختصما إلى فضالة، فقال لصاحب المال: أليس كان مالك مائة وعشرين كما تذكر؟ قال: بلى، وقال للآخر: أنت وجدت مائة؟ قال: نعم، قال: فاحبسها ولا تعطه، فليس هو بماله، حتى يجيء صاحبه.

## نماذج من أفكاره التربوية:

ولم يتوقف العطاء التربوي عن

سيدنا فضالة رضي الله عنه عند حدود السلوك العملي، فما نقل إلينا من أقواله يؤكد ما ذهبنا إليه من انطباع شخصيته بطابع المعلم المربي، فقد رووا عنه أنه قال: لأن أعلم أن الله تقبل مني مثقال حبة، أحب إلي من الدنيا وما فيها، لأنه تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة:٢٧).

وعندما سأله أحد تلاميذه أن يوصيه، قال له: خصال ينفعك الله بهن؛ إن استطعت أن تَعرف ولا تُعرف، فافعل، وإن استطعت أن تسمع ولا تكلم، فافعل، وإن استطعت أن تجلس ولا يجلس إليك، فافعل. وهذه الكلمات – على وجازتها – من جوانب التربية السلوكية، فهو يأمره بأن يطلب العلم، ويجالس العلماء، ويسمع منهم، دون أن يسعى إلى الشهرة وحب الظهور، ولا يتوهمن متوهم أن هذه الوصية تدعو إلى كتمان العلم وعدم نشره، كما يظهر من قوله: (وإن استطعت أن تسمع ولا تكلم ) فحاشا لصحابي جليل مثل فضالة أن يذهب هذا المذهب، وهو يعلم أن الجزاء الشديد الذي توعد الله تعالى به الذين يكتمون ما آتاهم الله من البينات والهدى. فهو لا يدعو تلميذه إلى العزلة أو كتمان العلم. فسلوكه العملي رضي الله عنه عندما استعفى معاوية من القضاء فلم يجد أذنا صاغية، فقبله على غير رضا، يدل على أن العالم إذا أسند إليه منصب أوجب عليه تبليغ أحكام الله وما عنده من العلم أذعن واستجاب، سعيا لأن يكون من الأئمة الذين يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ولكنه رضي الله عنه قصد بهذه الوصية أن يبث في نفس تلميذه الذي سأله الوصية، روح التواضع، وتجنب حب الظهور، والحرص على التقوى، واجتناب التسرع في بث العلم قبل العمل به.

ومن آراء فضالة التربوية المأثورة أيضا قوله: «ثلاث من الفواقر، إمام إن أحسنت، لم يشكر، وإن أسأت، لم يغفر، وجار إن رأى حسنة دفنها، وإن رأى سيئة أفشاها، وزوجة إن حضرت آذتك، وإن غبت خانتك، في نفسها وفي مالك». فهذه ثلاث آفات إذا أصابت مجتمعا تفككت أوصاله، وساء حاله، وفاضت به أوحاله، فالزوجة سكن لزوجها يطمئن إليها، والجار سند لجاره يحفظ غيبته، ويرعى حرمته، ويقيل عثرته فإذا ساءت أحوال الزوجة والجار، فلنا أن نتصور كم تكون الحياة إذ ذاك قاسية على صاحبها. وتزداد قسوتها إذا كان إمامه (بمعنى رئيسه الأعلى) لا يرعى حقوق مرؤوسيه، فلا يعرف أقدارهم، ولا يقبل أعذارهم.

## التربية العملية في السنة من خلال مرويات فضالة:

كما قلنا في صدر هذا الحديث، كان سيدنا فضالة رضي الله عنه ممن يهتمون برواية السنة العملية مما شهده حال صحابته للنبي الكريم ﷺ، وقد حفلت كتب السنة بنماذج سلوكية للتربية العملية في السنة رواها فضالة بن عبيد رضي الله عنه فمن ذلك:

١- ما أخرجه مسلم في صحيحه بسنده: أخبرني أبو هانئ الخولاني أنه سمع علي بن رباح اللخمي يقول: سمعت فضالة بن عبيد الأنصاري يقول: أتي رسول الله ﷺ وهو بخيبر بقلادة فيها خرز وذهب، وهي من المغانم تباع، فأمر رسول الله ﷺ بالذهب الذي في القلادة فنزع وحده، ثم قال لهم رسول الله ﷺ: الذهب بالذهب وزنا بوزن.

٢- ما أخرجه مسلم بسنده في صحيحه عن فضالة بن عبيد قال: كنا مع رسول الله ﷺ يوم خيبر نبايع اليهود الوقية الذهب بالدينارين والثلاثة، فقال رسول الله: ﷺ لا تبيعوا الذهب بالذهب، إلا وزنا بوزن.

٣- ما أخرجه الترمذي في سننه بسنده عن أبي هانئ الخولاني أن أبا علي عمرو بن مالك الجنبي أخبره عن فضالة بن عبيد أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى بالناس، يخر رجال من قامتهم في الصلاة من الخصاصة، وهم أصحاب الصفة، حتى يقول الأعراب: هؤلاء مجانين أو مجانون، فإذا صلى رسول الله ﷺ انصرف إليهم، فقال: لو تعلمون ما لكم عند الله، لأحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة. قال فضالة وأنا يومئذ مع رسول الله ﷺ.

٤- ما أخرجه الترمذي في سننه بسنده عن أبي هانئ الخولاني عن أبي علي الجنبي عن فضالة بن عبيد قال بينا رسول الله ﷺ قاعد إذ دخل رجل فصلى، فقال: اللهم اغفر لي وارحمني، فقال رسول الله ﷺ: عجلت أيها المصلي، إذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو أهله، وصل علي، ثم ادعه، قال: ثم صلى رجل آخر بعد ذلك، فحمد الله وصلى على النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: أيها المصلي ادع تجب.

٥- ما أخرجه النسائي في سننه عن مكحول عن ابن محيريز قال: سألت فضالة بن عبيد عن تعليق يد السارق في عنقه؟ قال: سنة. قطع رسول الله ﷺ يد سارق، وعلق يده في عنقه.

لقد كان لذلك الصحابي الجليل كثير من التلاميذ الذين رووا عنه، منهم: حنش الصنعاني، وعبد الله ابن محيريز، وعبد الرحمن بن جبير، وعمرو بن مالك الجنبي، وعبد العزيز بن أبي الصعبة، والقاسم أبو عبد الرحمن، وعلي ابن رباح، وميسرة مولى فضالة.

# الشيخ الدكتور عبدالسلام الهراس في ذمة الله

التحرير

فقدت الأمة الإسلامية، منذ عدة أيام، أحد رجالات الدعوة والوعظ والإرشاد في المغرب، وعضوا مؤسسا في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، الشيخ الدكتور عبدالسلام الهراس، والذي وافته المنية بمدينة فاس صبيحة يوم الجمعة ١ جمادى الأولى الموافق ٢٠ فبراير ٢٠١٥م، عن عمر ناهز ٨٥ عاما، مخلفا وراءه إرثا فكريا وعلميا ودعويا مهما.

ولد الشيخ الدكتور عبدالسلام الهراس رحمه الله في المغرب في مدينة «شفشاون» سنة ١٩٣٠م، ونشأ وترعرع فيها، ثم أكمل دراسته الجامعية والأكاديمية، وشاهد ملاحم الجهاد ضد الاستعمار، وقد دون شهاداته على تلك الحقبة التاريخية في جريدة التجديد المغربية في سنتي ٢٠٠٣ و٢٠٠٤م.

وعاصر رحمه الله كبار المفكرين والأدباء والدعاة والمصلحين في العالم العربي والإسلامي، أبرزهم المفكر الجزائري مالك بن نبي رحمه الله، حيث عاش معه في القاهرة وبيروت ودمشق، واستفاد منه كثيرا.. وساهم في طبع ونشر بعض كتبه التي لاقت قبولا واسعا في العالم الإسلامي.

درس الابتدائي والثانوي بمسقط رأسه، ثم بالقرويين بفاس.

- ثم بالكلية الشرعية ببيروت بلبنان.

- ثم الليسانس في الحقوق جامعة محمد الخامس، المغرب (١٩٦١م).

- ثم دكتوراه الدولة من جامعة مدريد، كلية الآداب مدريد (١٩٦٦م).

وجال في عدة عواصم عربية منها القاهرة وبيروت ودمشق، وعاش معظم حياته بفاس وبها توفي رحمه الله.

للشيخ الهراس رحمه الله حضور ملموس، ومشاركات إيجابية رصينة في كل الاجتماعات في الهيئة الخيرية وفي اتحاد العلماء، وفي كافة اللقاءات، تميز فيها بحرصه البالغ على سلامة الدين واللغة والأخلاق من التحريف والتزييف والتمييع.

وقد ساهم في التدريس العلمي الأكاديمي من خلال عمله الآتي:

- أستاذ بجامعة محمد بن عبد الله بفاس، ورئيس قسم اللغة العربية وآدابها.

- جامعة مدريد كلية الآداب، إسبانيا، قسم اللغات الشرقية.

- جامعة الإمام محمد بن سعود، كلية اللغة.

- جامعة القاهرة، كلية الآداب، القسم الإسباني.

- الجامعة الإسلامية، ماليزيا.

وعضو المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية.

وأشرف على أكثر من خمسين دكتوراه وماجستير في الأدب الأندلسي، والفكر الإسلامي والدراسات الإسلامية.

هذا، وكان الشيخ الهراس رحمه الله مدرسة ربانية ربت أجيالا وأجيالا من رجالات الدعوة والفكر الإسلامي.

وللشيخ الهراس رحمه الله العديد من الإنجازات العلمية، والتحقيقات الرصينة، والمؤلفات القيمة، ومنها:

. «قصة الأندلس من الفتوح إلى النزوح»، صدر منه الجزء الأول.

. أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) وإدارة الأزمات.

. - سعادة المرأة في ظل الإسلام.

. كما نشرت له العديد من الكتابات في الصحف والمجلات العلمية منها: «المناهل»، و«دعوة الحق»، و «البحث العلمي».

. تحقيقه لـ(التكملة لابن الأبار).

. مشاركته في تحقيق (أزهار الرياض في أخبار عياض) لشهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني.

. تحقيق (ديوان ابن الأبار البلنسي).

. (صلة الصلة) لابن الزبير الغرناطي.

. (درر السمط في خبر السبط).

وبفقده تكون الأمة الإسلامية قد فقدت واحدا من علمائها الربانيين المربين، نرجو من الله العلي القدير أن يغفر له، ويرحمه.

# الرسول ﷺ.. داعيا ومعلما

السنوسي محمد السنوسي
باحث مصري

الدعوة والتعليم، أو الداعية والمعلم.. مجالان متداخلان، متناسقان، يبدوان على درجة من الترابط قد تصل إلى حد التطابق، ومن ثم فطبيعي أن يعرف النبي ﷺ بأنه «داع» و«معلم».

وقد ورد هذان الوصفان بحق النبي ﷺ في القرآن الكريم وهو يعدد لنا مهام «الرسالة» التي أمره الله بتبليغها، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦﴾ (الأحزاب: ٤٥- ٤٦).

وقال أيضا: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢﴾ (الجمعة: ٢).

ومن الملاحظ في هذا الشأن، أن وظيفة «التعليم» ترد أيضا منسوبة إلى النبي ﷺ في دعاء خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام حين كان يدعو لذريته- وهو يرفع القواعد من البيت- أن يرسل الله لهم نبيا يتلو عليهم آياته ويعلمهم ويزكيهم، فقال كما قص القرآن الكريم عنه: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩﴾ (البقرة: ١٢٩).

كما وردت كذلك في مقام الامتنان من الله سبحانه على عباده المؤمنين، فقال تعالى: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤﴾ (آل عمران: ١٦٤).

أما في السنة النبوية، فقد عرف النبي ﷺ نفسه بأنه «معلم»، فقال فيما رواه جابر بن عبدالله رضي الله عنه: «إن الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا، ولكن بعثني معلما ميسرا» (رواه مسلم).

فحينما يوصف الرسول ﷺ بأنه «داع» وأنه «معلم»، فهذا يشير إلى ترابط هذين الوصفين، وإلى مدى التناغم العميق بينهما.

وما أبلغ وصف النبي ﷺ بأنه «معلم»! إنه وصف دقيق يلخص في أمانة وإحاطة حاله وهو يدعو الناس ويرشدهم ويزكيهم، فقد كان ﷺ «معلما» بكل ما تحمل الكلمة من قيم ومعان وسلوكات ومهارات، مما كشفت عنه العلوم التربوية الحديثة.

لم يكن ﷺ يلقي على الناس مواعظه دون أن يتخير الكلمات والعبارات، ولا دون أن يراعي أحوالهم واختلاف أفهامهم، ولا دون أن يظهر لهم الشفقة والحرص على حاضرهم وآخرتهم، ولا دون أن يحاورهم ويناقشهم ويزيل عنهم الشبهات والاستفسارات.. بل كان ﷺ يسلك في دعوته مسلك «المعلم».

وما أنجح الداعية حين يكون معلما، وليس مجرد واعظ يردد كلمات لا روح فيها، ولا مهارات تصاحبها!

إن «الدعوة» رسالة وأمانة، لا وظيفة بالمعنى الروتيني الجاف.. وكذلك «التعليم»، فهو لا يؤتي أكله إلا إذا كان رسالة نابضة بالحيوية، وكان المعلم مستشعرا لعظم الواجب المنوط به، متحليا بالمهارات اللازمة لإيصال الرسالة التعليمية لطلابه.

## قواسم مشتركة

وفيما يتصل بالصلة الوثيقة بين «الدعوة» و«التعليم»، ثمة قيم ومهارات كثيرة، تعكس أوجه التشابه والتقارب بين هذين المجالين.. ويكفينا في هذا المقام أن نشير إلى ثلاث من هذه القيم والقواسم المشتركة، وأن ندلل عليها من حياة النبي ﷺ ومواقفه، بما يكشف لنا كيف كان ﷺ «داعيا» بمهارات المعلم، و«معلما» بقيم الداعي، وكيف مزج ﷺ بينهما على نحو يستحث دعاتنا في الواقع المعاصر أن يستفيدوا منه في تجديد صلتهم ووسائلهم بجمهور المدعوين وقضاياهم الراهنة.

## القاسم الأول: الرفق

يقال: «(رفق) به، وله، وعليه: لان جانبه وحسن صنيعه»(١). والرفق صفة نفسية جامعة دالة على حسن الخلق، ولين الجانب، وزكاء النفس.. ولهذا كانت هذه الصفة ضرورية للداعية والمعلم، وقاسما مشتركا بينهما.

ولنا أن نتصور النتائج الكارثية حين يشتغل بالدعوة أو التعليم من يسلك سبيل الغلظة والقسوة والزجر! إن هذا الشخص لهو عبء على الرسالة التي يحملها، والوظيفة التي يشتغل بها، وهو حتما سيفسد حتى لو أراد أن يصلح!

وكم من أناس تُرك عندهم انطباع سيئ عن الإسلام، أو عن عموم الدعاة، نتيجة كلمة أو موقف لداعية غاب عنه الرفق!

وكم من طلاب تسربوا من التعليم، وصاروا أبناء للمجهول، أو لما يضر بالمجتمع، بسبب تعنت مدرس وغلظته!

إن الدعوة والتعليم لا يصلح لهما إلا الرفيق الرحيم، الذي امتزجت نفسه بنبل رسالته حتى يفيض حنوا وشفقة على من حوله، ويكون- بحق- عنوانا لما يبلغه، وداعيا بحاله قبل مقاله.

لقد كان النبي ﷺ يعالج الأخطاء برفق، دون أن يفاقم المشكلة أو يحرج المخطئ، مما جعل أحد الصحابة ينطق بكلمة جامعة لحسن أخلاقه ﷺ، وذكائه في التعامل مع المواقف الحرجة، فقال: «ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه».

روى معاوية بن الحكم السلمي قال: «بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله. فرماني القوم بأبصارهم. فقلت: واثُكل أمياه، ما شأنكم تنظرون إلي! فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني. لكني سكت. فلما صلى رسول الله ﷺ، فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه، فوالله ما كهرني (أي: ما انتهرني) ولا ضربني ولا شتمني، قال: إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن» (رواه مسلم).

قال النووي تعليقا على الحديث الشريف: «فيه بيان ما كان عليه رسول الله ﷺ من عظيم الخلق الذي شهد الله تعالى له به، ورفقه بالجاهل، ورأفته بأمته، وشفقته عليهم. وفيه التخلق بخلقه ﷺ في الرفق بالجاهل، وحسن تعليمه واللطف به، وتقريب الصواب إلى فهمه»(٢).

### القاسم الثاني: التدرج

إن «التدرج» سنة كونية وتشريعية، فقد خلق الله السموات والأرض في ستة أيام، ولو شاء لجعلها في لحظة أو أقل، بأمره: كن. كما أن التشريع الإسلامي ظل يتوالى في ثلاث وعشرين سنة، ولم ينزل جملة واحدة، ناهيك عن أن الحكم الواحد أخذ صورا متدرجة في التشريع حتى استقر، مثل مسألة تحريم الخمر، لكي تستوعبه النفس البشرية، ولا يثقل عليها أو ترغب عنه.

وإذا كان التدرج سنة كونية وتشريعية، فإنه اتساقا مع ذلك يعد أمرا لازما في

## كان ﷺ «داعيا» بمهارات المعلم.. و«معلما» بقيم الداعي

مجالي الدعوة والتعليم، إضافة إلى أنه يرتبط ارتباطا وثيقا بفقه الأولويات، وترتيب سلم الأحكام والمفاهيم، لأننا إذا أخذنا بالتدرج فمن غير المتصور أن نبدأ بالأقل أهمية، أو بصغائر الأمور، بل نبدأ بالأهم، فالمهم، فالأقل أهمية.

في تعليم «اللغة» مثلا، نبدأ بحروف الهجاء، ثم بالكلمات، ثم بتركيب الجمل، ثم بالنحو والصرف، فالبلاغة... وفي «الرياضيات»، نبدأ بالتعرف على الأرقام، ثم بالعمليات الحسابية البسيطة مثل الجمع والطرح، ثم العمليات المركبة... إلخ.

والأمر يسير على هذا المنوال في «الدعوة»، فنبدأ بالعقيدة بمعانيها الواضحة التي تغرس محبة الله وخشيته في القلب، ثم بالعبادات وأولها الصلوات الخمس.. إلخ، بحيث لا نؤخر ما حقه التقديم، ولا نقدم ما حقه التأخير.

لكن حين يغيب عن الداعية أو المعلم مفهوم التدرج - وفقه الأولويات - فإنه لاشك سيقع في خلل كبير، ولن يحقق الفائدة المرجوة من الدعوة أو التعليم.

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فحين أرسل معاذ بن جبل إلى اليمن، أوصاه بأن يتدرج في الدعوة، بادئا بالأهم فالمهم، فقال له: «إنك ستأتي قوما أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب» (رواه البخاري).

### القاسم الثالث: الحوار

والدعوة أو التعليم ليست عملية صماء، تعتمد على التلقين، والإرسال من طرف واحد، بل هي عملية تبادلية، تقوم على الأخذ والرد، وعلى التواصل والاتصال، وعلى استنطاق الإجابة من عقل المتلقي، وتعويده أن يقلب بنفسه الأمر على وجوهه حتى يصل باقتناع تام إلى النتيجة، لأن اقتناعه بها حينئذ يكون أشد رسوخا وثباتا، مما لو تم تلقينه إياها ابتداء دون حوار. فالحوار يؤكد الحقيقة في نفس المتلقي وعقله، ويقطع الطريق أمام محاولات تشكيكه فيها.

وحين جاء شاب إلى النبي ﷺ يسأله أن يأذن له بالزنا، ما كان أيسر على النبي ﷺ أن يبادره بالقول إن هذا حرام ومنكر، بل أن يزجره لمجرد التفكير في هذا الأمر المخالف للفطرة السوية.. لكنه ﷺ- وهو الداعي المعلم- أخذ يسأله في الأمر، ويقلبه له على كل أوجهه، ليصل بنفسه إلى النتيجة التي يريدها النبي ﷺ، فهذا أثبت للنتيجة في قلب الشاب، وأدعى أن يلتزم بما خلص هو إليه، لا بما أملي عليه، ولو كان حقا ومن سيد البشر ﷺ(٣).

بهذه الثلاثية التي أشرنا إليها بإيجاز (الرفق، والتدرج، والحوار) يتضح لنا كيف كانت سيرة النبي ﷺ نموذجا عمليا للمزج بين الدعوة والتعليم، وتوظيف إيجابيات كل منهما في المجال الآخر، سعيا إلى حسن التواصل مع المخاطبين، وعرض الفكرة في أحسن صورة من الوضوح والإقناع والتأثير.

### الهوامش

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص: ٣٧٥، طبعة مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٨م.

(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم.

(٣) عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: «إن فتى شابا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا. فأقبل القوم عليه فزجروه، قالوا: مه مه. فقال: ادنه. فدنا منه قريبا، قال فجلس، قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا، والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم. قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا، والله يا رسول الله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم. قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا، والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم. قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا، والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم. قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا، والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم. قال: فوضع يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه. فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء» (رواه أحمد).

# سرقة بطاقات الائتمان الإلكترونية في التشريع الجنائي الإسلامي

د. رضا عبدالحكيم رضوان
أكاديمي متخصص في التشريع الجنائي

بطاقة الائتمان الإلكترونية عبارة عن نظام مصرفي حديث النشأة، حيث تقوم هذه البطاقة مقام النقود الاعتيادية في الوفاء والضمان، ويطلق عليها بطاقة الوفاء visa card.

ترصد الدوائر الأمنية والجنائية الجرائم المتصلة بهذه البطاقة، كسرقتها وتزويرها، أو استعمالها من قبل الغير والاستحواذ على أموال أصحاب البطاقات والمودعة في الحسابات البنكية، أو التقاط أرقامها السرية حين استعمالها عبر شبكة الإنترنت ومن ثم الاستيلاء على أموال أصحابها، كذلك إساءة استخدام تلك البطاقات من قبل حامليها.

تتولى البنوك إصدار هذه البطاقة إلى عملائها الذين لديهم حسابات مصرفية، وهي تسمح لحاملها بسحب أو تحويل نقود من حسابه. والبطاقة بلاستيكية الصنع، تحتوي على شريط ممغنط يتضمن بيانات عن حساب العميل لدى البنك، كما تتضمن شريطا لاصقا مدونا عليه توقيع صاحب الحساب، بالإضافة إلى صورة شخصية للعميل.

إن هذه البطاقة وليدة عقد اتفاق رضائي يتم بين العميل والمصرف أو البنك، والشريعة لا تمانع التصرفات العقدية طالما روعيت مبادئها العامة الكلية، كما نص عليها الفقهاء، كتلافي الغرر والربا المحرم وغيرهما.

تستخدم البطاقة في نوعين من التعامل:

**أولا - وظيفة الوفاء**

حيث يستخدمها العميل في دفع ثمن مشترياته من شخص أو جهة ما، فيتقاضى البائع مستحقاته من حساب العميل، والبنك يضمن تنفيذ ذلك، وقد جرى العمل على خصم المبلغ من حساب العميل المشتري وإيداعه حساب البائع.

**ثانيا - وظيفة سحب النقود**

أي سحب مبلغ نقدي من ماكينة السحب الآلي الخاصة بالمصرف (الصراف الآلي)، أو ببنوك أخرى بناء على اتفاق سابق على صلاحية السحب بالبطاقة نفسها من عدة مصارف عن طريق إقامة شبكة من الاتصالات بين تلك المصارف تسمح بمعرفة حساب العميل وتلبية طلبه في السحب وخصم المبالغ النقدية المسحوبة بين تلك المصارف.

يدرس شراح القانون الجنائي الجرائم الناشئة عن استخدام بطاقة الائتمان الإلكتروني، وقد صنفوا أنواع هذه الجرائم ما بين إساءة استخدامها من قبل مالك البطاقة، أو الغير، أو تزوير البطاقة واستخدامها في الاستيلاء على الأموال.

والنماذج التجريمية السابقة لا تثير مشكلات بشأن العقوبة الواجبة التطبيق، وذلك من وجهة نظر شرعية، لسبب بسيط، وهو استيعاب نظام التعزير الإسلامي لجميع الجرائم الناشئة عن التقدم العلمي والتكنولوجي، أيا كان شكل الجريمة أو نمط ارتكابها. فالتعزير يطبق حيث لا تكون الجريمة مصنفة ضمن الحدود الشرعية، ويعرف الفقهاء التعزير بأنه «تأديب على ذنوب لم تشرع فيها الحدود» (١)، أو «هو العقوبة المشروعة على جناية لا حد فيها» (٢).

وبالنسبة إلى جرائم بطاقة الائتمان الإلكتروني، يملك النظام القانوني

الوضعي، والشريعة تتفق معه في ذلك - بمراعاة القواعد المنصوص عليها في التعزير شرعا - في تقرير عقوبات الحبس والغرامة، ضد مرتكبي هذه الجرائم، سواء كانت مادتها إساءة استخدام أو تزوير.

وتدق المسألة، في شأن اختلاس الجاني بطاقة غيره واستعمالها في الاستيلاء على الأموال المودعة بالمصرف.. فهل يعد الجاني هنا سارقا بالمعنى الشرعي؟ ذلك أن التشريع الإسلامي يوجب القطع حدا، ولا اجتهاد للمنظم القانوني في هذا، ولا يملك سلطة تقديرية، إذ يلتزم الحاكم (ولي الأمر المنظم القانوني) بما جاء في المصدرين السماويين.

صورة الجريمة هنا أن الجاني اختلس بطاقة المجني عليه، ثم ولج إلى المصرف وحيث باشر المصرف تنفيذ طلبات الجاني، وذلك بالوفاء أو السحب وفق التقنيات الإلكترونية المطبقة.

لقد مثل هذا الفرض معضلة لدى شراح القانون الوضعي وفلاسفته على إثر التقنيات المستحدثة. والأمر على خلاف ذلك في شرعتنا التي كيفت التصرف بأنه سرقة، فيجب حد الجاني، وذلك جانب من الإعجاز التشريعي الذي تفرد به النظام الجنائي الإسلامي على جميع القوانين الأرضية.

إن المستقر عليه عند جمهور الفقهاء، أن السرقة يشترط فيها أن تكون من حرز، فان لم تكن من حرز فلا قطع على السارق (٣).

واستدلوا على ذلك بما رواه عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده (٤)، من أن النبي ﷺ سئل عن التمر المعلق فقال: «من أصاب بفيه من ذي حاجة غير متخذ خبنة (٥)، فلا شيء عليه، ومن خرج بشيء منه فعليه غرامة مثليه والعقوبة، ومن سرق منه شيئا بعد أن يؤويه الجرين (٦)، فبلغ ثمن المجن (٧)، فعليه القطع، ومن سرق دون ذلك فعليه غرامة مثليه والعقوبة» (٨).

قال ﷺ (٩): «لا قطع في ثمر معلق ولا في حريسة (١٠) جبل، فإذا آواه المراح (١١) أو الجرين فالقطع فيما يبلغ ثمن المجن» (١٢).

والحديث الأول يستفاد منه اشتراط الحرز، والحديث الثاني أوجب الحرز في سرقة الثمر المعلق في الشجر والشاه إذا كانت في المرعى فيقاس عليهما غيرهما (١٣).

إن «الحرز» مادة دراسة داخل «فقه السرقة»، وقد عدد الفقهاء صورا ونماذج للحرز، منها: حرزية البيت، وحرزية الخيمة، وحرزية القبر للكفن، وحرزية الجيب والكم، وحرزية الراعي والسائق وقائد الماشية، وحرزية الحمام، وحرزية المسجد.

والمقصود بالحرز هو المحافظة على الممتلكات من السرقة، وقطع أي شبهة في التفريط من طرف مالكيها. ولما كان الحفظ قد يحصل بإحراز هذه الأموال في أماكن تؤمنها الناس من السرقة - قد يكون بحراستها من طرف مالكها أو من يقيمه لحفظها - فقد قسم الفقهاء الحرز إلى نوعين: حرز بالمكان وحرز بالحافظ.

والحرز يحدده العرف، وما جرت عليه المعاملات الناشئة عن التطور الحضاري. لذا، سبر علماؤنا تطبيقات معاصرة لاصطلاح «الحرز»، مثل: السيارة، وكاميرات المراقبة وكلاب الحراسة، ماكينات الصرف الآلي.

ومما لاشك فيه أن الجاني مختلس البطاقة يستخدمها في الدخول الإلكتروني فيحصل على مال الغير أو يتصرف فيه لمصالحه الخاصة إضرارا بغيره، فإن الموافق لرأي جمهور الفقهاء أن مثل هذا الجاني يعد سارقا، ذلك أن المصرف الآلي هو «حرز»، فيما سماه علماء الشريعة «حرز بالحافظ»، ذلك أن فرضية الحرز تضم نوعين من الأحراز: الأول: حرز المكان، والثاني: حرز بالحافظ. ويدخل الأنموذج التجريمي محل البحث في النوع الثاني كما أثبتت الدراسة. ولذلك، يؤخذ الجاني بحد السرقة؛ تنفيذا للنص الشرعي الجازم، قال بعزته:

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ (المائدة:٣٨).

## الهوامش

(١) الأحكام السلطانية ٢، ص:٢٣٦.

(٢) المغنى:٥٢٣/١٢.

(٣) بدائع الصنائع:٧١/ ١٠٩، والبحر الرائق:٦:١٥، والكافي في فقه أهل المدينة:١٠٨٠/٢، والمقدمات الممهدات:٢٠٩/٣، وأحكام القرآن لابن عربي:١١١/٢، وبداية المجتهد:٤٤٩/٢، والأم:٢٠٥/١٦، والحاوي:١٣٩/١٧، وروضة الطالبين:٧/ ٣٣٦.

(٤) انظر: العدة في شرح العمدة:٣١٥/٢.

(٥) في القاموس المحيط، ص:١٥٣٩، الخبنة بضم الخاء: ما يحمله الشخص في حضنه، من خبن الطعام إذا غيبه وخبأه للشدة.

(٦) موضع تجفيف التمر، انظر: لسان العرب:٨٦/١٣.

(٧) وهو الترس، انظر لسان العرب:٤٠٠/١٣.

(٨) أخرجه أبوداود في الحدود، باب ما لا قطع فيه (١٤ ٥٥٠-٥٥٠ رقم: ٩٠ ٤٣) والنسائي في قطع السارق، باب الثمر يسرق بعد أن يؤويه الجرين (٤٥٩/٨ - ٤٦٠، رقم ٤٩٧٣).

(٩) انظر: المهذب:٤٢٢/٥، والذخيرة:١٥٨/١٢.

(١٠) في تفسير غريب الموطأ:٤٢٦/١-٤٢٧ (الحريسة هي كل ما رعى في الجبل والمسارح من الماشية والدواب).

(١١) في تاج العروس:٤١٩/٦ (المراح بضم الميم، المكان الذي تأوي إليه الإبل والغنم بالليل).

(١٢) أخرجه النسائي في السارق، باب الثمر المعلق يسرق: (٤٥٩/٨، رقم ٤٩٧٢).

(١٣) المهذب:٥: ٤٢٢-٤٢٣، والذخيرة: ١٥٨/١٢: ١٥٨/١٢.

## المراجع


- علي عدنان الفيل (٢٠١٣م)، المسؤولية الجزائية عن استخدام بطاقة الائتمان الإلكترونية (دراسة مقارنة) مجلة الحقوق، العدد:٣، السنة:٣٧.
- يوسف مطلق المطوطح (٢٠١٤م)، البطاقة الائتمانية من الناحية القانونية، مجلة الحقوق، العدد:١، السنة:٣٨.
- عبدالرحمن بن سليمان الربيش (٢٠٠٩)، الحرز وأثره في جريمة السرقة، مجلة البحوث الأمنية، مجلد:١٨، العدد:٤٤.

# العالم الجاهل في الفكر الإسلامي

د. مسعود صبري
باحث في الموسوعة الفقهية - الكويت

جعل الله تعالى للعلماء المكانة العلية، فعلمهم الكتاب والحكمة، وفقههم في الدين، وعلمهم التأويل، وفضلهم على سائر المؤمنين، فرفعهم بالعلم، وزينهم بالحلم؛ لأن بهم يعرف الحلال من الحرام، والحق من الباطل، والضار من النافع، والحسن من القبيح. ولذا، كان فضلهم عظيما، وخطرهم جزيلا، فهم ورثة الأنبياء، وقرة عين الأولياء، حتى إن الحيتان في البحر لهم تستغفر، والملائكة بأجنحتها لهم تخضع، والعلماء في القيامة بعد الأنبياء تشفع، فهم في الشفاعة دون الأنبياء وفوق الشهداء، مجالسهم تفيد الحكمة، وبأعمالهم ينزجر أهل الغفلة، هم أفضل عند الله من العابدين، وأعلى درجة عند الله من الزاهدين، حياتهم للعباد غنيمة، وموتهم للعالمين مصيبة، يذكرون الغافل، ويعلمون الجاهل، وجميع الخلق إلى علمهم محتاج، من أطاعهم رشد، ومن عصاهم عند، وهم مرجع الناس جميعا، حكاما ومحكومين، فبقول العلماء يحكمون، وعليه يعولون، فهم سراج العباد، ومنار البلاد، وقوام الأمة، وينابيع الحكمة، هم غيظ الشيطان، بهم تحيا قلوب أهل الحق، وتموت قلوب أهل الزيغ، مثلهم في الأرض كمثل النجوم في السماء، يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، وقد دل القرآن على فضلهم، مرشدا إلى مكانتهم، فهم أخوف الخلق من الله، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ (فاطر:٢٨)، وهم أعلى الناس عنده يوم القيامة درجات، كما قال ربنا سبحانه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ (المجادلة:١١).

هذه هي الصورة الواجبة للعلماء، ولكن ابتليت الأمة على مر عصورها بصنف آخر من العلماء، سماهم السابقون العلماء الجهال، والعلماء الجبارين، والعلماء الفساق.

ووصف العالم بالفسوق ورد عن النبي ﷺ، كما في حديث أنس: «يكون في آخر الزمان عباد جهال، وعلماء فساق».

كما ورد عن السلف وصف العالم بالفاجر، فعن سفيان الثوري قال: «تعوذوا بالله من فتنة العابد الجاهل، وفتنة العالم الفاجر، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون». بل وصف مكحول رحمه الله العالم الفاسق بأنه أنتن من جيفة الحمار، فقال: «إنه لا يأتي على الناس ما يوعدون حتى يكون عالمهم فيهم أنتن من جيفة حمار». وذلك لأنه يبيع دنياه بآخرته.

ووصف الفضيل بن عياض بعض العلماء بأنه جبار، فيقول: «إن الله عزوجل يحب العالم المتواضع، ويبغض الجبار، ومن تواضع لله ورثه الله الحكمة». وقد تنبه السلف - رضوان الله عليهم - إلى أن العلماء أصناف، فمنهم من يطلب الدنيا بعلمه، ومنهم من يطلب الآخرة. قال الفضيل رحمه الله: إنما هما عالمان: عالم دنيا، وعالم آخرة، فعالم الدنيا علمه منشور، وعالم الآخرة علمه مستور، فاتبعوا عالم الآخرة، واحذروا عالم الدنيا، لا يصدنكم بشره، ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ (التوبة:٣٤) الأحبار: العلماء، والرهبان: العباد. ثم قال: لكثير من علمائكم زيه أشبه بزي كسرى وقيصر منه بمحمد ﷺ.

إن النبي ﷺ لم يضع لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة، ولكن رفع له علم فشمر إليه.

قال فيهم الإمام الآجري: «علماء في الظاهر، لم ينفعهم الله بالعلم، ممن طلبه للفخر والرياء والجدل والمراء، وتأكل به الأغنياء، وجالس به الملوك، وأبناء الملوك، لينال به الدنيا، فهو ينسب نفسه إلى أنه من العلماء، وأخلاقه أخلاق أهل الجهل والجفاء، فتنة لكل مفتون، لسانه لسان العلماء، وعمله عمل السفهاء» (أخلاق العلماء للآجري، ص:٨٣)

وهؤلاء العلماء هم أشر على الأمة من أعدائها، لأنهم يكذبون على الله ورسوله والأمة بكلام الله ورسوله، فيدلسون في الدين، وينتحلون صفة المتقين، يجعلون الحرام حلالا، والحلال حراما، ويصورون الباطل حقا، والحق باطلا.

## علماء السوء في التوراة

والعلماء الفساق في كل أمة من الأمم، وهم في هذه الأمة أيضا، ويدل على وجود علماء فاسقين في كل أمة ما ورد عن وهب بن منبه قال: قال الله عزوجل فيما يعاتب به أحبار بني إسرائيل: «تفقهون لغير الدين، وتعلمون لغير العمل، وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة، تلبسون جلود الضأن، وتخفون أنفس الذئاب، وتتقون القذى من شرابكم، وتبتلعون أمثال الجبال من الحرام، وتثقلون الدين على الناس أمثال الجبال، تطيلون الصلاة، وتبيضون الثياب، وتنتقصون مال اليتيم والأرملة، فبعزتي حلفت لأضربنكم بفتنة يضل فيها رأي ذي الرأي، وحكمة الحكيم».

## صفات العالم الجاهل عند المسيح

وقد أبان المسيح - عليه السلام - عن صفات بعض العلماء الجاهلين، من سخط الرزق، واحتقار مكانته ووظيفته، فيعظم وظيفة أهل الدنيا، ويحتقر وظيفته الدينية، ويتهم القضاء والقدر، ويقبل على الدنيا ويدبر عن الآخرة، ويؤثر دنياه على آخرته، ولا يعمل بما علم.

فعن هشام صاحب الدستوائي قال: قرأت في كتاب بلغني: أن من كلام عيسى ابن مريم عليه السلام: «كيف يكون من أهل العلم من سخط رزقه، واحتقر منزلته، وقد علم أن ذلك من علم الله وقدرته. وكيف يكون من أهل العلم من اتهم الله فيما قضاه، وليس يرضى شيئا أصابه. كيف يكون من أهل العلم من مسيره إلى آخرته، وهو مقبل على دنياه. وكيف يكون من أهل العلم من دنياه آثر عنده من آخرته، وهو في دنياه أفضل رغبة. وكيف يكون من أهل العلم من يطلب الكلام ليحدث به، ولا يطلبه ليعمل به».

## صفات علماء السوء في الأمة

وقد ذكر العلماء الثقات صفاتهم، وحذروا الأمة منهم. وأكثر العلماء الجهال يأتون في آخر الزمان، وقد أبان النبي ﷺ من صفاتهم، إذ هو تركنا على المحجة البيضاء.

من تلك الصفات:

## التأويل الفاسد

فشأن علماء السوء الجهال هو تحريف الكلم عن موضعه، فعله علماء بني إسرائيل من قبل، فبدلوا الآيات المنزلة، ولما حفظ الله تعالى كتابه القرآن الكريم كان عمل علماء السوء هو التأويل الفاسد، بتغيير مراد الله تعالى من قوله إلى ما يوافق أهواءهم وأهواء من يخدمونهم، وهو نقض للعهد والميثاق المأخوذ عليهم، كما قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (المائدة:١٣)، فخالفوا ما أمرهم الله تعالى به من بيان الحق بعيدا عن صاحبه، كما قال ربنا سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (آل عمران:١٨٧).

## الكذب على الله

ومن صفات علماء السوء أنهم يكذبون على الله تعالى، فيدعون على الله ما لم يقله، وينسبون إليه ما لم يحكم، شأنهم كما قال الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ (آل عمران:٧٥).

وقد حذر الله تعالى من طائفة ممن ينتسبون إلى العلم كذبهم عليه، فقال: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ (آل عمران:٧٨)، فيوهمون الناس أن ما يدعونه من الكذب هو من عند الله، وما هو من عند الله، فعن مجاهد في تفسيره (ص:٢٥٤) في قوله: ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾(آل عمران:٧٨)، يعني: «يحرفونه».

## استحلال الحرام

فمن صفات العلماء الجاهلين أنهم يستحلون الحرام إما صراحة لمخالفة النصوص القطعية، وإما للشبهة، يقول الأوزاعي: «كان يقال: ويل للمتفقهين لغير العبادة، والمستحلين الحرمات بالشبهات». فنجد بعضهم يستحلون من المال ما حرم، ويستحلون قتل الأبرياء من الخلق، ويستحلون لأنفسهم ولذويهم وقرابتهم ومحبيهم ما يحرمونه على عامة الناس، يؤولون النصوص تأويلا فاسدا.

وفي شأنهم قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ (النحل:١١٦-١١٧).

## التصدر للمجالس بغير علم

أولى صفات العلماء الجاهلين أنهم لم ينهلوا من معين العلم ما يؤهلهم لشغل وظيفتهم، فجلسوا دون أن يكونوا أهلا لمكانهم، فيخرج علينا من لا فقه له في الدين، فيفتي الناس بالحلال والحرام، ولم يجلسه شيوخه من العلماء، وإنما أجلسه أصحاب الفضائيات والشاشات، لأجل أنه يحسن الوعظ في الناس، أو أن له جمهورا يستمع إليه، فيتاجر أهل الفضائيات - إلا من رحمه الله - بمكانة الواعظ، ويجلسه غير مجلسه، فيفتي الناس بغير علم.

ففي الحديث المتفق عليه عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما؛ اتخذ الناس رؤوسا جهالا، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا».

وفي الحديث نبوءة من النبي ﷺ باضمحلال مستوى أهل العلم، وأن العلم يقل في الأمة، وهذا ما شاهدناه، فقد كانت الأمة في أزمنة السلف والخلف ينشغلون بطلب العلم، كنشاط يومي، لا ليتحصلوا على شهادة جامعية، أو ينالوا به وظيفة دنيوية، أو يتكسبوا من ورائه قربا من السلطان، أو جاها يفاخرون به الناس، بل كانوا يطلبون العلم لوجه الله تعالى، بل لم يكونوا يتكسبون منه، فلهم أعمالهم وتجاراتهم التي يتكسبون منها، فكان علمهم لوجه الله خالصا، ولم يكونوا يكتفون برتبة من العلم، بل كانوا يطلبون العلم إلى آخر الحياة، كما قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: من المهد إلى اللحد.

وفي الحديث حصول خلو الزمان من العالم الرباني، مع وجود من يتسمون باسم العلماء، ويتبوأون المناصب الدينية وأعلى وصف لهم أنهم طلاب علم.

## طلب العلم لغير وجه الله

ومن سمات العلماء الجهال أنهم يطلبون العلم لغير وجه الله تعالى، ففي سنن الترمذي عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «من تعلم علما لغير الله، أو أراد به غير وجه الله، فليتبوأ مقعده من النار». وقد أبان النبي ﷺ عن المقاصد الخبيثة للعالم الجاهل، فهو يتعلمه ليباهي به زملاءه وأصدقاءه من العلماء، أو يجادل به السفهاء من الناس، أو لينال تجمع الناس حوله طلبا للشهرة، ففي الحديث الذي أخرجه ابن ماجه وابن حبان، عن حذيفة عن النبي ﷺ: «لا تعلموا العلم، لتباهوا به العلماء، أو لتماروا به السفهاء، أو لتصرفوا وجوه الناس إليكم، فمن فعل فهو في النار».

## طلب العلم للدنيا

ومن العلماء من يطلب العلم لينال به منصبا أو هو عنده مجرد وظيفة يأكل بها، حتى قال أحد من تولى منصبا يعد أكبر المناصب الدينية في العالم، حين روجع في بعض الأمور وصدور بعض التصرفات

التي لا تليق بالمنصب، قال: إنما أنا موظف!

وهناك ممن يشتغلون بالعلم لا هم لهم إلا الدنيا، لا يبتغون به وجه الله تعالى، وفي سنن أبي داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تعلم علما، مما يبتغي به وجه الله، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة».

وقد نبه على ذلك ابن مسعود رضي الله عنه فقال: «لو أن أهل العلم صانوا العلم، ووضعوه عند أهله، سادوا به أهل زمانهم، ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا؛ لينالوا من دنياهم، فهانوا على أهلها». رواه البيهقي وهو عند ابن ماجه موقوفا على ابن عمر - رضي الله عنهما.

وابتغاء العلماء الدنيا بالعلم يصرف الناس عن العلم لا عنهم، قال وهب بن منبه يقول لعطاء الخراساني: «كان العلماء قبلنا استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم، فكانوا لا يلتفتون إلى دنياهم، فكان أهل الدنيا يبذلون لهم دنياهم، رغبة في علمهم، فأصبح أهل العلم منا اليوم يبذلون لأهل الدنيا علمهم؛ رغبة في دنياهم، فأصبح أهل الدنيا قد زهدوا في علمهم، لما رأوا من سوء موضعه عندهم، فإياك وأبواب السلاطين، فإن عند أبوابهم فتنا كمبارك الإبل، لا تصيب من دنياهم شيئا، إلا أصابوا من دينك مثله».

ويوضح مالك بن دينار رحمه الله بعض صفات العلماء الجاهلين بحقيقة العلم ومنزلته، كونهم يطلبون العلم للدنيا، ويتفاخرون بعلمهم على الخلق، ويراؤون به الناس، فيقول: «يا عالم، أنت عالم تأكل بعلمك. يا عالم أنت تفخر بعلمك. يا عالم، أنت عالم تكاثر بعلمك. يا عالم، أنت عالم تستطيل بعلمك. لو كان هذا العلم طلبته لله لرُئِي ذلك فيك، وفي عملك».

## تصيد أخطاء الآخرين

ومن صفات العلماء الجاهلين أنهم يحرصون على تخطئة غيرهم، ويتصيدون أخطاءهم، فيغلب عليهم الجدل والمناظرة، فيهتمون بسفاسف الأمور دون عظائمها، فلا يعود بعملهم نفع على الدين، ولم يكن ذلك نهج السلف - رضوان الله عليهم.

وقد حذر النبي ﷺ من هذا الصنف من الناس، فيتذاكرون ما لا نفع فيه للأمة من المسائل، فعن ثوبان رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «سيكون أقوام من أمتي، يتعاطى فقهاؤهم عضل المسائل، أولئك شرار أمتي».

وعن معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ «نهى عن الأغلوطات»، قال عيسى: والأغلوطات: ما لا يحتاج إليه من: كيف وكيف؟

وعن الحسن قال: «إن شرار عباد الله قوم يحبون شرار المسائل، يعمون بها عباد الله».

إن الأمة اليوم بحاجة إلى العلماء الربانيين كما وصفهم القرآن الكريم بقوله: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ (آل عمران:٧٩)، فالعلماء لا يتحزبون لطائفة دون طائفة، ولا يميلون لحزب دون آخر، إنما وجهتهم الحق من الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح خير القرون بشهادة سيد المرسلين ﷺ، فهم ميزان الأمة وعمودها، وصيانة مكانتهم واجبة عليهم لا لذواتهم، ولكن لما يحملون من مشاعل النبوة التي بها كانوا ورثة الأنبياء، يقولون الحق ولو كان مرا، ولا يخافون في الله لومة لائم، فهم حراس الدين والعقيدة، الآخرة همهم، وحفظ الدين واجبهم، وتوريث العلم مهنتهم، وإرشاد الخلق إلى الخالق غاية الغايات ومقصد المقاصد.

وإن الخسارة الكبرى لا تتعلق بعلماء السوء الجهال، وإنما تتعلق بضلال الخلق عن الحق، والتأثير السلبي لمن يتولون القيادة الدينية في بلاد المسلمين من تشويه صورته في الداخل والخارج لأجل أطماع دنية، وشأنهم أن يترفعوا عن ذلك، وألا يكونوا أهل دنيا بل يكونوا أهل الله، وما كان لأهل الله أن يكذبوا على الله.

وما ضاعت أمة إلا بسبب تفريط علمائها، وضياع علمهم، أو انحرافهم عن منهج الله تعالى، وقد ضرب الله تعالى لنا مثلا في القرآن بعلماء بني إسرائيل، وهي آيات تستحق الدراسة والتأمل، لأنها محطة تاريخية في تاريخ علماء أمة، فما ضلت أمة إلا بضلال علمائها، وما استقامت أمة إلا باستقامة علمائها، وما سعى أحد إلى الإصلاح دون أن يكون الإصلاح في العلماء والدعاة إلا ضل الطريق، فهذا هدي الأمة وسمتها، والبحث عن الإصلاح في غيرهم مضلة لا هدى فيها.

# النقود في التاريخ الإسلامي

حواس سلمان محمود
باحث في التراث الإسلامي

تعتبر عملية اختراع النقود عملية حضارية كبرى، ولقد اهتدى الإنسان إليها منذ العصور القديمة، شأنها في ذلك شأن اختراع أحرف الكتابة، أو استكشاف كيفية إشعال النار، أو ابتكار الزراعة.

لقد عاش الإنسان البدائي على جني الثمار والصيد بشكل جماعي، وكان زعيم القبيلة هو الذي يوزع المنتجات بين أفرادها، وكانت العشيرة تشكل وحدة اقتصادية معلقة، ومع تطور الإنتاج أصبح الاقتصاد المعلق غير كاف لمواجهة الحياة الإنسانية ومشقاتها المتعددة، فدخلت الجماعات المتفرقة في مبادلات فيما بينهما الآخر على شكل مقايضة (مبادلة سلع مع سلع مباشرة)، وكانت المقايضة وسيلة في بادئ الأمر في مجتمعات بسيطة، ولكن مع تطور المجتمعات ظهرت حاجات جديدة وتعددت السلع وزاد الإنتاج، فأضحى التعاون بموجب المقايضة عملية عسيرة على الإنسان، وما لبث الإنسان أن توصل إلى إيجاد وحدة معيارية تقاس بها قيم مختلف السلع والخدمات، ثم أصبحت هذه الوحدة وسيطا للمبادلة، يقبلها الأفراد عموما، في الوفاء بالالتزامات. فالنقود إذن هي أي شيء يتمتع بقبول عام في الوفاء بالالتزامات، أيا كان نوعها وأيا كانت صفاتها. وأصبحت النقود، فضلا عن ذلك، أداة لاختزان القوة الشرائية، وذلك كي تستخدم عند الحاجة في المستقبل. فما دام في إمكان الفرد مبادلة أي شيء بالنقود فإنه يمكن للمرء أن يكتنز النقود، وذلك لأهمية الوظائف التي تؤديها، باعتبارها وسيطا للتبادل، ومقياسا للقيمة، ومستودعا للقيمة ومعيارا للمدفوعات الآجلة.

وكانت النقود السلعية أقدم أنواع النقود، واحتلت المعادن النفيسة، مثل الذهب والفضة، مكان الصدارة بين المعادن النقدية، وتلتهما في المنزلة معادن أخرى، مثل الحديد والنحاس والزنك والقصدير.

يذكر أن التاريخ المبكر للنقود يعود إلى الابتكار الذي حدث في الصيف (آسيا الصغرى) والنقود التي سكها الليديون من خليط معدني من الذهب والفضة، وذلك في عهد ملكهم إرديس (٦٥٢ – ٦٢٥ ق.م).

## النقود قبل الإسلام

لم يكن للعرب نقود خاصة بهم حين ظهر الإسلام، فقد كانوا يتعاملون بالدراهم الفضية الساسانية وبالدنانير البيزنطية الذهبية، ولاشك في أن تعاملهم بنقود الفرس والبيزنطيين يرجع إلى مجاورتهم للدولتين ومستعمراتهما، وإلى رحلاتهم التجارية العديدة. ومع ذلك، فقد كانت هناك نقود عربية متداولة بين العرب في الجاهلية على نطاق محدود جدا، وكمثال على ذلك نقود اليمن الحميرية. وكذلك اقتبس الأنباط من الإغريق والروم ضرب النقود، وكان لدولة تدمر نقود على شكل نقود الإسكندرية الرومانية، وعليها كتابة ورسوم.

تجدر الإشارة إلى أنه قد اشتهر عند العرب الدينار الهرقلي، فكانت دنانير هرقل ترد على أهل مكة في الجاهلية، وكان ذهب الدينار الهرقلي من أجود أنواع الذهب، وكان شكله بديعا حسنا. كما استعمل العرب الدينار البيزنطي، إذ نقلوا اسمه من اليونانية فأطلقوا عليه اسم الدينار أو الدينر (من دون ألف)، وكان الدينار مثقالا من الذهب، أي ٤,٢٦٥ من الغرامات، وهذا الوزن هو وزن «السوليدس»، أو الدينار البيزنطي الذي كان شائعا في بيزنطة قبل الإسلام، وكان وزن الدينار يقدر أيضا باثنتين وسبعين حبة شعير، أو ستة آلاف حبة خردل من الوسط. ويذكر المقريزي أنواعا مختلفة من الدراهم الفضية الساسانية التي شاعت عند العرب قبيل الإسلام، وكانت هذه الدراهم مختلفة الأوزان والأسماء، حيث هناك الدراهم السود الوافية والدراهم الجواز، وكانت لهم دراهم تسمى «جوراقية»، إضافة إلى الدراهم «الطبرية».

## العملات والنقود في التاريخ الإسلامي

يطلق عليها لفظ «السكة»، الذي يعبر عن معان متعددة تدور كلها حول النقود التي تعاملت بها الشعوب العربية والإسلامية من دنانير ذهبية ودراهم فضية (سبق ذكرها) وفلوس نحاسية. ويقصد بلفظ «السكة» أحيانا تلك النقوش التي نزين بها هذه النقود على اختلاف أنواعها، وأحيانا أخرى يعني «قوالب السبك» التي يختم بها على العملة المتداولة، كما يطلق أيضا على الوظيفة التي تقوم على سك العملة تحت إشراف الدولة. ويقدم العلامة العربي ابن خلدون تعريفا جامعا للسكة فيقول: «السكة، هي: الختم على الدنانير والدراهم للتعامل بها بين الناس بطابع حديد، ينقش فيها صور وكلمات مقلوبة، ويضرب بها على الدينار والدرهم، فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة، إذ يعتبر عيار النقد من ذلك الجنس في خلوصه بالسبك مرة بعد أخرى وبعد تقدير أشخاص الدرهم والدينار بوزن معين يصطلح عليه، فيكون التعامل بها عددا، وإذا لم تقدر أشخاصها يكون التعامل بها وزنا. والسكة تعد مظهرا من مظاهر سلطة الخليفة أو السلطان أو الحاكم، إلى جانب كونها وثائق رسمية لا يمكن الطعن فيها، أو مصدرا من مصادر التاريخ تساعد على استنتاج الحقائق التاريخية، سواء ما يتعلق منها بالأسماء أو العبارات الدينية المنقوشة عليها، إلى جانب كونها سجلا للألقاب والنعوت التي تلقي الضوء على كثير من الأحداث السياسية، التي تثبت أو تنفي تبعية الولاة أو السلاطين للخلافة أو للحكومات المركزية في التاريخ الإسلامي. ولذلك، تعد النقود التي سكت في صدر الإسلام في دمشق وبغداد والقاهرة مستندات رسمية تؤكد على الوحدة السياسية والاقتصادية للعالم العربي».

ولابد من التأكيد – هنا – أن العقيدة الإسلامية قد أسهمت بقسط كبير وملموس في تطور صناعة السكة في العالم الإسلامي بفضل اهتمام الشريعة الإسلامية بالنقود، لكونها تدخل في ميدان العبادات، وتحدد المعاملات، وذلك لصلاتها المباشرة والوثيقة بالزكاة والصداق والعقود والوقف والعقوبات وغيرها. ارتبطت السكة ارتباطا وثيقا بالفنون الإسلامية، حيث تساعد نقوشها في التعرف على الكتابات الأثرية المنقوشة، ودراسة دلالاتها السياسية والتاريخية والعقائدية، إلى جانب كونها مصدرا مهما للتعرف على أسماء البلاد والأماكن التي ضربت فيها. كذلك تفيد دراسة السكة في إلقاء الضوء على حالة العالم الإسلامي الاقتصادية عبر العصور التاريخية.. من خلال التعرف على قيمة العيار في السكة، ومقدار وزنها في العصور الوسطى باسم «دار السكة» و«دار الضرب»، وهي على هيئة منشأة صناعية تتبع السلطان

أو الحاكم، وتقوم بإصدار عملات نقدية ذهبية أو فضية أو نحاسية أو برونزية.

**١- في عهد الرسول ﷺ**

جاء الإسلام وكان الدرهم الساساني والدينار البيزنطي شائعين في العهد النبوي المبارك، ويشير القرآن الكريم واصفا طوائف من أهل الكتاب، ويذكر الدينار قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ (آل عمران:٧٥).

هذا، ولقد كان الذهب والفضة خلال هذه الفترة النبوية المباركة، يمثلان ذروة التعامل النقدي، بل إن كفار قريش تحدوا الرسول بأن يأتي بمعجزة حسية تؤكد صدق رسالته، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾ (الزخرف:٥٣). وبعد رسوخ الإسلام حذر المسلمين من مغبة اكتناز معدني الذهب والفضة، وعدم إخراج زكاتهما ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ (التوبة:٣٤).

ونظرا لانشغال النبي ﷺ وصحابته الأبرار بتوطيد أركان الدولة الإسلامية الناشئة، والقضاء على الشرك والكفر، أقر عليه الصلاة والسلام العملات النقدية المتداولة في عهده لتنظيم جباية الزكاة، على الرغم من أنها تحمل شعارات وصورا تتعارض مع روح الإسلام وتعاليمه، وظلت هذه النقود متداولة في معظم أرجاء الجزيرة العربية بشكل عام والحجاز بشكل خاص، حيث كان الدرهم الفضي الساساني متداولا في الحجاز، باعتباره معدنا نفيسا لا نقدا ثابتا. وكان منها (أي النقود المتداولة) الكبير والصغير والثقيل والخفيف.

والدرهم الساساني عبارة عن قطعة فضية مستديرة عليها صورة الحاكم الساساني داخل طوق من ثلاث دوائر، وأمام وجهه اسمه مكتوب باللغة الفهلوية (البهلوية)، وخارج الطوق توجد أربعة أهلة متفرقة على الجهات الأربع في وسطها نجوم سداسية، وفي خلف العملة صورة الموقد الناري للعقيدة المجوسية، وإلى جانبيه حارسا المعبد، أما الدينار البيزنطي فهو عبارة عن قطعة ذهبية مستديرة الشكل، على وجهها صورة الإمبراطور البيزنطي هرقل لوحده أو مع ولديه «هرقليوناس» و«قسطنطين»، ويحمل كل منهما صليبا ينتهي بصليب آخر، أما الوجه الآخر للعملة فيتمثل الصليب قائما على مدرجات أربعة بجانبها كتابات بالأحرف اللاتينية.

وهناك عملة ثالثة تحتل مكانة أقل من سابقتيها وهي: الفلس النحاسي البيزنطي، مطبوع على وجهه صورة للإمبراطور البيزنطي الحاكم، أما الوجه الآخر فقد حمل الحرف اللاتيني «M»، الذي يرمز إلى قيمة الفلس، ويساوي ٤٠ نميا (٣٠ غراما)، وقد أقره الرسول ﷺ في التعامل.

لقد استعملت هذه العملات على نطاق لا بأس به في عهد الرسول ﷺ، حيث فرض الإسلام الجزية على أهل الكتاب دينارا على كل بالغ، وجعل الإسلام الفضة والذهب من الأموال الباطنة، وزكاتهما ربع العشر. ونصاب الفضة مئتا درهم بوزن الإسلام، الذي وزن كل درهم منه ستة دوانق، وكل عشرة منها سبعة مثاقيل، وفيها إذا بلغت مئتي درهم خمسة دراهم هو ربع عشرها، ولا زكاة فيها إذا نقصت عن مئتين وفيما زاد عليها بحسابه.

وأما الذهب فنصابه عشرون مثقالا (أي دينارا) بمثاقيل الإسلام، ويجب فيه ربع عشره وهو نصف مثقال، وفيما زاد بحسابه، ويستوي فيه خالصه ومطبوعه، ولا تضم الفضة إلى الذهب، ويعتبر نصاب كل واحد منهما على انفراده. وأصبحت لهذه العملات النقدية قوتها الشرائية، فقد اشترى الرسول ﷺ حائطا لبني النجار مساحته ٤٢٠٠ م٢ بنى عليه مسجدا بعشرة دنانير ذهبا، دفعها من مال أبي بكر رضي الله عنه. واشترى عثمان رضي الله عنه في عهد الرسول أرضا زادها في المسجد بعشرين ألفا، أو بخمسة وعشرين ألف درهم، وقيل بعشرة آلاف درهم.

تجدر الإشارة إلى أن بعض الصحابة قد امتهن الصرافة، مثل: البراء بن عازب وزيد بن أرقم، رضي الله عنهما. وقد ورث العرب بعضا من العادات السيئة في الجاهلية، فجاء الإسلام مبطلا لها، حيث كان من عادة التجار العرب أنهم يتعاملون بوزن النقود لا بعدّها، ذلك لأن بعض الناس كانوا يقتطعون جزءا من الدرهم أو الدينار، وقد عاب القرآن هذه الصفات الذميمة في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾﴾ (النمل:٤٨)، أي قيامهم بتزييف الدراهم وغشها، وقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟﴾ (هود:٨٧). هذا، ولقد روى المروزي بإسناده عن علقمة ابن عبدالله عن أبيه: «أن النبي ﷺ نهى عن كسر سكة المسلمين الجائزة بينهم إلا من بأس»، ولهذا يعتبر النبي ﷺ صاحب أول إصلاح نقدي قام به العرب المسلمون في مجال القضاء على ظاهرتي الغش والتزوير حينما وضع لبنات الحضارة الإسلامية القائمة على العقيدة والأخلاق، وهذا مصداقا لقوله تعالى جل وعلا ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ (الأنبياء:١٠٧).

**٢- في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم**

بعد وفاة النبي ﷺ استمر الخلفاء الراشدون، رضي الله عنهم، على نهجه في التعامل بالمسكوكات النقدية الأجنبية، وذكر الإمام أبو الحسن الماوردي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وضع ماهية الدرهم الشرعي. وقد اهتم ابن

خلدون في مقدمته بتحديد هذه النقود فقال: «أعلم أن الإجماع منعقد منذ صدر الإسلام وعهد الصحابة والتابعين أن الدرهم الشرعي هو الذي تزن العشرة منه سبعة مثاقيل من الذهب، والأوقية منه أربعون درهما، وهو على هذا سبعة أعشار الدينار، ووزن المثقال من الذهب اثنتان وسبعون حبة من الشعير، فالدرهم الذي هو سبعة أعشاره خمسون حبة، وخمسا حبة وهذه المقادير كلها ثابتة بالإجماع».

وتذكر بعض المراجع الحديثة نقلا عن المقريزي (من علماء القرن التاسع الهجري) أن عمر رضي الله عنه ضرب الدرهم سنة ١٨ للهجرة على نفس الكسروية وأشكالها وأعيانها، ولم يحاول ضرب سكة جديدة، إلا أنه أضاف إليها نقش بعض العبارات الإسلامية مثل الحمد لله، ومحمد رسول الله، ولا إله إلا الله، ولله، أو بسم الله، أو بسم الله ربي.. وهذه النقوش الموجودة في بعض العملات الكسروية الساسانية مشكوك في نسبتها إلى الخليفة عمر رضي الله عنه لعدة أمور أهمها:

١- أن المصادر الفقهية والتاريخية المتقدمة لم تذكر ذلك البتة. فعن سعيد ابن المسيب أن أول من ضرب النقود المنقوشة عبدالملك بن مروان، وكانت الدنانير والدراهم كسروية.

٢- أن هذه النقود المنقوشة في عهد عمر لم يصل إلينا منها شيء حتى نسلم بصحتها، بل إن هذه الدراهم المنسوبة إلى عمر مؤرخة بسنة ٢٠، وبعضها موجود في المتحف العراقي، فإن تاريخ سكها في الحقيقة لا يعود إلى فترة الخليفة عمر رضي الله عنه (١٣-٢٣هجرية)، وقد نتج هذا الالتباس بسبب عدم التمييز بين التواريخ التي كانت تضرب بها النقود آنذاك.

٣- إذا افترضنا ضرب هذه النقود في عهد عمر رضي الله عنه فأين المكان الذي سكت فيه؟!

٤- أن المتأمل في شخصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه كأحد العشرة المبشرين بالجنة، والمعروف بإيمانه القوي، وغيرته الشديدة على الإسلام، لن يقبل بوضع شعارات الإسلام الخالدة على هذه العملات الوثنية والمجوسية بما فيها من صور وطقوس تتنافى مع تحريم الإسلام لهذه الصور، قال عليه الصلاة والسلام: «من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ». ويمكن الإشارة هنا إلى شخصية عمر بقول المصطفى ﷺ فيه: «والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك». (صحيح البخاري).

وهكذا نرى أن هذه المسكوكات المنسوبة إلى عهد عمر رضي الله عنه ليست على الوجه الصحيح في نسبتها لعدم وجود الأدلة الكافية والبراهين الدامغة.

**٣- في العهدين الأموي والعباسي**

أمر عبدالملك بن مروان الحجاج بن يوسف بنشر الدراهم الجديدة في القسم الشرقي من الدولة الإسلامية، وبمنع تداول الدراهم السابقة، وبإقناع الناس بجلب الدراهم القديمة إلى دار الضرب لطبعها من جديد، وسار الخلفاء الأمويون بعد عبدالملك بن مروان على سياسته في ضرب النقود، فكان الخلفاء يتشددون في عيار الدينار الذهب، وكان الذهب خالصا بقدر ما كانت تساعدهم طرق التصفية. وقيس عيار دينار للرشيد وآخر للمطيع فكان عيارهما ٩٧,٩ في المئة، أي ٢٣,٥ من القراريط (حبة)، باعتبار أن الذهب الخالص ٢٤ قيراطا (حبة). كذلك تشدد الخلفاء بعد عبدالملك في صحة الوزن وتخليص الفضة، فضرب عمر بن هبيرة (والي العراق) للخليفة الأموي يزيد بن عبدالملك، دراهم أجود من دراهم الحجاج على عيار ستة دوانق، ولما ولى الخليفة هشام بن عبدالملك خالد بن عبدالله القسري العراق اشتد في النقود أكثر من ابن هبيرة. وذهب خلفه في ولاية العراق يوسف بن عمر، وكان أبعد منه في تخليصها والدقة في العيار، فكانت الدراهم «الهبيرية» و«الخالدية» و«اليوسفية» أجود نقوش بني أمية. ولم يكن الخليفة العباسي أبوجعفر المنصور يقبل في الخراج من نقود بني أمية غيرها، ولهذا سميت الدراهم الأولى «المكرهة». وفي العصر العباسي كان الخلفاء يضربون الدراهم والدنانير، وكانوا ينفقون أحيانا وزن الدراهم، فضرب أبوالعباس السفاح الدراهم بالأنبار ونقصها حبة واحدة، ثم نقصها حبتين. وفي خلافة المنصور أصبح النقص ثلاث حبات، ولم يصبح للدراهم وزن ثابت، مما جعل الناس يتعاملون بها بالوزن. ولما قتل جعفر البرمكي فوض هارون الرشيد أمر دار الضرب إلى السندي بن شاهك، فاعتنى بتخليص الذهب والفضة في النقد، وضرب الدرهم على العيار الصحيح، لكن الأمر لم يثبت على حال بعد ذلك. أما وزن الدينار العباسي فكان بوزن الدينار الأموي وهو ٤,٢٦٥ من الغرامات، أي ٦٦ حبة، وهذا هو الوزن الشرعي للدينار أو المثقال. واستمرت كلمة دينار تنقش على جميع النقود الذهبية للدولة العباسية والدول التي نشأت في عهدها وانفصلت عنها، وكان هارون الرشيد أول خليفة يذكر اسمه على الدينار، وضرب العباسيون من الدنانير ما كان أكثر من المثقال إلى أربعة مثاقيل، وذلك للتعامل بها، وضربوا عدا عن هذا أنواعا من الدنانير الكبيرة الحجم والوزن، وذلك لكنزها أو للصلة والإهداء في مناسبات معينة، كالأعياد والأفراح، أو للتصدق بها، وأطلقوا عليها اسم دنانير الصلة، وذلك لكي يصلوا بها أحباءهم وندماءهم والفقراء.

## المراجع


● محمد عودة العودان، «النقود في الحضارة الإسلامية»، مجلة الخفجي، ربيع الأول - يونيو ١٩٩٩م، ص٢٢.
● سامي عبدالله المغلوث، «العملات النقدية المستخدمة في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين»، مجلة الخفجي، ربيع الآخر ١٤٢٠هجرية - يوليو ١٩٩٩م، ص١٢.
● سالم الشيحاوي، «النقود عبر التاريخ»، صحيفة تشرين السورية، ٢٣ ديسمبر٢٠٠٠م، ص٩.
● جون كينث جالبريت، ترجمة أحمد فؤاد بلبع، «تاريخ الفكر الاقتصادي.. الماضي صورة الحاضر»، عالم المعرفة - الكويت، عدد٢٦١، سبتمبر٢٠٠٠م، ص١٥٧.
● د. ناهض عبدالرزاق، المسكوكات، أبو عبيد ابن سلام، الأموال.
● مقال بعنوان «العملات والنقود الإسلامية»، موقع «سوق السبت»، ٧ أبريل ٢٠٠٨م.

# قراءة في حوادث الإساءة إلى نبينا محمد ﷺ

د. نبيل فولي محمد
باحث أكاديمي

من وقت إلى آخر تهب علينا ريح فتنة عاتية تتعرض لنبينا الحبيب محمد ﷺ بالإساءة والاستهزاء في فيلم أو رسم أو خطبة أو مقال، ويسوغون هذا بحرية الرأي والتعبير، متعللين بأنها عنوان ثقافتهم والثابت الأول من ثوابت حضارتهم.

ولو أنهم اعتمدوا في إساءتهم وسخريتهم هذه على حقائق ثابتة وروايات صادقة، لكان لهم شيء من العذر، ولكنه التلفيق والبهتان والافتراء على فخر الإنسانية.

ولو أنهم سووا في موقفهم هذا بين جميع الرموز في الشرق والغرب، فسخروا من رموز السياسة ومشاهير التاريخ، ومن أعلام الثقافة والفكر والفن، ومن الحاخامات والقساوسة والكنائس و«الكتاب المقدس» كما يفعلون مع الإسلام ونبيه، لصدقناهم - وإن كنا لا نرضى بهذا أسلوبا - في أنها حرية الرأي والتعبير ليس إلا!

إن السباب والهجاء بالكلمات الغليظة ليسا بالأسلوب المحترم للتعبير عن الرأي، ولا يعدوان أن يكونا تراجعا أخلاقيا يأنف منه شرفاء الناس، وينأى عنه كرامهم، فحتى لو كان خصمي شيطانا رجيما راعيا للشر والرذيلة، فإن الحل في التعاطي معه ليس بسبه ولا شتمه، ولكن بالانشغال برعاية الخير وإشاعة الفضيلة في دنيا الناس، وكفه عن حماقاته بالوسائل والطرق التي تكفلها الشرائع والقوانين.

وقد تجدد الكلام في هذا الموضوع بقوة بعد حادث الهجوم الدامي على صحيفة «شارلي إبدو» الفرنسية الصاخبة في يناير ٢٠١٥م، وإصرارها بعده على مواصلة سياستها في رسم صور كاريكاتورية للنبي محمد ﷺ، وقيامها بهذا فعلا في أول عدد لها بعد الحادث.

وتريد هذه السلسلة من المقالات التوقف عند أشهر حوادث الإساءة إلى النبي الخاتم وأخطرها في التاريخ؛ لحصد الدروس المهمة فيها، ومعرفة أفضل السياسات وأحسن المواقف التي يمكننا اتخاذها في مواجهة مثل هذا السلوك الشاذ.

وإن كان رسول الله ﷺ لا يضره أن يتطاول عليه متطاول، ولا أن ينتقص من قدره جاهل أو جاحد، فإن الغيرة الواجبة على دين نحن محسوبون عليه بكل حال تفرض علينا أن نخرج عن صمتنا، وندرس هذه الظاهرة دراسة نتبين بها السياسة

الصحيحة والمجدية تجاهها.

إن مثل محمد ﷺ حري بأن تغار عليه البشرية كلها، عندما يشتمه شاتم أو يسبه ساب؛ فيغار عليه المسلمون لأنه نبيهم الذي جلب الله لهم خيري الدنيا والآخرة على يديه، ويغار عليه غير المسلمين لأنهم يشاركونه في إنسانيته وبشريته، وهو منهما في القمة الرفيعة العالية.

لقد امتدح النبي ﷺ بعض رجال الجاهلية لما كان فيهم من الفضائل، وأثنى على رجال وأقوام خالفوه المعتقد لأخلاق حسنة كانت فيهم، أفلا يستحق هو كل الاحترام والإجلال؛ لأنه تحلى بكل فضيلة عالية ودعا الناس إليها، وتجرد من كل رذيلة وحذر العباد منها؟

أفلا يستحق الاحترام والإجلال وهو الذي لم يرض بإيمان بلا أمانة، ولا بصلاة لا تنهى صاحبها عن المنكر، ولا بدين بلا عهد، ولا بعلم بلا عمل صالح؟

وأما المسلمون، فهم في حاجة إلى أن يحسنوا الدعوة إلى الإسلام بصورته الصحيحة، ولعل من أهم المداخل إلى ذلك أن نعرف الناس بشخص رسول الله ﷺ، فهو - حتى على المستوى الإنساني العام - شخصية مبهرة تلبي حاجات الناس إلى المثل الأعلى في شتى مجالات البطولة والتميز، وتبدو منسجمة مع نفسها ومبادئها وأقوالها وأفعالها؛ كل ذلك في غير تكلف ولا تصنع، بل هي الفطرة النقية في أجلى صورها حين تعانق الخير وتدعو إليه فعلا قبل أن تعظ به قولا.

إن هذه المحاولة لقراءة مجموعة من أحداث الإساءة إلى نبينا ﷺ مما جرى في الماضي البعيد والقريب، ومازال شرر بعضها يتطاير إلى الآن، تسعى إلى ألا تكون ردود أفعالنا انتفاضة عاطفية عجلى لا تلبث أن تخبو نارها.

لكن القراءة المقصودة هنا تحتاج قبل ذلك إلى مقدمات تتناول في عجالة المكانة العقدية للرسول، وكذلك المكانة التشريعية، والدفاع الإلهي عنه ﷺ، ومؤلفات المسلمين في بيان أحكام هجاء شخص النبي الكريم، وحاجة البشرية إلى محمد ﷺ ورسالته، ودوافع الهاجين لرسول الله ﷺ، ثم أشهر حوادث التعرض للنبي بالإساءة، والدروس التي يمكن حصدها من كل حادثة.

دفاع الله تعالى عن نبيه محمد ﷺ تجلى لنا، قديما وحديثا، في صور شتى تلفت انتباه أصحاب العقول إلى أن يد الله تعمل في هذه الناحية، وتدفع عن هذا النبي، فما كان لله تعالى أن يرسل نبيه داعيا إلى الحق صابرا ثابتا عليه، ويقيمه قدوة تامة للناس من دون أن يدفع عنه تهجمات السفهاء، حيا وميتا.

ولعل أهم الصور التي بدا فيها هذا الدفاع المجيد عن رسول الله ﷺ تتمثل فيما يلي:

### ■ الوحي الشريف

فقد كال المشركون لرسول الله ﷺ، حين دعاهم إلى عبادة الله وحده وترك ما توارثوه من عبادة الأنداد والشركاء، التهم والشتائم، وتفننوا في ذلك، حتى لم يتركوا وصفا سيئا مناسبا لحاله إلا ألصقوه به، فرموه بالسحر والكهانة والجنون والكذب والشعر، فسجل القرآن هذا، ورد عليه بالحجة مرة، والتهديد مرة أخرى، وتسجيل الحقيقة مقرونة بالثناء على الرسول تارة ثالثة.

### ■ تسخير من يدافع

ليس غريبا أن يدافع المسلمون من أهل الطاعات والقربات عن نبيهم الكريم محمد ﷺ، لكن من المدهش حقا أن يشاركهم في هذا مسلمون

استغرقتهم المعصية، وقارفوا حتى الكبائر من الذنوب، وقد سجل القرآن هذا الدفاع عموما حين قال: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف:١٥٧).

ومن نماذج هذا الدفاع العظيم عن رسول الله: أن علماء الحديث خاضوا أقوى حملة في التاريخ لرد افتراءات الوضاعين والكذابين على رسول الله، فحفظ الله لنا بهؤلاء الرجال الممتازين أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته صافية نقية من الدخيل والمكذوب، وصار معروفا عندنا ما هو صحيح النسبة إليه منها صحة يقين أو صحة رجحان، وما فيه ضعف قليل مجبور، وما به ضعف لا ينجبر، وما هو كذب صراح لفّقه بعض المفترين.

كما ألف المسلمون، قديما وحديثا، في الذب عن رسول الله ﷺ ورد الافتراء عنه، وهذا غير ما ألفوه في مدحه وذكر شمائله الشريفة عليه الصلاة والسلام، مما ليس هذا سياقه، ويمكن أن يقوم الباحثون بخدمة هذا الجانب بإعداد ببليوجرافيا كاملة للمؤلفات الإسلامية التي وضعها أصحابها في الذب عن أبي القاسم عليه الصلاة والسلام.

دفاع المسلمين عن نبيهم محمد ﷺ وعن جميع الأنبياء صفحة مجيدة لهذه الأمة، والحديث عنه لا تكفيه أسفار طوال، ونحن هنا فقط نقدم نماذج تكشف عن جانب من هذه الصفحة.

ولعل المستشرقين هم أكثر الناس تطاولا على رسول الله ﷺ في مؤلفاتهم، مع ادعائهم الحياد والعلمية وارتدائهم طيلسان الأكاديمية، وقد رد على افترائهم على النبي ﷺ أعلام من الشرق والغرب، ومن المسلمين وغير المسلمين على السواء، ومنهم السير سيد أحمد خان (ت ١٨٩٨م) الذي سافر من الهند إلى لندن خاصة ليناقش ادعاءات القوم حول النبي محمد ﷺ مباشرة، على الرغم من مخالفة العلماء للرجل في كثير من الآراء التي ذهب إليها.

حمل سير سيد أحمد خان زاده ومتاعه من شبه القارة الهندية إلى عاصمة الإنجليز، وسعى إلى أن يكون سدا دون رسول الله ﷺ، وقد كتب إلى صديقه محسن الملك في أثناء هذه الرحلة يقول: «هذه الأيام يتألم قلبي عندما أقرأ كتاب وليم موير الذي كتبه عن حياة سيدنا محمد ﷺ. فقد وجدت الكتاب طافحا بالتعصب الطائفي، وافتقر مؤلفه إلى النزاهة العلمية. وقد عزمت عزما أكيدا على أن أكتب كتابا عن حياة الرسول ﷺ، ولا أبالي أن أنفق في سبيل ذلك كل ما عندي من المال والعقار، بل أتمنى أن أموت على هذه الحال، وحينما ينادى علي يوم القيامة يقال: هذا المسكين الفقير الذي أنفق كل ما عنده لأجل الدفاع عن جده محمد ﷺ».

ولعل من الكتب المهمة التي لا يفوتنا ذكرها هنا في سياق الحديث عن رد مفتريات المستشرقين على رسول الله ﷺ، كتاب الدكتور عبدالرحمن بدوي رحمه الله «دفاع عن محمد ﷺ ضد المنتقصين من قدره». وقد عرف بدوي بكونه بحاثة كبيرا في الفلسفة والفكر الإسلامي والغربي الحديث والقديم، وتعلق بالفكر الوجودي زمنا طويلا، وانتهى أخيرا مدافعا عن القرآن والإسلام ونبيه عليه

الصلاة
والسلام
من قلب العاصمة
الفرنسية باريس.

نبيه المصطفى ﷺ، ففي كل أمة وفي كل ملة منصفون، لا يحبون الجور ولو على من يعتقد غير اعتقادهم، ويحبون العدل حتى مع مخالفيهم.

وقد ظهر لكثير من هؤلاء التجني الفاضح لبعض أصحاب الأقلام والآراء على النبي محمد ﷺ، ونسبتهم إليه ما لا يليق به بالباطل والزور، فردوا عليهم، واتهموهم بالتحامل.

والنماذج على هذا كثيرة، ولا نعني بهم كل من كان منصفا في الحديث عن رسول الله، فهذا باب واسع، بل نقصد منهم تحديدا من كتب مدافعا ورادا لسهام الجور عنه ﷺ، ومنهم الإنجليزي توماس كارليل (ت ١٨٨١م) الذي عمل على أن يدفع عن محمد ﷺ تلفيقات شانئيه ورميهم إياه بالكذب، فقال: «لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متمدين من أبناء هذا العصر أن يصغي إلى ما يظن من أن دين الإسلام كذب، وأن محمدا خداع مزور... إن الرسالة التي أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرنا لنحو مئتي مليون من الناس أمثالنا».

ويقول كارليل: «يزعم المتعصبون من النصارى والملحدون أن محمدا لم يكن يريد بقيامه إلا الشهرة الشخصية، ومفاخر الجاه والسلطان. كلا، وايم الله، لقد كان في فؤاد ذلك الرجل الكبير ابن القفار والفلوات، المتوقد المقلتين، العظيم النفس، المملوء رحمة وخيرا، وحنانا وبرا، وحكمة وحجى، وإربة ونهى - أفكار غير الطمع الدنيوي، ونوايا خلاف السلطان والجاه، وكيف وتلك نفس صامتة كبيرة، ورجل من الذين لا يمكنهم إلا أن يكونوا مخلصين جادين؟!».

ومن هؤلاء أيضا الكاتب المصري الدكتور نظمي لوقا، الذي ألف مجموعة من الكتب حول الإسلام وبعض الشخصيات الشهيرة في تاريخه، ومنها كتاب «محمد الرسالة والرسول»، وقد سعى في بعض فقراته إلى إثبات صدق النبي ﷺ في ادعائه النبوة ردا على من يقول غير ذلك، وساق الدكتور لوقا على رأيه أدلة؛ منها:

- تبدل حاله ﷺ بعد النبوة من راحة ورخاء إلى نصب وتضييق، فقد «كان موفور الرزق موسعا عليه، فبدل من ذلك تضييقا وشظفا. كان آمنا في سربه، فبدل من ذلك قلقا ومطاردة وارتياعا. كان موفور الكرامة والمكانة بين قومه بالنسب الرفيع والحسب المنيع، فبدل من ذلك إهانة وتحقيرا وازدراء».

- «لم يساوم هذا الرسول، ولم يقبل المساومة لحظة واحدة في موضوع رسالته على كثرة فنون المساومات واشتداد المحن» - كما يقول الدكتور لوقا.

- «لم يزعم لنفسه قدرة أو صفة أو حقا يستعلي بها على أحد، أو يرتب لنفسه بها سلطانا أو تقديما. ولو كان القرآن من صنعه ما حرص على أن يكون فيه كآحاد الناس لا يزيد؛ ليس عليه إلا البلاغ».

ولعل نشر هذا اللون من الكتابات في البيئات غير الإسلامية بلغات مختلفة، يسهم في تقديم صورة صحيحة عن النبي ﷺ، ويزيل الهراء الكثير الذي راكمه الحقد على شخصية النبي الخاتم.

## ■ دفاع غير المسلمين

وتسخير الله تعالى لأهل الإنصاف من كل ملة كي يردوا على المفترين بالباطل على رسول الله، هو صورة أخرى من صور الدفاع الإلهي عن

# القول المأثور في إحياء الصواب المهجور (٣١)

عبدالله أيت الأعشير
مفتش منسق جهوي لمادة اللغة العربية - المغرب

لقد كان أمر اللغة العربية الفصحى على است الدهر شجرة طيبة، أصلها ثابت بالقرآن الكريم، وفروعها نضرة بما أودعه فيها الأبيناء من جواهر نيرات ودرر مجلوة، ولذلك حرص العرب على الحدب والحنو عليها حنو المرضعات على الفطيم. فلما حلت العولمة بساحتنا العروبية فجرت فيها نهرا متدفقا يجري بماءين، كل واحد منهما يسعى لإفناء الآخر: الأول ينبوعه عذب فرات، نزل على الفصحى نزول الطل على الأرض العذية، فآتت أكلها من خلال التمكين لها باستغلال الوسائل التقنية المساعدة على رقمنة مصادرها، التي ألبستها الأثواب الناصعة. كما يظهر ذلك في دواوين الشعراء المفلقين القدامى والمحدثين، وفي ترسل الأدباء البلغاء الذي أضحى طوع أيدينا، بعدما كنا نكابد عرق القربة لأجل الحصول على تلك الكنوز والمصادر، ناهيك عما تقدمه تلك الوسائل للمتعلمين من فرص سانحة للتعلم الذاتي، ومن إشاعة أجواء الحبور في أثناء التعلمات الصفية. أما الينبوع الآخر فهو يجري بالماء الملح الأجاج، ليفتك بالفصاحة، زاحفا بسيله الراعب الزاعب كي يعجل بإفلاس المشروعات العروبية، ويعمق جراحات الإنسان العربي، بإحداث تغييرات قيمية تغري وتغوي بفقدان الثقة بقيمنا الأصيلة وإنجازاتنا الآنفة، ويزرع بذور الشك في هذا الجيل الناشئ الضائع، الذي لم يتبق له سوى الإلقاء بنفسه في محرقة أضواء العولمة الساطعة، كما يتتايع الفراش في النار، فاتحا نوافذ القلوب والعقول، ليشرب محلول شوب لغات العولمة شراب

الهيم، حتى أفقدهم بوصلة انتقار الأصلح الذي ينجيهم من غمراتها وأحابيلها الملهية، فتأخرت ألبابهم عن إدراك غرر الفصحى ودررها، التي حجبتها عنهم العاميات وشنع اللغات الأجنبية، مبادرين إلى الطعن في آلاء الفصحى، مدعين أن الصفاء اللغوي في زمن العولمة أضحى عنقاء مجنحة، إذ الكلمات مثل البضائع والسلع، سريعة التنقل والانتشار، ولذلك لابد من استعمالها كما نستعمل هذا العدد الهيضل من التقنيات الرقمية التي تقذف بها مصانع الغرب الحديثة.

ولكي تبقى اللغة العربية ملبية لمطالب المتكلمين بها، مجارية لتطورات العصر وما يتفتق عنه من ابتكارات لم نسمع بمثلها في آبائنا الأولين، دون أن يلحقها المسخ والتبديل الذي تنتصر له لغات العولمة في ادعائها أن الصفاء اللغوي أضحى خيتعورا مضمحلا، فإن العرب مطالبون في أثناء هذا الاقتتال الشديد بين الكلمات، التي تمزج الصفو بالكدر وتخلط الغرر بالعرر، أن يدركوا أن الانتقال المزعوم لكلمات العولمة لا يحدث إلا في اتجاه واحد، هو الانطلاق من الدول المهيمنة تقنيا إلى الدول المستهلكة، التي تعيش على ما تقدمه لها موائد الغرب من الخشارة التي تفضي بها إلى حالات التيه والضلال، كما تتجلى طلائع هذا الضياع في كثير من الكلمات المنحوتة التي بدأت تشيع الفوضى والفساد في الأساليب العربية المبينة على هذه الشاكلة: (الركمجة، أي: ركوب الأمواج)، و(النثعرة، أي: النثر الشعري) و(المنتهلك، أي: المنتج المستهلك)، و(الكارئ، أي: الكاتب القارئ)، و(الحزضر، أي: الحزام الأخضر)، و(طنفسي، أي: الطب النفسي)، و (حبرم، أي: حب الرمان) و(طبقصل، أي: طبق الأصل)، وغيرها من الكلمات المنحوتة التي يمجها الطبع، لما تدخله من غموض وضيم على الفصحى، ناهيك أن النحت حدث عارض على العربية، لا يلتجأ إليه ولا يرتفق به إلا في بعض الموافقات التي ذكرها القدامى، والتي لا تزيد عن عشرين لفظة، لأن هناك طرقا لزيادة ونماء الثروة اللغوية العربية غير الطريقة الإلصاقية والمزجية التي تعتمدها اللغات الهندية الأوربية. إذ العربية تنمو وتتوالد بالانفجار من الداخل، من خلال عمليات الاشتقاق الذي يعد من خصائص اللغات السامية. أما إذا ولينا وجهنا شطر اللغات الشبابية التي يدعو بعضنا لمناصرتها، مع السماح لرياح التغيير أن تهب على أديم العربية، لتكنس منها الألفاظ البدوية التي تذكرنا بشظف العيش، فإن الأمر أدهى وأمر على الرصفاء الغيورين على ما حل بالعربية وبأصواتها التي يرسلها أصحاب الرسائل القصيرة، عبر أجهزة الهواتف النقالة، على هذه الشاكلة: حرف الهمزة أصبح هو رقم ٢، والحاء رقم ٧، والخاء رقم ٥، والعين رقم ٣، والقاف رقم ٩، ناهيك عن بعض العبارات التي يختزلونها على شاكلة هذه السوأة الصلعاء: السلام عليكم (SA) و جازاكم الله خيرا (JAK) و إن شاء الله (ISA ) و صلى الله عليه وسلم (صلعم) و من أجلك، التي يكتبها عرب المشرق الذين يتكلمون الإنجليزية هكذا: (٤u) ومات من الضحك، التي أصبحت تكتب لدى متكلمي المغرب العربي هكذا: (Mdr) والقائمة طويلة الذيل، بل إن الكلمات المرشحة لمثل هذا البوش البائش من الاختصارات المعيبة الموشاة بأغلفة غاية في التمويه، لإخفاء ما جمعت من صنوف العي المستوجب للطرد المنكر، يخطئها العد والحصر، لذلك لا ينبغي إطالة الانتظار لمعرفة إلام يكون صيور أمرها؟ فهي أولاد علة تغلفها ظلمة داجنة من الغموض، عارية من البيان، ناكبة عن الدقة، لا تلوي على شيء، لذلك يجب وضع زبر الحديد التي تحمي لغتنا الفصحى من طوفان فوضاها الذي لا يبقي ولا يذر.

إن العصا قرعت لذي حلم، أما الذين لا يدركون خطر هذه المجمجة الأعجمية، فإن هذه الحلقة اللغوية تغزو إبصارهم بخطر هذه الاختصارات التي أدخلت في الفصحى من قبل العولمة، لاغتصاب الصحة، ولإخفاء السبيل المهيع التي تولد من عنقاء العربية المحترقة، رجاء واعدا وأملا محققا بمستقبل زاهر للعربية؛ ولاشك أن هذا المستقبل يبدأ من اعتماد عقل مكين، يعي ذاته وما يتوفر عليه من كنوز ولآلئ تساعده في طرق قضية اللغة، التي تعد حياتها وصحتها من حياة وصحة الأمة التي تتكلمها، ومن ثمة يعلن هذا العقل العروبي حضوره الفعال في أثناء خوض غمرات الحروب اللغوية التي تشنها لغات العولمة على اللغات الضعيفة، فتخرج الفصحى من ساحتها مظفرة، لم تثل منها قطميرا، لتعود أنوار الفصحى ساطعة. ولاريب أن هذا الهدف يوجد منا على طرف الثمام، إذا أحسنا استغلال الطاقة المعرفية التي سبق للثقافة العربية أن بذلتها، عندما بسطت أجنحة العلم والمعرفة على العالم، لم تترك قابة إلا اقتبتها، ولا نقارة إلا انتقرتها، ولا شاردة إلا اقتنصتها.

ولكي لا نرضى بما نحن فيه من حيرة الإرتاج والإجبال والتوقف عن الإبداع، فإنني أدعو إلى غربلة هذا السيل الجراف القحاف الذي تقذف به هذه الوسائل التقنية، بواسطة التفكير في الخطط اللغوية المساعدة، التي تضمن أن تكون بعض هذه التبدلات في صالح الفصحى، وأن ندرك كيفية اشتيار عسل هذه التقنيات التي تكسب أنصارا جددا، نظرا لما توفره من جهود بالنسبة إلى الإنسان المعاصر.

## من ديوان الأدب القرآني العظيم:

# اصفح الصفح الجميل

محمود توفيق
كاتب صحافي

في كتاب الله سبحانه وتعالى فيض من تأديب الله عز وجل لنبيه ﷺ، ثم لورثته من أهل العلم والدعاة إلى الله جلّ جلاله. وهداية له إلى ما يمكّنه من القيام بحق ما كلف به من الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وإخراج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان.

ومن هذا ما جاء في سورة «الحجر»، من أمر الله سبحانه وتعالى نبيه سيدنا محمدًا ﷺ بأن يصفح صفحا جميلا.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ (الحجر: ٨٥- ٨٧).

في تصدير الآية بالحقيقة الكونية: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾، وبالحقيقة العقدية: ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ﴾، من قبل التكليف بالصفح الجميل، ثم بالحقيقة العقدية أيضا: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾، ثم بالمنة العظمى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾، في كل ذلك تثقيف للنفس، لتتلقى هذا التكليف الثقيل: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ تلقي أولي العزم من الرسل.

ذلك أن الصفح الجميل، لايتأتى إلا بعظيم من اليقين، وبعظيم من المثابرة ومن الصبر الجميل أيضا. فالنفس البشرية مفطورة على أن تنتقم لنفسها إن كانت من نفوس الدهماء، أو تنتصر للحق الذي هي عليه إن كانت من نفوس الأنبياء والعلماء والأولياء، وكل تقي ولي لله سبحانه وتعالى.

والصفح في لسان العربية هو الإعراض عن اللقيا بما لا يحب، يقال: صفح عنه أي: أعرض عن عقوبته، بل عن ملامته، وعن ذكر ذنبه، بل عن تذكره، وتلك مقامات علية متصاعدة من الصفح، ففي الصفح إقبال وبشاشة وجه، ولذا جاء منه التصافح، وهو الأخذ باليد، أي أن يضع الرجل صفح كفه في صفح كف الآخر. وهذا يقتضي إقبال الوجه على الوجه، وهذا فيه رمز إلى ما قام في القلب من القبول والإقبال، ومن هنا شرعت المصافحة بين الرجال بعضهم بعضا، وبين النساء بعضهن بعضا، إيذانا بالقبول والإقبال..

وجمال الصفح المأمور به، هو الصفح الآتي من قوة نفسية وقوة واقعية، وليس صفح العجزة والضعفاء هو الصفح الذي كان من النبي ﷺ يوم الفتح: حين أطلقهم، ولم يعاقبهم (١)، وكان بملكه ﷺ أن يقطع الأعناق، ولا ملامة عليه، ولكنه الحكيم، والنازل على ما أمره به الله سبحانه وتعالى، والعليم بأن فعل الصفح فيهم وفيمن يأتي من بعد أعظم وأنجع من فعل الانتصار في كل منازلة من منازلات الحرب.

هو صفح جميل من أنه خارج من فتوة نفسية وقوة عملية، وهو صفح جميل من أن أثره الجليل الجميل لا يطاول.

والصفح الجميل سجية من سجاياه ﷺ.

روى البخاري في كتاب «التفسير» من صحيحه بسنده عن عبدالله بن عمرو ابن العاص - رضي الله عنهما - أن هذه الآية التي في القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥﴾ (الأحزاب:٤٥)، قال في التوراة: «يا أيها النبي، إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا وحرزا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح بها أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا». (حديث رقم: ٤٨٣٨).

ومن الصفح الجميل ما راوه مسلم في كتاب «الجهاد والسير» من صحيحه بسنده عن أنس رضي الله عنه أن أم سليم رضي الله عنها اتخذت يوم حنين خنجرا فكان معها، فرآها أبو طلحة رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، هذه أم سليم معها خنجر، فقال لها رسول الله ﷺ: «ما هذا الخنجر؟». قالت: «اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه». فجعل رسول الله ﷺ يضحك. (٢)

قالت: يا رسول الله، اقتل من بعدنا من الطلقاء. انهزموا بك. فقال رسول الله ﷺ: «يا أم سليم إن الله قد كفى وأحسن». (حديث ٤٧٨٣)

أرأيت إلى قوله ﷺ: «يا أم سليم إن الله قد كفى وأحسن»، هذا من الصفح الجميل الذي يؤتي من الثمر أطيبه.

وهو ﷺ لم يكتف بأن لم يعاقب، بل لم يعاتب الطلقاء إذ أدبروا يوم حنين، وخلفوا رسول الله ﷺ، وما كان لهم أن يفعلوا، بل كان منه ﷺ ما هو أجمل، اقتسم فيهم وفي المهاجرين الغنائم، ولم يمنح الأنصار شيئا، مما حاك في نفس ثلة من الأنصار، فقالت ما قلت، فكان من مكافأة النبي ﷺ أن قال لهم مقالة، هي عز الدنيا وسعادة الآخرة، حين قال قالت ثلة منهم:

إذا كانت شديدة فنحن ندعى، ويعطى الغنيمة غيرنا. فبلغه ذلك، فجمعهم في قبة، فقال ﷺ: «يا معشر الأنصار، ما حديث بلغني عنكم؟»! فسكتوا، فقال: «يا معشر الأنصار، ألا ترضون أن يذهب الناس بالدنيا، وتذهبون برسول الله ﷺ تحوزونه إلى بيوتكم؟».

قالوا بلى. فقال رسول الله: ﷺ «لو سلك الناس واديا، وسلكت الأنصار شعبا لأخذت شعب الأنصار» (٣)

أرأيت إلى الصفح الجميل مع الطلقاء، والحكمة الجميلة مع الأنصار؟!

ومن هذا ما رواه البخاري في كتاب «الأدب» من صحيحه بسنده عن أنس ابن مالك قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذ بردائه جبذة شديدة - قال أنس: فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته - ثم قال: «يا محمد، مر لي من مال الله الذى عندك. فالتفت إليه، فضحك، ثم أمر له بعطاء». (حديث ٦٠٨٨)

وجاء في كتاب «البر والصلة» من جامع الترمذي بسنده عن أبي إسحاق قال: سمعت أبا عبد الله الجدلى يقول: سألت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: «لم يكن فاحشا ولا متفحشا، ولا صخابا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح». (حديث رقم: ٢١٤٨). قال أبوعيسى: هذا حديث حسن صحيح.

وكان ﷺ يحث أصحابه على الصفح، وأن لا يسارعوا إلى العقوبة، بل ليكن العفو مبدأ أمرهم ومنتهاه، وإن وقع من بعضهم ما يستوجب الحد.

روى أحمد بن حنبل في مسنده من حديث عبدالله بن مسعود بسنده عن شعبة قال سمعت يحيى بن المجبر قال: سمعت أبا ماجد - يعني الحنفي - قال: كنت قاعدا مع عبد الله - قال - إني لاذكر أول رجل قطعه، أتي بسارق فأمر بقطعه وكأنما أسف وجه رسول الله ﷺ قال: قالوا: يا رسول الله، كأنك كرهت قطعه.

قال ﷺ: «وما يمنعني ؟ لا تكونوا عونا للشيطان على أخيكم».

إنه ينبغي للإمام إذا انتهى إليه حد أن يقيمه.

إن الله عز وجل عفو يحب العفو ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٢﴾. (حديث: ٤٢٥٢)

وجعل الصفح عمن أساء من أفضل الفضائل، لأن في هذا دفعا للسيئة بالحسنة، كما أمر كتاب الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤﴾ (فصلت: ٣٤)

روى أحمد بن حنبل في مسنده من حديث معاذ بن سهل رضي الله عنه، بسنده عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أفضل الفضائل أن تصل من قطعك، وتعطي من منعك، وتصفح عمن شتمك». (حديث:١٦٠٢٣)

هذه الثلاثة التي هدى إليها نبي الرحمة ﷺ إنما يقوم له أولو الفتوة النفسية، لأن للقيام لها فضلا عن القيام بها استحقاقات رجولية بالغة، لايلقاها إلا الصابرون صبرا جميلا.

وإن لحضورها في أي أمة فضلا عن

شيوعها أثرا جليلا وجميلا في تماسك الأمة، وتحقيق سلامها الاجتماعي، فتنعم بنعمتي الأمن والكفاية. وتلك نعمة الدنيا:

روى البخاري في كتابه «الأدب المفرد»، باب: «من أصبح آمنا في سربه» بسنده عن سلمة بن عبيد الله بن محصن الأنصاري عن أبيه - عبيد بن محصن اختلف في صحبته - عن النبي ﷺ قال: «من أصبح آمنا في سربه، معافى في جسده، عنده طعام يومه فكأنما حيزت له الدنيا»: (حديث: ٣٠٠)، ورواه الترمذي، وابن ماجه.

ذلك هو نبي الرحمة، ونبي الحكمة ﷺ. فهل لنا أن نحمل من ميراث رحمته بأمته، ومن ميراث حكمته، ما يجعلنا أهلا لأن نحوز شرف وراثته في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى؟

فالصفح عمن أساء، ودفع السيئة بالحسنة عامل عظيم الأثر في تحقيق مجتمع متماسك متراحم، وهذا ما نفتقر إليه. إن هذا ما يفتقر إليه كل قائد فتي قوي مع خصومه. ولكن هذا يحتاج إلى علي الحكمة، يعرف الأرض التي ينبت فيها الصفح ويورق ويزهر ويثمر، فإن كان من الخصوم من لا يصلح معه ذلك الصفح فلا يكون، كما فعل مع بني قريظة، لما كان منهم من خيانة في غزوة الأحزاب. فمثلهم يزيدهم الصفح فجورا، فلا يكون الصفح حينئذ جميلا. لأنه سيثمر قبحا، ويزيد العتو عتوا.

فالصفح الجميل عمن يصلحه الصفح قائم لم ينسخ بالأمر بالقتال، كما ذهب إليه بعض أهل العلم. قال الطبري:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن إسرائيل، عن جابر، عن مجاهد (فاصفح الصفح الجميل) قال: هذا قبل القتال.

حدثني المثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن الزبير، عن سفيان بن عيينة، في قوله: ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾ وقوله: ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ قال: كان هذا قبل أن ينزل الجهاد. فلما أمر بالجهاد قاتلهم فقال: «أنا نبي الرحمة ونبي الملحمة، وبعثت بالحصاد، ولم أبعث بالزراعة».

أما آية السيف فهي قائمة لمن لا يصلحه الصفح الجميل. وخصوم الدعوة ليسوا سواء، فلا يكون منهج التعامل معهم واحدا، فذلك منطق الحكمة في الدعوة.

ألا ترى أن الله سبحانه وتعالى قال لرسوله ﷺ ولنا معه في سورة (النحل):

﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ (النحل:١٢٥).

جعل له ثلاثة سبل إلى تحقيق الدعوة: الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، ذلك أن الناس أربعة: منهم من يسمع ويقبل، فهذا سبيل دعوته الحكمة، ومنهم من يسمع ويقبل، ولكنه لايقبل لما يحيط به من الشهوات الصارفة، فهذا سبيل دعوته الموعظة الحسنة. وهذان الضربان متقاربان، ولذا كان النظم القرآني المتعلق بدعوتهما واحدا ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ عطف سبيل الموعظة الحسنة على سبيل الحكمة.

ومنهم من يسمع ولا يقبل، بل يجادل ويعارض ويناكد، ولكنه لا يرفع سيفا. وهذا سبيله الجدال بالتي هي أحسن. وهذا ما حملته الآية الكريمة في سورة النحل.

وهذا الضرب ليس من باب الضربين الأولين، ولذا التفت عن النظم الذي كان للضربين الأولين، فلم يقل: ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، فلو قال لفهم من العطف أن هذا الضرب الثالث من باب الضربين الأولين، ولكن البيان القرآني عدل عن النهج الأول في النظم والصياغة، واستفتح طريقة جديدة، فقال: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾، فهو عطف على فعل الأمر الذي في صدر الآية ﴿ٱدۡعُ﴾ مما يفهم أن هذا السبيل ليس من باب السبيلين الأولين، إشارة إلى أن الضرب الثالث مغاير للضربين الأولين، وهذا نهج من السنة البيانية للقرآن الكريم في إفهام دقائق المعاني ولطائفها.

وكل هؤلاء الثلاثة الأضرب يصلح معهم، ويصلح من أحوالهم الصفح الجميل، وهذه الأصناف الثلاثة باقية ما بقيت الحياة. مما يجعل الأمر الإلهي للنبي ﷺ ولأمته من بعده ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾ أمرا باقيا ما بقيت الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

ويبقى الصنف الأخير من الناس: من يسمع، ولا يقبل ألبتة، بل يشهر سيفه ليمنع الدعوة من أن تبلغ غيره، فهو لا يكتفي بأن يعرض هو عنها، بل يسعى بسيفه وما ملكت يمينه من القوى إلى أن يحاجزها عن أن تبلغ مسامع الآخرين. فيتخذوا ما شاءوا طوعا لا قهرا، لأنه يعلم أنها إن بلغت مسامعهم، فإنها ستحرك ساكنا في كثير منهم، ومنهم من سيستمع، ويقبل، وهذا الضرب الرابع من الناس هو الذي جاء الأمر بقتاله، لا بقتله، فليست الغاية ألبتة قتله، وإن سل سيفه، بل الغاية قتاله، ليكف سيفه. فإن كفه، فلا يقاتلن فضلا عن أن يقتل. فإن الإسلام دين الحياة في سبيل الله، وليس دين الموت في سبيل الله، بل الموت في سبيل الله تعالى حين لا تتحقق الحياة للناس في سبيل الله إلا بموت ثلة من المسلمين في سبيل الله تعالى، تحقيقا لتلك الحياة للآخرين، وهذا هو منهج الإيثار، وذلك هو جليل الجود، وجميل السخاء.

## الهوامش

١- تفسير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط (١) ١٤٢٠هـ، مؤسسة الرسالة، ج١٧، ص١٢٨.

٢- حسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد للبخاري.

٣- صحيح البخاري (المغازي)، حديث رقم: (٤٣٣٧)، ورواه مسلم في كتاب (الزكاة) رقم: (٢٤٨٨).

# نبع الحنان

حسين سباهي
كاتب سوري

**إلى من علمتني .. أن الحياة عطاء.. وأن العطاء وفاء.. إلى أمي.. وكل الأمهات.. أنثر كلماتي.. رياحين محبة ووفاء.**

همي رضاكِ.. وأنتِ نور حياتي
يا خير مخلوق.. يعيش بذاتي
نبع الحنان.. ومنك كل سعادتي
يا من عمرت الكون بالبركات
من أين أبتدئ القصيد.. وكل ما
حولي ربيع زاهر الجنبات
أماه عيدك في الربيع تعطف
نحو الجمال ليكمل الآيات
أماه.. يا رمزا لخير وارف
يا فيض عطف في مدى السنوات
يا زهرة الأطياب.. تعشق طيبها
كالنحل ترشف من شذا الزهرات
مهما فعلت .. فلن أرد فضائلا
لك يا ملاكا طاهر الصلوات
قد تنقل الأشعار بعض محبتي
لكنها خجلى من الثغرات
فلأن قلبي عن هواك مقصر
ولأن حبك أرفع الغايات
مدي يديك أشم عذب عبيرها
أستاف بعض الطيب والحسنات
قد كانتا دوما سريرا هانئا
يحنو علي برقة وأناة
كنتُ الصغير.. وكنت أجمل ملجأ
آوي إليه لأجمع البسمات
صرتُ الكبير.. وأنت أعظم مرشد
يسدي إلي النصح في الهفوات
لا ندرك الفضل الكبير لأهلنا
وعواطفا بالنبل دفاقات
إلا إذا صرنا نربي.. مثلهم
أبناءنا بالعين والراحات

# أمنيـــة

مياسة النخلاني
قاصة يمنية

أنهى الخطيب خطبته، ونزل من على منبره ليؤم الجمع في صلاة الجمعة. بعد الانتهاء حيا المصلين بابتسامته، التي قلما تفارق شفتيه ووجهه الوقور، وقفل عائدا إلى البيت، ثم لم يلبث أن غير وجهته، بعد أن تذكر أن زوجته بصحبة الأطفال في زيارة لأهلها، فليس أمامه إلا أن يدعو نفسه عند أحد جيرانه أو طلابه أو يبحث عن مطعم قريب ليتناول غداءه، فاختار الخيار الأخير وتوجه إلى أقرب مطعم.

بعد أن غادر زقاق الحي الضيق ودلف إلى الشارع الرئيسي، لفت انتباهه ابن جاره الذي لا يتجاوز الثالثة عشرة من عمره، كان واقفا تحت شجرة على جانب الطريق، يتلفت حوله بوجل ويدخن من سيجارة حاول جاهدا إخفاءها بين أصابعه.

«أحمد!».. ناداه الشيخ وهو يتجه نحوه بخطى واسعة.

برؤيته للشيخ المسرع نحوه متجهم الوجه، انتاب أحمد الذعر، وتجمد مكانه ذاهلا، وإن سرت رعشة خفيفة بيده التي أخفاها خلف ظهره.

وقف الشيخ إزاءه يرمقه بنظرات مغضبة، قبل أن يمسك بذراعه ويرفعها حتى صارت أصابعه التي تمسك بالسيجارة مقابل وجهه، تنشق الرائحة الخانقة... «ندخن!».. قالها الشيخ وهو يتناول السيجارة من يد أحمد. لوح بها في وجهه قبل أن يرميها على الأرض ويسحقها بحذائه...

انتقلت الرعشة من يد أحمد إلى سائر جسده، أغمض عينيه، وانتظر أن تهوي كف غليظة على وجهه، كما يفعل والده كلما أخطأ.

«هل تغديت؟!».. وعوضا عن ذلك أتاه صوت الشيخ بنبرة أقل حدة، مما أجبره على فتح عينيه والتحديق فيه باندهاش دون أن ينبس بكلمة.

«سألتك هل تغديت؟!».. كرر الشيخ السؤال بنبرة أكثر هدوءا.

هز أحمد رأسه نفيا دون أن تتحرك شفتاه.

«وهل كنت في طريقك إلى البيت لتتغدى هناك؟!» سأل الشيخ، وإن كان يعرف الإجابة مسبقا إلا أنه أتته إجابة مباشرة من أحمد بالنفي قبل أن يطرق ببصره إلى الأرض؛ حتى لا يلحظ غشاوة الدموع التي طافت على عينيه. «حسنا!».. قال الشيخ، وأكمل: «تعال معي».

أفلت يد أحمد، ومضى، بينما تبعه أحمد وكأنه يشده خلفه بخيط شفاف.

التزم كلاهما الصمت في الطريق الذي لم يطل، فما كان يبحث عنه الشيخ يقع على بعد خطوات قليلة منهما: مطعم شعبي بنهاية الشارع نفسه.

اختار طاولة قصية، وطلب طعاما لهما.

أكل أحمد بشهية، ولم يشأ الشيخ أن يقاطعه، وعندما أوشك على الانتهاء سأله دون أن يرفع بصره نحوه: «لماذا لم تصل الجمعة معنا، كنت قريبا من الجامع بما فيه الكفاية لتلحق بالصلاة، في حال لم تشأ أن تحضر الخطبة؟!».

وضع أحمد الملعقة على طرف الصحن، وظل محدقا في طبقه شبه الفارغ دون أن ينطق بكلمة.

«هل يعلم والدك أنك لا تصلي؟».. سأل الشيخ دون أن ينتظر إجابة السؤال الأول.

«هو نفسه لا يذهب إلى الجامع سوى أيام العيد».. أخيرا تحدث أحمد بصوت خافت.

«وهل هذا مبرر لتترك أنت صلاتك؟!».

لم يرد عليه أحمد الذي انشغل بمراقبة المكان حوله.

«منذ متى وأنت تدخن؟». كان سؤالا مباغتا، فتوقف أحمد عن التلفت حوله ونظر نحو الشيخ مباشرة لتتحرك شفتاه بتوسل: «تلك الأولى يا شيخ، أخذتها من جيب معطف والدي خلسة. أقسم لك أنها المرة الأولى».

«وماذا إن عرف والدك؟».

«هو نفسه يدخن، فلماذا تلومني أنا؟! لن أكون إلا مثله».

«ولماذا لا تكون مثلي أنا؟! ما المانع؟!».

«احمد الله يا شيخ أنك وجدت أبا يربيك ويدلك على الجامع، أما أنا فأبي لا يدخل الجامع إلا نادرا. لا أظنه حتى يحفظ شيئا من القرآن».

«وهل هذا سبب لتحذو حذوه؟!».. يسأل الشيخ وهو يضع الملعقة ويكمل: «سأحكي لك قصة».

«لا تقل لي إنك ستحكي لي قصة أهل الكهف والصحابة!».

«بل سأحكي لك قصة أخرى، لطفل اسمه ياسين أتى إلى الحياة قبل أربعين عاما في قرية نائية. نشأ الطفل في حضن أبوين لا يعرفان ما هي الصلاة. مرة من المرات اجتمع مع الأطفال من سنه، وكل منهم يقول ما يتمناه حين يكبر، منهم من اختار أن يكون طيارا، ومنهم من اختار أن يكون مهندسا، وحين أتى الدور على ياسين هل تدري ماذا قال؟».

«ماذا؟».. سأل أحمد وقد توقف عن الأكل.

«قال إنه يريد أن يكون مثل العم عبدالله».

«من هذا؟!».

«إمام الجامع في القرية. حدث أن سار ياسين ذو التسع سنوات يوما بجانب الجامع، ووقف يراقب بدافع الفضول. كان الإمام يصلي، يطيل الركوع والسجود، كانت المرة الأولى التي يرى فيها شخصا يصلي من هذا القرب، وحين انتهى الإمام من الصلاة بدأ يذكر الله، تسبيحا وتحميدا واستغفارا. ترك ياسين مكانه في النافذة ودخل الجامع الذي لم يكن فيه ثمة صوت سوى الصمت وهمهمات الذاكرين المسبحين، جلس إلى جانب الإمام، ونقل بصره بين شفتيه اللتين تتحركان بخفوت، وأنامله التي تسبح وتحمد، وعينيه المغمضتين، وقد بدا أنه يسبح في عالم آخر. أغمض عينيه هو الآخر، وحرك شفتيه كما يفعل الإمام، وانساب مع الأذكار القليلة التي يعرفها ويرددها ويلتذ بمعاودتها، ثم فتح عينيه ليجد أن الإمام يراقبه وابتسامة على شفتيه. «ماذا تفعل؟».. سأله الإمام.

«أفعل ما تفعله أنت».. أجاب ببراءة.

«وهل أعجبك ما أفعله؟!».

«كثيرا جدا، كنت أراقبك وأنت تصلي. أرجوك أريد أن أصلي معك».. قال ياسين متوسلا.

ومن فوره علمه الإمام الوضوء. صلى وياسين خلفه، يقلد حركاته دون أن يدري ما ينبغي عليه القول.

عندما أنهى الإمام الصلاة نظر خلفه ليجد أن الصغير لا يزال خلفه، سرت في قلبه سعادة، ومنذ ذلك الحين ووقته مقسم بين الصلاة والذكر وتعليم الطفل الصلاة وتحفيظه القرآن».

توقف الشيخ عن سرد القصة ليجد أن أحمد كان متابعا له.

«ذلك الصغير أصبح شيخا وإمام جامع وحافظا للقرآن، رغم أن والديه لم يكونا يصليان حتى. لكن هل عرفت من يكون؟».. سأل الشيخ.

«لا، من هو؟».

«وكأنك لا تعرف اسمي!».. تساءل الشيخ ضاحكا.

«أهـا».. خرجت من شفتي أحمد وقد اعتراه الخجل، لكنه لم يقل كلمة إضافية، ليتابع الشيخ ياسين: «أنا كنت ذلك الطفل الذي نشأ بين أبوين لا يصليان، ورغم ذلك فتشت عن الطريق الصحيح، حتى وجدته. يا بني، يوم القيامة كل مسؤول عن نفسه، لن يتحمل أحدنا ذنب الآخر، ولن يعذب أحد بدل الآخر، ولا تزر وازرة وزر أخرى، طريقك.. أنت من ينبغي أن تخطوه وتعرفه، ومستقبلك.. أنت من يجب أن يختاره لا والدك ولا والدتك».

واصل أحمد صمته، فسأله الشيخ: «هل أطلب لك المزيد؟!».

«الحمد لله شبعت».

«بما أن لا أحد بالبيت فسأعود إلى الجامع، إن أردت رافقتني، وإن لم ترغب فكما تشاء».

أطرق أحمد دون أن يجيب بنعم أو لا. ترك الشيخ الطاولة، دفع الحساب ومضى، التفت إلى الخلف متمنيا أن يلحقه أحمد، لكنه لم يخرج من باب المطعم، دعا له في سره ثم واصل طريقه.

جلس في ركنه الخاص بالجامع. ثبت بصره على الباب. شعور في داخله ظل يسيطر عليه بأن أحمد سيدخل عليه، يعطيه الفرصة ليزيل تلك الغشاوة التي تمنعه من النظر أمامه، وتصيبه بالارتباك، تتضح الرؤية فيميز الصواب من الخطأ، ولا يستمر بتدمير نفسه لمجرد أنه لم يجد في والده الناصح الأمين. لكن أحمد لم يأت، ويبدو أنه لن يفعل. انقبض قلبه وهو يتخيله يشعل سيجارته الثانية والثالثة والرابعة ويواصل طريق التيه الذي جر نفسه إليه وساعدته الظروف على ذلك.

بدأ يسبح في سره، وواصل تسبيحه الذي تمنى ألا ينتهي، فتح عينيه ليجد أحمد بجانبه، ابتسم له، فبادله أحمد بابتسامة خجولة وأطرق ببصره إلى الأرض، قبل أن يرفع عينيه مجددا وينظر إليه بنظرات هي مزيج من التوسل والامتنان، تركه يواصل تسبيحه وعاد هو لذكره الذي لن ينتهي حتى يحين رفع أذان العصر.

# اللغة العربية من التحدي إلى العالمية

السهلي عويشي
كاتب صحفي

اللغة كائن حي دائم النمو والتطور، إلا أنه في مراحله هذه قد يتعرض للكبوات، والهزات التي قد تجعله يضعف، فإن هو كان يمتلك بداخله إمكانات المقاومة والممانعة والبقاء تجاوز كبوته لينهض من جديد وينمو ويتطور، وإن انعدمت فيه هذه الإمكانات وسيطرت عليه قابليته لاحتضان الآخر مضى وانتهى. واللغة أيضا «ذلك الوعاء الحاوي للثقافة ووسيلة التفكير الذي يحدد رؤية العالم ونواميسه، لذلك شكلت معرفتها أهم ركيزة لتحصين الهوية والذات والشخصية» (١).

وحديثنا عن الهزات التي قد تعيشها اللغة في مختلف مراحلها، باعتبارها وعاء معرفيا لثقافة معينة، يدفعنا إلى الوقوف عند مختلف التحديات المطروحة أمام اللغة العربية، باعتبارها لغة كونية، لأزيد من قرنين من الزمن، أو يزيد، وهي تتعرض لمعاول الهدم، لو تعرضت له لغة أخرى لانتفت من الوجود، لولا أنها تملك من المقومات ما حفظ لها، ويحفظ لها بقاءها، واستمراريتها، لكن الإشكالات التي تطرح: لماذا هذا التهافت والتحامل عليها بهذه القوة والقسوة؟! أليست لغة كباقي اللغات ومن حقها التطور والمنافسة؟! ما هي أوجه هذا التحامل وهذا التهافت؟ ما هي آليات كسب الرهان والانتقال بالتالي من شعار التحدي إلى رهان العالمية في ضوء المتغيرات التي يعيشها العالم على جميع الأصعدة؟ هذه إذن جملة من الإشكالات التي نطرحها، ونروم مقاربتها في هذه الورقة، لا للحسم فيها، وتقديم أجوبة شافية مانعة بشأنها، بل لتبقى دائما موضوع بحث، وتمحيص، من منطلق أن موضوعا بهذا الحجم وهذا الثقل يحتاج إلى جهد جميع الباحثين والدارسين الغيورين على لغة الضاد، لما لها من مكانة وأهمية، باعتبارها الأساس الصلد الذي تقوم عليه قصة الأمة على حد تعبير اللغوي الشهير أندرسون.

وفي هذا الباب يقول ابن خلدون «إن غلبة اللغة بغلبة أهلها، وإن منزلتها بين اللغات صورة لمنزلة دولتها بين الأمم». لأن ابن خلدون يعتقد أن المغلوب مولع أبدا بالغالب في شعاره وزيه، ونحلته، وسائر عوائده.. وإذا ما تأملنا هذا القول، وأخضعناه لميزان العقل لوجدناه ينطبق على حال اللغة العربية منذ اللحظة الأولى لاكتشاف حجم الفارق بيننا وبين الآخر وإلى الآن، بل يزداد الأمر سوءا واستفحالا في ظل المتغيرات الجديدة، والتحديات الشرسة التي تواجه فيها اللغة من قبل قوى العولمة المتمثلة في المصالح المادية الناجمة عن الاتصال بالأجنبي، والتأثير الإعلامي القائم على الصخب والضجيج والتبشير باللغة الإنجليزية على أنها اللغة العالمية (١).

في مقابل ذلك انحسار وأفول نجم اللغة الفرنسية التي بشر بها الكثير من المثقفين منذ رفاعة الطهطاوي، مرورا بطه حسين، وإلى ما بقي.. وغدا ماذا لو أفل نجم اللغة الإنجليزية وبزغ نجم آخر من الشرق مثل الصينية أو اليابانية؟! هل سنظل دائما تبعا للآخر نلتمس منه نور العلم والمعرفة؟! إنه سؤال إشكالي كبير لا يتذلل إلا إذا وضع في سياقه المعرفي والتاريخي، المرتبط أساسا بما هو ثقافي وفكري، وهو يأتي عكس ما يؤسس له البعض لتجريدنا من هويتنا، وبالتالي تحقيق ما لم يستطع أن يحققه طيلة قرون مضت، وفق مخطط مدروس محدد الغايات. ولفهم ما يحاك لابد أن نقف عند بعض المحطات التاريخية المهمة في علاقتنا نحن بالآخر، باعتبارها تجيب

بشكل أو بآخر عن هذا الإشكال، كما تساعدنا في فك حيثيات ما يحاك.

**١- محطة الانبهار**

إنها محطة تملك الإحساس بالضعف والانبهار عند المثقف العربي، وهو يرى بأم عينيه ما وصل إليه الآخر من قوة، وتنظيم، وعلم، وتأليف، وتقانة، وثقافة، وما يعيشه المسلمون من تخلف وجهل. هي محطة إذن ارتبطت بالتلاقي مع الآخر: إما بواسطة البعثات الدراسية وإما الرحلات، والتي أظهرت حجم الانبهار الكبير بالآخر، إلى حد التماهي معه أحيانا، كتجربة رفاعة الطهطاوي، الذي ما إن عاد إلى مصر حتى أسس مدرسة الألسن لتدريس اللغة الفرنسية والحضارة الغربية بين الطلبة العرب، وهناك من يرى أنه أسس هذه المدرسة بتوجيه من فرنسا، لأنها تعلم ما للغة من دور فعال، ليس في التواصل فقط، بل، وهذا هو الأهم، في نشر الثقافة والحضارة، ليتوالى مخطط توجيه سهامهم إلى لغة الضاد منذ ذلك التاريخ وإلى الآن، وبأشكال متنوعة ومختلفة، تارة بالهجوم على التراث العربي القديم، كالتشكيك في الشعر الجاهلي مع طه حسين، وتارة بالدعوة إلى اللهجات، وتارة بتشجيع الصراعات الاثنية والعرقية من باب اللغة، بدعوى حقوق الأقليات، وتارة بنبذ الحرف العربي في التدريس، وتارة بمبررات لا تستند إلى أي أساس علمي ومنطقي سوى مجاراة الآخر بشكل مبطن غير معلن. فعلى امتداد خريطة العالم الإسلامي عمل الآخر بكل ما يملك من قوة للنيل من اللغة العربية، لأنه يعلم أنها المدخل للانقضاض على الأمة، فهي الدين، والتاريخ، والتراث، والحضارة، وأي مشكك في قوة اللغة العربية وجدارتها لا يسعنا إلا أن نحيله إلى التجربتين اليابانية والصينية، كما أشار مالك بن نبي رحمه الله قبل أزيد من أربعين سنة «لكن الذي هو أكثر دلالة هو المقارنة بين فئتين متميزتين من تلاميذ الثقافة الغربية، فقد كانت الانطلاقة الحديثة للمجتمع الإسلامي معاصرة لانطلاقة أخرى في اليابان، فالمجتمعان قد تتلمذا معا حوالي عام ١٨٦٠م في مدرسة الحضارة الغربية، واليوم هاهي ذي اليابان القوة الاقتصادية الثالثة في العالم، فالأفكار المميتة في الغرب لم تصرفها عن طريقها، فقد بقيت وفية لثقافتها لتقاليدها وماضيها» (٣).

لكن ما حصل للمجتمع الإسلامي لمثقفيه هو العكس، جرفتهم الأفكار المميتة في الغرب، إذ لم تستطع النخبة المثقفة التخلص منها، مما أدى بمشروعها النهضوي إلى الإخفاق، لتعلق فشلها على مشجب اللغة العربية، ناسين أو متناسين معجزة اليابانيين الذين استطاعوا التقدم والتطور على الرغم من حفاظهم على لغتهم، وثقافتهم، وتقاليدهم في نظامهم التعليمي، وحتى في نمط حياتهم. فلماذا يريد دعاة الحداثة المفترى عليها أن يصرفونا عن ماضينا، وتاريخنا، وجذورنا العربية والإسلامية بدعاوى لا تستند إلى أساس علمي، أو تاريخي سوى ذلك الحقد الدفين الذي تخفيه للغة العربية ومن خلالها للأمة؟

**٢- الاستشراق**

في إطار العلاقة بيننا وبين الآخر، والتي سادتها في الكثير من الأحيان تجاذبات، وصراعات، وتدافعات بين الطرفين، ظهر الفكر الاستشراقي الذي تحكمت فيه مجموعة من الدوافع، والتي في أحايين كثيرة تجاوزت ما هو علمي ومعرفي إلى ما هو إيديولوجي وديني وإمبريالي، وفق مخططات استراتيجية كانت تروم التحكم في الأمة العربية والإسلامية ومقدراتها للإجهاز عليها، فالآخر يعلم أن الآلة العسكرية وحدها لا تكفي، ولا تحسم المعارك، فلجأ إلى تنويع خياراته بما يخدم مصالحه ومخططاته، وضمنها الغزو الثقافي والفكري، الذي وفق أحد الدارسين، لم يكن وليد اليوم أو البارحة، بل منذ الحملات الصليبية على الشام والتي باءت بالفشل، حيث اتجهت وجهة أخرى غير عسكرية، كانت نواتها الأولى جمعيات المستشرقين التي كانت تتألف من رجال الكنيسة، أو اليهود، ممن لهم كره عميق للإسلام، فكان شغلهم الشاغل هو دراسة الإسلام، والقيام بتحريفه، وتشويه جماله، وزرع البلبلة والتشكيك في ثقافة المسلمين ودينهم الحنيف؛ لتشويه الحضارة الإسلامية في أذهان المسلمين (٤).

فقاموا بدراسة كل ما له علاقة بالإسلام، والمسلمين من تاريخ، وفقه، وحديث، وأدب، وحضارة، وفنون، وسرقة المخطوطات وأمهات المصادر التي شكلت كنزا معرفيا إسلاميا أصيلا، فقاموا بدراستها وترجمتها بمنهجهم، وبما يخدم مخططاتهم «فلما بدأ اتصالنا بالحضارة الغربية.. لم يجد المثقفون من غير علماء الشريعة أمامهم طريقا ممهدا للحديث عن تراثنا المبعثر في كتب قديمة غير منظمة تنظيما يتفق وتنظيم الكتب العلمية عند الغربيين إلا كتب المستشرقين، الذين أفنوا أعمارهم في دراسة ثقافتنا وتتبع مصادرها في خزائن الكتب العامة عندهم....» (٥)، فلم يسلم من مثقفينا إلا القليل، ممن آلوا على أنفسهم جهد المراجعة، والقراءة الجديدة من المصادر الصحيحة الأصيلة، بعيدا عن زيف المستشرقين وقراءاتهم، غير مكتفين بما تم تحصيله منهم. أما أولئك الذين اكتفوا بما قرأوا، فأصبحوا مجرد أبواق لترديد ما تحصلوا عليه، وإن كان ممتلئا بالشوائب، فقاموا بإنتاج وصناعة نخب على نهجهم، ومنهاجهم، وعلى سمعهم وبصرهم، يتبنون طروحاتهم وأفكارهم، بل ويجتهدون بما يتماشى وتصوراتهم، ومناهجهم في التفكير والتحليل، حتى وإن كانت هذه المناهج قد شاخت

وماتت في المجتمعات التي ولدت فيها، وبالتالي «فإذا كانت الأفكار التي تستورد من الخارج هي أيضا مميتة في وسطها الأصلي فإنها ستلعب في مجتمعنا الدور نفسه وتعطي النتائج نفسها...» (٦).

ولما تنامت عملية إحياء التراث العربي الإسلامي، تحقيقا وتدقيقا ومتابعة، وتمكنت من إفشال هذه المخططات، تغيرت استراتيجية العمل، بحيث إن سهام النقد، والهدم لم تعد تتجه بتلك الحدة نفسها، كما كانت، للدين والحضارة العربية الإسلامية بشكل مباشر، لأنها لعبة مكشوفة وساذجة، إذ أصبحت تتجه إلى اللغة كنوع من التقية والتحايل، للتلبس بلبوس المدافع عن الأمة والغيور عليها، والذي لا يريد لها إلا التقدم والرقي والتطور، لتستمر مذبحة التراث والحضارة عبر إنتاج لغة هجينة، لا امتداد لها، لا روح لها، لا في التاريخ، ولا في المجتمع.. لغة ضعيفة، اجتماعيا واقتصاديا وحضاريا وتداوليا، بإحداث نوع من القطيعة معرفيا وحضاريا بين الإنسان العربي المسلم وتراثه، مما يعني تحقيق الهدف المرسوم سلفا وهو ما يمكن أن نمثل له بالمعادلة التالية:

إضعاف اللغة = إضعاف الهوية = إضعاف الذات

لغة= هوية = ذات

وهي معادلة يمكن أن نكتشفها بشكل جلي من خلال حديثنا عن الازدواج اللغوي.

### ٣- الازدواج اللغوي

لعل من تبعات الحركة الاستعمارية للعالم الإسلامي أنها لم تنهب مقدراته الطبيعية فحسب، بل عملت على إضعافه أيضا، ثقافيا وفكريا، حتى لا تقوم له أي قائمة، وبالتالي تبقى هي القوة السائدة، حتى لو خرجت. كما أن الصراع لم يكن صراعا عسكريا فقط، بل كانت هناك صراعات ومعارك حامية الوطيس في جبهات أخرى لا تقل خطورة عن تلك العسكرية، استعملت فيها أسلحة أخرى واستراتيجية من نوع آخر، هذه المعارك قادها رجال الفكر والثقافة المتشبعون بقيم اللغة الأصيلة، وبقيم الدين الحنيف وتعاليمه السمحة، فقد كانوا هم محركيها، وكان الدين هو الطاقة المتجددة التي يشحن بها المجاهدون والمناهضون للاستعمار في البلدان العربية الإسلامية، وهذا ما انتبه إليه المستعمر مبكرا. ولما لم تنفع استراتيجية الخرافة والدجل لإفساد العقيدة أمام يقظة الفكر الإصلاحي النهضوي في العالم الإسلامي، لجأ إلى استراتيجية أخرى تتبنى على إشاعة الفرقة بين المسلمين، لكون الإسلام كان هو اللحمة الجامعة، رغم اختلاف الأعراق والألوان والألسن، فبدأ يبحث عن شيء آخر، فوجد ضالته في تشجيع الفكر القومي، والعرقي، والطائفي، تحت يافطة حقوق الأقليات، وهو ما يتجلى بشكل واضح في تفكيك الخلافة الإسلامية بتشجيع العنصر العربي على الانفصال، ثم بث الفرقة داخل الأوطان العربية: الظهير البربري في المغرب العربي – استعمال ورقة الأكراد في العراق والشام وتركيا.. وتشجيعهم على الانفصال – تمزيق السودان، إلى غيرها من المحطات التي كانت كلها تهدف إلى إضعاف الأمة، والتي مازالت سائدة إلى الآن، وإن اتخذت صورا أخرى، وتلونت بشعارات الدفاع عن حقوق الإنسان، إلا أنها هذه المرة بلاعبين جدد من الداخل، وهنا الخطورة، كالتيار الأمازيغي المتطرف في المغرب العربي الكبير، ثم ورقة الأكراد في الشام والعراق وتركيا، وهو مخطط يدخل من دون شك في سياق إضعاف الأمة وتفكيكها وتمزيقها، بدءا باللغة وانتهاء بالمقومات الحضارية لها، ونحن نتحدث عن المخططات الاستعمارية في ما يخص الجانب اللغوي، لابد من التأكيد على أن العصر الاستعماري غرس في ما غرس من الظواهر المتصلة بالهياكل الاقتصادية، والاجتماعية، والإدارية في البلاد المستعمرة ظاهرة خاصة هي ازدواجية اللغة التي تتعلق ببناه الثقافية، والعقلية وبأفكاره (٧). وهو ما حدث في كل البلدان العربية المستعمرة، وإن بدرجات متفاوتة في المغرب العربي، كما في مصر والشام، الأمر الذي أدى إلى إعادة إنتاج الأفكار والقيم والمعتقدات، كما يلاحظ مع عبدالرازق الأزهري القديم الذي جعل أفكاره وقيمه الأساسية موضع تساؤل عندما ناقش مثلا فكرة الخلافة (٨) أو لآخرين من بعده، وإلى الآن، ممن انبهروا بثقافة الغرب وافتتنوا به إلى حد الحلول، وصاروا يرون فيه الأنموذج الذي يحتذى به، بدءا برفاعة الطهطاوي وانتهاء بمناصري قيم الحداثة وما بعد الحداثة. ولقد انتبه مالك بن نبي لخطورة هذا منذ زمن بعيد، مشيرا إلى أن الانشقاق الذي أدخلته ازدواجية اللغة في العالم الثقافي للبلد الإسلامي ليس ذا طابع

جمالي فقط، بل هو ذو بعد أخلاقي وفلسفي، والمتأمل لما يحصل حاليا في المشهد الثقافي العام، يدرك - لا محالة - أن الأمر في الازدواج اللغوي لم يعد منوطا به تفجير الحقل الثقافي، وإغناؤه فقط، بل تمادى إلى حد تفخيخه وتخريبه، ونسفه بالكامل، متلبسا بإيديولوجيات متنوعة، لتخدم ما سماها مالك بن نبي آلهة اليوم وتمائم الساعة ولتخدم نفسها تحت أي قناع من هذه الأقنعة (٩)، وهو ما يتكشف من خلال تصاعد الأصوات الداعية إلى اعتماد اللهجات في التدريس، وتصاعد التيار الأمازيغي المتطرف الذي بمناسبة وبغير مناسبة تجده متحاملا على اللغة العربية، وهو لا يعبر إلا عن هدف واحد، وهو ضرب اللغة العربية في معاقلها الأساسية وإضعافها، وبالتالي الترويج لأفكار المستشرقين، واتهامهم للغة العربية باعتبارها لغة جامدة، ومحنطة، وعاجزة عن التعبير عن الفكر الجديد (١٠)، فالمشكلة ليست أساسا في اللغة، بقدر ما هي في الفكر، ولو كانت في اللغة لما استطاعت مجتمعات بالأمس القريب كانت تراوح مكانها في التخلف، أن تصل إلى ما وصلت إليه من تقدم وازدهار، من دون أن تقطع مع لغتها وتاريخها وتراثها، لنخلص كما يقول الدكتور عبدالعزيز حمودة «إننا حينما استغرقتنا عملية استهلاك فكر الآخر، ولم نعد ننتج فكرا خاصا بنا، قدمنا لغتنا في حالة قصور وعجز..» (١١).

لذا نجده لا يتردد، وهو الملم والمتلقي للتعليم الغربي، في أن يحذر من مخاطر التبعية الثقافية، كما يدعو إلى الاتجاه للتراث العربي القديم، لتأكيد شرعيته هو، وليس شرعية الحاضر، وإبراز وتطوير أفضل ما فيه لتحديد رؤية أو شرعية للمستقبل من دون إهمال الاستفادة من المخزون الثقافي الغربي بعيدا عن الارتماء الكلي في أحضان الثقافة النظرية الغربية الحديثة، لما فيه من تجن على الذات واللغة، إضافة إلى ذلك، فإن شعار القطيعة المعرفية مع التراث، خلق فراغا أدى إلى تبني الفكر الغربي كبديل لملء الفراغ الجديد، وبالتالي خلو الساحة الثقافية العربية من فكر لغوي، ونقدي ناضج (١٢)، لأن اللغة العربية لغة استمرارية وحياة، وليست لغة قطيعة، وبالتالي كان التقهقر هو المآل، لما تم الانسياق وراء فكر الآخر وتبنيه، الأمر الذي صار يستوجب رفض ثنائية الانبهار بكل إنجازات العقل الغربي واحتقار كل إنجازات العقل العربي (١٣).

هذه إذن بعض التحديات المطروحة أمام اللغة العربية، أبينا إلا أن نضعها في سياقها التاريخي والثقافي والفكري، بغية فهم ما يحصل حاليا من تحامل عليها، لأن فهم الحاضر يستدعي استيعاب الماضي، لوضع أرضية صلبة تستشرف المستقبل.

### رهان العالمية

إننا حينما نقول إن اللغة العربية لغة كونية وعالمية، بإمكانها المنافسة، وتحقيق الريادة، واسترداد أوجها ومجدها، لا نقول ذلك من باب دغدغة العواطف والأحلام، بل نقول ذلك انطلاقا من مجموعة من المؤشرات، كما وضعها علماء لغويون غربيون قبل العرب أنفسهم، وانطلاقا أيضا من دراسات وأبحاث لسنية ومن نتائج محصل عليها تصب كلها في مصلحة اللغة العربية.

لقد أثبتت الدراسات اللسنية الحديثة أن اللغة الوحيدة غير القابلة للانقراض هي اللغة العربية.

## الهوامش

(١) اللغة والهوية، جون جوزيف، ترجمة عبدالنور خراقي، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٤٢، أغسطس ٢٠٠٧م، الكويت، ص٧.
(٢) المصدر نفسه، ص١١.
(٣) مشكلات الأفكار في العالم الإسلامي، مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق ١٩٨٨م، ص١٥١.
(٤) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى السباعي، دار ابن حزم، بيروت ٢٠١٠م، ص٢٨٥.
(٥) المصدر نفسه، ص٥١.
(٦) مشكلات الأفكار في العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص١٥٠.
(٧) المصدر نفسه، ص١٣٧.
(٨) انظر: كتاب مختارات من الأدب العربي المعاصر، أنور عبدالمالك، باريس ١٩٦٥م، ص٨١ ٨٦.
(٩) مشكلات الأفكار في الحضارة الإسلامية، مصدر سابق، ص١٣٩.
(١٠) المرايا المقعرة، عبدالعزيز حمودة، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٧٢، أغسطس ٢٠٠١م، الكويت، ص١٩٥.
(١١) المصدر نفسه، ص١٩٦.
*انظر: المرايا المقعرة، عبدالعزيز حمودة، سلسلة عالم المعرفة.
(١٢) المصدر نفسه، ص١٩٥.
(١٣) الخروج من التيه، عبدالعزيز حمودة، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٩٨، نوفمبر ٢٠٠٣م، الكويت، ص٦٨.

# تاج العروس من جواهر القاموس

التحرير

الحمد لله القائل: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ (الزمر: ٢٨)، ومن هذا المنطلق، يجب رعاية هذا الوعاء، وتعهده الفاعل والمتخصص، حتى لا تضيع في مهب التداخلات الحضارية والثقافية المختلفة. فكيف إذا كانت هذه اللغة هي لغة القرآن، وبيان الرسول الكريم ﷺ، فواجب إحاطة اللغة العربية برعاية فائقة، تهدف أولا إلى صيانتها، ومن ثم الارتقاء بها، لتكون بحق اللغة العبقرية التي لا يستغنى عنها في وضع فروع المعرفة المختلفة في إطارها، وقد تصدى الكثيرون لدراسة عميقة لتراكيب اللغة واشتقاقاتها، ولكن سعة اللغة العربية وصعوبة الإحاطة بها يحتمان مزيدا من الجهد، تصديقا لمن قال: كلام العرب لا يحيط به إلا نبي.

وإن أحد أهم كنوز تراثنا «معجم تاج العروس» للزبيدي، الذي شرح به القاموس المحيط. وقبل عرض ما جاء في مقدمة التاج، ينبغي علينا أن نستعرض أهم سمات منهج «القاموس المحيط» لمؤلفه مجد الدين الفيروز آبادي، ومنها: أنه:

١- اتبع في ترتيب المواد نظام القافية الذي ابتكره الجوهري.

٢- اهتم بالترتيب الداخلي للمواد، ففصل معاني كل صيغة من زميلتها في الاشتقاق، وقدم الصيغ المجردة على المزيدة، وأخر الأعلام.

٣- اتبع مبدأ الإيجاز، فحذف الشواهد على اختلاف أنواعها.

٤- اعتمد اعتمادا كليا على المعجمين «المحكم» لابن سيده، و«العباب» للصاغاني.

٥- حاول استقصاء المواد اللغوية وصيغها ومعانيها المختلفة.

٦ - اعتنى بذكر الأعلام. وبخاصة المحدثين والفقهاء، وأسماء المدن والبقاع، واعتنى بذكر الفوائد الطبية، كما اعتنى أيضا بالألفاظ الاصطلاحية في العلوم المختلفة.

٧- كتب بالحبر الأحمر كل الكلمات التي زادها على الجوهري.

٨- اهتم بضبط الكلمات، هربا من تصحيف النساخ.

٩- استعمل رموزا خاصة، لتدل على أشياء معينة، وذلك إمعانا في الاختصار، نحو: م: معروف، ع: موضع، ج: جمع، هـ: قرية، د: بلد(١).

**قطوف من مقدمة الزبيدي في كتابه «تاج العروس»**

بعد حمد الله تعالى، والصلاة على نبيه الكريم وآله وصحبه، بين الزبيدي رحمه الله أن التصنيف مضمار خطير، وقال عن اجتهاده فيه:

«وقد تصديت للانصباب في هذا المضمار تصدي القاصد بذرعه، الرابع على ظلعه، فتدبرت فنون العلم التي أنا كائن بصدد تكميلها، وقائم بإزاء خدمتها وتحصيلها، فصادفت أصلها الأعظم الذي هو اللغة العربية، خليقة بالميل في صغو الاعتناء بها، والكدح في تقويم عنادها، وإعطاء بداهة الوكد وعلالته إياها، وكان فيها كتاب القاموس المحيط، للإمام مجد الدين الشيرازي أجل ما ألف في الفن، لاشتماله على كل مستحسن، من قصارى فصاحة العرب العرباء، وبيضة منطقها وزبدة حوارها، والركن البديع إلى ذرابة اللسان، وغرابة اللسن، حيث أوجز لفظه وأشبع معناه، وقصر عبارته، وأطال مغزاه، لوح فأغرق في التصريح، وكنى فأغنى عن الإفصاح، وقيد من الأوابد ما أعرض، واقتنص من الشوارد ما أكثب، إذ ارتبط في قرن ترتيب حروف المعجم ارتباطا جنح فيه إلى وطء منهاج أبين من عمود الصبح، غير متجانف للتطويل عن الإيجاز، وذلك أنه بوبه، فأورد في كل باب من الحروف ما في أوله الهمز، ثم قفى على أثره بما في أوله الباء، وهلم جرا، إلى منتهى أبواب الكتاب، فقدم في باب الهمزة إياها مع الألف عليها مع الباء، وفي كل باب إياها مع الألف على الباءين، وهلم جرا، إلى ما انتهى فصول الأبواب، وكذلك راعى النمط في أوساط الكلم وأواخرها، وقدم اللاحق فاللاحق، ولما كان إبرازه في غاية الإيجاز، وإيجازه عن حد الإعجاز، تصدى لكشف غوامضه ودقائقه رجال من أهل العلم، شكر الله سعيهم، وأدام نفعهم، فمنهم من اقتصر على شرح خطبته التي ضربت بها الأمثال، وتداولها بالقبول أهل الكمال، كالمحب ابن الشحنة، والقاضي أبي الروح عيسى ابن عبد الرحيم الكجراتي، ومنهم ومنهم...».

ثم قال: «ومن أجمع ما كتب عليه مما سمعت ورأيت شرح شيخنا الإمام اللغوي أبي عبد الله محمد بن الطيب بن محمد الفاسي، المتولد بفاس سنة ١١١٠هـ، والمتوفى بالمدينة المنورة سنة ١١٧٠هـ، وهو عمدتي في هذا الفن، والمقلد جيدي العاطل بحلي تقريره المستحسن، وشرحه هذا عندي في مجلدين ضخمين، فلما آنست من تناهي فاقة الأفاضل إلى استكشاف غوامضه، والغوص على مشكلاته.... قرعت ظنبوب اجتهادي، واستسعيت يعبوب اعتنائي، في وضع شرح عليه، ممزوج العبارة، جامع لمواده بالتصريح في بعض وفي البعض بالإشارة، واف ببيان ما اختلف من

نسخه، والتصويب لما صح منها من صحيح الأصول، حاو لذكر نكته ونوادره، والكشف عن معانيه والإنباه عن مضاربه ومآخذه بصريح النقول، والتقاط أبيات الشواهد له، مستمدا ذلك من الكتب التي يسر الله تعالى بفضله وقوفي عليها، وحصل الاستمداد عليه منها، ونقلت بالمباشرة لا بالوسائط عنها، لكن على نقصان في بعضها نقصا متفاوتا بالنسبة إلى القلة والكثرة، وأرجو منه سبحانه الزيادة عليها».

ثم ذكر أصوله التي اعتمد عليها، ومن أهمها: كتاب الصحاح للجوهري، والتهذيب للأزهري، والمحكم لابن سيده، وتهذيب الأبنية والأفعال لابن القطاع، ولسان العرب لابن منظور، وتهذيب التهذيب للتنوخي، وكتاب الغريبين لأبي عبيد الهروي، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير الجزري، وكفاية المتحفظ لابن الأجدابي وشروحها، وفصيح ثعلب، وشروحه الثلاثة: لأبي جعفر اللبلي، وابن درستويه، والتدميري، وفقه اللغة، والمضاف والمنسوب، كلاهما لأبي منصور الثعالبي، والعباب والتكملة على الصحاح، كلاهما للرضي الصاغاني، وغيرها كثير جدا ذكرها كلها..

ثم قال: «ولم آل جهدا في تحري الاختصار، وسلوك سبيل التنقية والاختيار، وتجريد الألفاظ عن الفضلات التي يستغنى عنها في حط اللثام عن وجه المعنى عند ذوي الأفكار».

مشتملات مقدمة التاج: مقدمة كتاب تاج العروس مشتملة على عشرة مقاصد:

المقصد الأول في بيان أن اللغة هل هي توقيفية أو اصطلاحية؟

المقصد الثاني في سعة لغة العرب.

المقصد الثالث في عدة أبنية الكلام.

المقصد الرابع في المتواتر من اللغة والآحاد.

المقصد الخامس في بيان الأفصح.

المقصد السادس في بيان المطرد والشاذ والحقيقة والمجاز والمشترك والأضداد والمترادف والمعرب والمولد.

المقصد السابع في معرفة آداب اللغوي.

ولأهمية ما جاء فيه أورده بلفظه:

قال السيوطي في المزهر: أول ما يلزمه الإخلاص وتصحيح النية، ثم التحري في الأخذ عن الثقات، مع الدأب والملازمة عليهما، وليكتب كل ما رآه ويسمعه، فذلك أضبط له، وليرحل في طلب الغرائب والفوائد، كما رحل الأئمة، وليعتن بحفظ أشعار العرب، مع تفهم ما فيها من المعاني واللطائف، فإن فيها حكما ومواعظ وآدابا يستعان بها على تفسير القرآن والحديث. وإذا سمع من أحد شيئا فلا بأس أن يتثبت فيه، وليترفق بمن يأخذ عنه، ولا يكثر عليه، ولا يطول بحيث يضجر، ثم إنه إذا بلغ الرتبة المطلوبة صار يدعى الحافظ، ووظائفه في هذا العلم أربعة: أحدها وهي العليا الإملاء، كما أن الحفاظ من أهل الحديث أعظم وظائفهم الإملاء، وقد أملى حفاظ اللغة من المتقدمين الكثير، فأملى أبوالعباس ثعلب مجالس عديدة في مجلد ضخم، وأملى ابن دريد مجالس كثيرة، رأيت منها مجلدا، وأملى أبومحمد القاسم بن الأنباري وولده أبو بكر ما لا يحصى، وأملى أبوعلي القالي خمس مجلدات وغيرهم، وطريقتهم في الإملاء كطريقة المحدثين، يكتب المستملي أول القائمة: مجلس أملاه شيخنا فلان، بجامع كذا، في يوم كذا، ويذكر التاريخ، ثم يورد الملي بإسناده كلاما عن العرب والفصحاء، فيه غريب يحتاج إلى التفسير، ثم يفسره، ويورد من أشعار العرب وغيرها بأسانيده، ومن الفوائد اللغوية بإسناد وغير إسناد مما يختاره، وقد كان هذا في الصدر الأول فاشيا كثيرا، ثم ماتت الحفاظ، وانقطع إملاء اللغة من دهر مديد، واستمر إملاء الحديث.

المقصد الثامن وفيه أنواع:

النوع الأول في بيان مراتب اللغويين، وفيه فرعان:

الأول في بيانه أئمة اللغة من البصريين، وبيان أسانيدهم ووفياتهم وكناهم.

الفرع الثاني: في بيان أئمة اللغة من الكوفيين، وبيان أسانيدهم وألقابهم ووفياتهم.

النوع الثاني: في بيان أول من صنف في اللغة، وهلم جرا.

المقصد التاسع في ترجمة المؤلف الفيروزآبادي.

المقصد العاشر في أسانيدنا المتصلة إلى المؤلف.

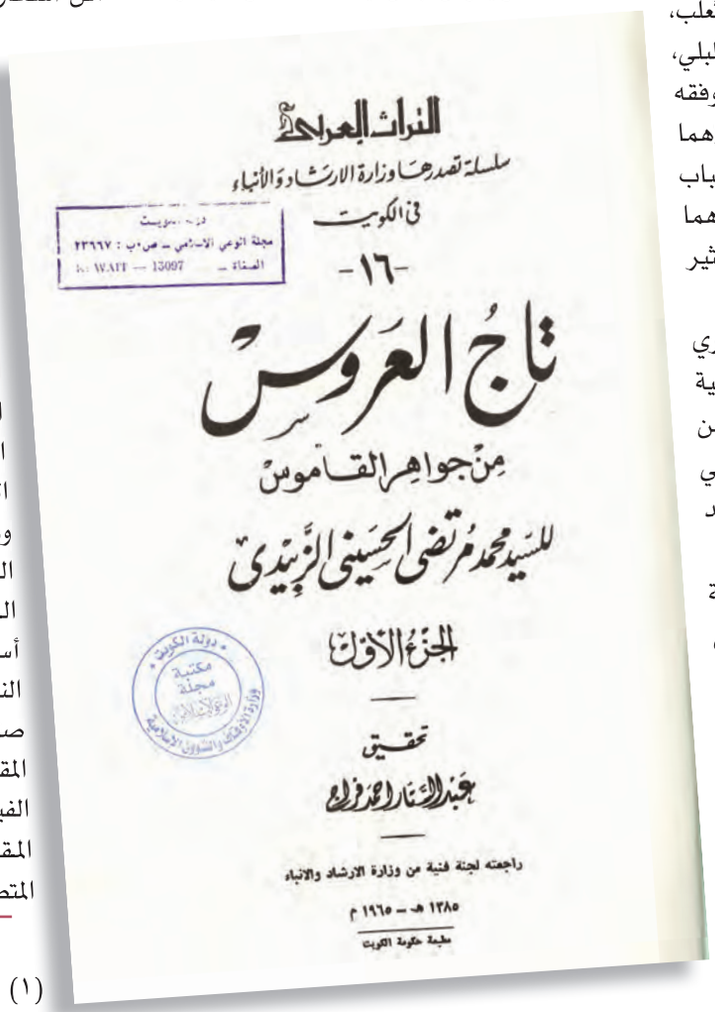
التراث العربي
سلسلة تصدرها وزارة الارشاد والأنباء
في الكويت
-١٦-
تاج العروس
من جواهر القاموس
للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي
الجزء الأول
تحقيق
عبد الستار أحمد فراج
راجعته لجنة فنية من وزارة الارشاد والأنباء
١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م
مطبعة حكومة الكويت

## هامش

(١) مستفاد من مقدمة المحقق علي شيري.

# الجالية المسلمة ودورها في الدعوة بالغرب

محمد الدرداري
كاتب مغربي

**إن الأقليات المسلمة التي تعيش في بلاد المهجر، يمكن أن تقوم بدور فعّال في دعوة أهل الغرب إلى الإسلام، وتعريفهم بحقيقته، فهؤلاء يعدون بمثابة سفراء الإسلام ورسله في الغرب، يقول الشيخ محمد الغزالي يرحمه الله: «ومن المقطوع به أن جماهير المسلمين المهاجرين- وهم ألوف مؤلفة- يمكن استبقاؤهم على دينهم، بل يمكن جعلهم طلائع لنشره، لو أرادت الأمة الإسلامية ذلك، وعملت له» (١).**

فهذه الأقليات بإمكانها أن تكون مصدر إشعاع دعوي وروحي بما تحمله إلى العالم من خير، وبما تقدمه للناس من فضل، إلا أن «الحياة المعاصرة تكشف عن ضعف هذا الدور بين الجاليات المسلمة في تعريف الناس بالإسلام، وأن من يدخل في الإسلام - غالبا - إنما تعرف عليه من الكتب والبحوث والمجلات، لا من خلال دعوة المسلمين لغيرهم» (٢).

ومن المعلوم أن ثمة عقبات كثيرة تقف في وجه دعوة أهل الغرب إلى الإسلام، وهي عقبات تحول دون تعرف المواطنين الغربيين على الإسلام في صورته النقية، إن الدعوة التي يمكن أن تقوم بها الأقليات المسلمة في الغرب، لا تتوقف على نمط واحد، أو وسيلة موحدة، بل تتنوع إلى أنماط أو طرق مختلفة، بحيث يصبح بإمكان جميع المسلمين العائشين في الغرب القيام بواجب الدعوة إلى الله، وتبليغ شرعه للناس.

## التبليغ بالقدوة

ولعل من أهم وسائل دعوة الغرب للإسلام: القدوة الحسنة، فالمسلم في الغرب مكلف بتطبيق إسلامه اعتقادا وقولا وعملا أينما وجد، وهو بذلك يقدم شهادة عملية للإسلام، فعلى المسلم في بلاد المهجر أن يكون كتابا مفتوحا يقرأ فيه أهل الغرب أخلاق الإسلام وتعاليمه السمحة التي ترتقي بالإنسان، وتسمو به إلى القمم السامقة، بحيث لا يطلع هؤلاء منه إلا على الفضائل ومكارم الأخلاق ومحاسن العادات، ولقد نقل عن إبراهيم بن أدهم أنه قال يوما لأصحابه: «ادعوا الناس وأنتم صامتون، قالوا: كيف ذلك؟ قال: ادعوا الناس بأفعالكم».

ولقد انتشر الإسلام في بقاع كثيرة من العالم بالقدوة الحسنة والسمعة الطيبة للمسلمين، فالقدوة الحسنة التي يظهر بها المسلم هي في الحقيقة بمثابة شهادة عملية ودعوة واقعية للإسلام، يستدل بها النبهاء والأذكياء من غير المسلمين على ربانية رسالة الإسلام، وصحة نبوة محمد ﷺ.

إن القدوة في مجال الدعوة والتبليغ هي بمثابة القلب من جسم الإنسان، ولذلك لما تمنى الناس ذهبا ينفقونه في سبيل الله، كانت مقولة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ولكني أتمنى رجالا مثل أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ ابن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة، فأستعين بهم على إعلاء كلمة الله».

وتأكيدا على أهمية القدوة في مجال الدعوة إلى الإسلام في الغرب، تقول الأستاذة «ليلى بيومي» في مقال لها تحت عنوان: «إشكاليات الدعوة عند مسلمي الغرب» وإذا كان المسلمون الذين يقيمون في الغرب يرغبون حقا في ممارسة الدعوة الإسلامية على أسس سليمة في أوساط الغربيين، فعليهم أولا البدء بأنفسهم، وتنقية صفوفهم، وتنقية أفكارهم، وإقامة شؤون حياتهم على أسس الشورى الإسلامية، وتغليب المصالح الإسلامية العامة على مصالح الأشخاص الخاصة، وتصحيح مسار حياتهم تماما، كي ينظر إليهم الإنسان الغربي على أنهم القدوة والنموذج (٣).

## التبليغ بالقول

وهذا يتطلب انفتاحا على الناس، وتواصلا مستمرا معهم، والتبليغ بالقول هو الأصل في تبليغ الدعوة ونشرها في الآفاق، ومما لا شك فيه فإن الدعوة الإسلامية في الغرب استفادت من جو الحرية المكفولة في الدساتير الغربية، خاصة حرية التعبير وحرية الرأي، وهو ما أتاح أمام الدعاة فرص اللقاء مع المدعوين في أوطانهم، ومخاطبتهم بحرية قل أن تتوفر لنظرائهم في بلدانهم الأصلية.

والقول المطلوب من الداعية في مجال التبليغ يتخذ أشكالا متعددة، فتارة يكون عبارة عن محاضرة دعوية يستدعى إليها من يوثق في عقله من الغربيين، ونتلمس فيه قبول الحق، وقد ننفتح على أشكال دعوية أخرى، كالاتصال المباشر مع المدعوين في العمل، أو الجامعة، أو المدرسة، أو الشارع، وغيرها من المرافق، أو

الاتصال غير المباشر من خلال وسائل الإعلام المختلفة.

والذي يتولى دعوة غير المسلمين في بلاد المهجر - من أبناء الأقليات المسلمة - يجب عليه أن يكون راسخا في علم الشريعة، متعمقا في فقهها، «لأن فاقد الشيء لا يعطيه»، إضافة إلى اطلاعه الواسع على الشُبه المثارة حول الإسلام، وسبل دحضها والرد عليها، كما يجب أن يكون خطابه الدعوي مراعيا لقواعد التخاطب الشرعية التي جاء بها القرآن الكريم وحث عليها النبي ﷺ، ومن هذه القواعد:

الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ (النحل: ١٢٥). فالواجب على دعاة المهجر وغيرهم أن يخاطبوا الناس ويدعوهم إلى الإسلام بالرفق واللين والإحسان، ويتجنبوا كل أسلوب فيه إغلاظ في القول أو احتقار للآخرين.

وتبدو قيمة هذه الخصلة في دعوة الكفار، ما خاطب به الله تعالى نبيه موسى وأخاه هارون حينما قال لهما: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ (طه: ٤٣- ٤٤)، قال إبن كثير يرحمه الله في تفسيرها: «هذه الآية فيها عبرة عظيمة، وهو أن فرعون كان في غاية العتو والاستكبار، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك، ومع هذا أمر أن لا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين» (٤).

وقال الإمام الشوكاني: «أمرهما بإلانة القول له، لما له في ذلك من التأثير في الإجابة، فإن التخشين بادئ ذي بدء يكون من أعظم أسباب النفور والتصلب في الكفر، والقول اللين هو الذي لا خشونة فيه، يقال: لان الشيء يلين لينا والمراد تركهما للتعنيف» (٥).

الجدال بالتي هي أحسن، قال تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ (النحل:١٢٥). وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ (العنكبوت: ٤٦).

ومن المعلوم أن التعبير القرآني في مقام الموعظة اكتفى بأن تكون «حسنة»، أما بالنسبة للجدال فلابد أن يكون بالتي هي «أحسن»، والفرق أن الموعظة تكون مع الموافقين، عكس الجدال الذي يكون مع المخالفين، لهذا وجب أن يكون بالتي هي أحسن، يقول الشيخ القرضاوي:

« معنى التي هي أحسن: يعني الطريقة التي هي أفضل الطرق وأجودها وأقربها للوصول إلى القلوب والعقول، بمعنى أنه إذا كان هناك طريقتان في الجدال والحوار، طريقة حسنة جيدة وطريقة أحسن منها وأجود، فنحن باعتبارنا مسلمين مطالبون بأن نحاور بالطريقة التي هي أحسن وأجود» (٦).

هذا هو الخطاب الدعوي الذي يجب على المسلمين في المهجر الالتزام به، وتلك هي معالمه الأساسية التي تكسبه الفاعلية والقدرة على التأثير والتأقلم مع الأوضاع العامة التي يعيشها الإنسان الغربي في وطنه.

## الهوامش

(١) مستقبل الإسلام خارج أرضه..كيف نفكر فيه؟ الشيخ محمد الغزالي، مؤسسة الشرق للعلاقات والنشر والترجمة، عمان، ط/١، ١٩٨٤م ص:١٥٤.

(٢) د. أحمد شاهين، مقال تحت عنوان «دور الأقليات في الدعوة» منشور على موقع: عودة ودعوة.

(٣) ليلى البيومي، «إشكاليات الدعوة عند مسلمي الغرب».

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط/١، ١٩٩٧م، تحقيق: سامي محمد السلامة، ج/٥، ص:٢٩٤.

(٥) فتح القدير، الإمام الشوكاني، الناشر: دار الوفاء، ١٩٩٤ م، دون طبعة، حققه وخرج أحاديثه: د. عبد الرحمان عميرة، ج/٣، ص:٥٠٣.

(٦) د. يوسف القرضاوي، «الانفتاح على الغرب: مقتضياته، وشروطه»، بحث منشور ضمن كتاب جماعي تحت عنوان: رسالة المسلمين في بلاد الغرب، ص ١٦/١٥.

## إرشاداً لذوي الأمل:

# أحوال الطفل المهمل

د. حميد مسرار
باحث دراسات إسلامية

الأطفال هبة الله ووديعته التي استودعها عباده، فهم بهجة الدنيا وزينتها، وهم مستقبل الأمة وحاملو لواء حضارتها، إنهم العالم المليء بالبراءة والطهر والنقاء، هم رجال ونساء الغد، الذين تعقد عليهم الآمال في حمل مشعل الأمة، والدفاع عن الحق في سبيل إعلاء كلمة الإسلام. لذلك عني الإسلام بالطفل عناية خاصة، فشرع له من الحقوق ما يكفل سعادته، ويحفظه من الانحلال الخلقي، بل يقومه على المنهج الرشيد والسلوك السوي، عاهدا أمره إلى أسرة يربطها رباط مقدس، تضمن له البقاء، وتحقق له السعادة.

إلا أن بعض النفوس الضعيفة أبت إلا أن تسير في ركاب الغرب حيث سار، فأقبلت على الملذات وتكالبت عليها، ضاربة عرض الحائط كل القيم والأعراف، ما ضعضع أركان الأسرة، وهدم بنيانها، فكانت ثمرة ذلك أطفال مصيرهم الإهمال والضياع، أطفال شاءت لهم الظروف أن يولدوا في جو لا يحتفي بهم، ولا تطلق الزغاريد عند حلولهم ضيوفا جددا على هذا العالم، صغار رمت بهم الأقدار على أرصفة الشوارع أو أبواب المساجد والمستشفيات، ليجدوا مؤسسات خيرية محضنا لهم، بل مستقرهم إلى حين ظهور كافليهم أو آبائهم.

وعليه فقد اعتنى الإسلام بالطفل عناية بالغة، لا أقول منذ ولادته، بل قبل أن يولد، فالإسلام حرم السفاح وشرع النكاح، ودعا إلى تكوين الأسرة من أجل الطفل حتى ينشأ في ظل محضن سليم، وفي رحاب أبوة راعية وأمومة حانية، وينال حقه من حسن التربية، ونظرا لما قد يحدث من إشكالات قد توجده بعيدا عن محضنه الأصلي؛ إما لقيطا أو يتيما، يوسم مهملا في مراكز خيرية، فالتعريف بهم وبإشكالاتهم، بل الأسباب المؤدية إلى إهمالهم واجب شرعي على الأفراد والمجتمع أن يقوم به تخفيفا من الظاهرة، بل معالجة لها من مهدها، لتنشئة جيل يعتز بأسرته، وينتمي إليها عاطفيا، فينعكس ذلك على انتمائه لوطنه وأمته.

### اللقيط وأحكامه

عرفه ابن قدامة بأنه الطفل المنبوذ، ثم قال: «واللقيط بمعنى الملقوط، فعيل بمعنى مفعول، كقولهم: قتيل وجريح وطريح» (١).

وعرفه السرخسي بقوله: «مولود طرحه أهله خوفا من العيلة، أو فرارا من تهمة الريبة» (٢).

أما الكاساني فقال: «لغة فهو فعيل من اللقط، وهو اللقطاء بمعنى المفعول، وهو الملقوط وهو الملقى أو الأخذ والرفع، وأما العرب فتقول هو اسم للطفل المفقود، وهو الملقى أو الطفل المأخوذ والمرفوع عادة، فكانت تسميته لقيطا باسم العاقبة، لأنه يلقط عادة، أي يؤخذ ويرفع، وتسمية الشيء باسم عاقبته أمر شائع في اللغة، قال الله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ (يوسف:٣٦)، وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ٣٠﴾ (الزمر:٣٠) (٣).

وقد اختلف الفقهاء في تفسيره، فذكر بعضهم أن المنبوذ من طرح عندما ولد، وشأنه فيمن ولد زنا، واللقيط ما طرح في الشدائد والحرب لا عندما ولد، وهذا ما قاله مالك رحمه الله، فيمن قال لرجل: يا منبوذ، قال: لا يعلم منبوذ إلا ولد الزنا (٤).

**أحكامه:**

يعد اللقيط حرا، لأن الحرية هي الأصل في الناس، وولاؤه للمسلمين، ويحكم له بحكم الإسلام إن كان التقاطه في ديار المسلمين، وينبغي للملتقط الإشهاد على التقاطه، حتى لا ينسب إليه كولده (٥).

يقول ابن رشد الجد في المقدمات المهدات: «وقد اختلف في اللقيط، إنه عبد لمن التقطه، وقيل: إنه حر وولاؤه للمسلمين، وقيل: ولاؤه لمن التقطه، لأنه لا يخلو من أن يكون ابن أمة، فهو لسيدها لا ينتقل ملكه عنه، إلا بما تنتقل به الأملاك، أو يكون ابن حرة فهو حر، والصواب الذي عليه أهل العلم أنه حر، لأن الناس كلهم من آدم وحواء، فالأصل الحرية، وذلك مروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «المنبوذ حر، وقال علي رضي الله عنه: اللقيط حر وتلا قوله تعالى: ﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖۚ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ٢٠﴾ (يوسف:٢٠) وموضع الحجة في الآية أن اللقيط لو كان مملوكا لمن التقطه لما احتاجوا إلى شرائه (٦).

أما نسبه، فيعد مجهولا إلى أن يثبت العكس، فإن دعاه أحد، سمعت دعوته، وأما علاقته بمن التقطه فهو أولى بإمساكه من غيره، حتى يكبر، ونفقته من بيت المال، إذا لم ينفق عليه الملتقط استدلالا بحديث متين أبي جميلة أنه قال: وجدت منبوذا على بابي فأتيت به عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال عمر: هو حر، ونفقته علينا (٧).

## اليتيم وأحكامه

اليتيم هو الذي لا أب له، ما لم يبلغ الحلم، أي حتى تنتهي مرحلة الطفولة، ويصبح رشيدا، وقد روي عن رسول الله ﷺ «لا يتم بعد احتلام».

ولقد جاء ذكر اليتامى في القرآن الكريم بالجمع والمفرد ثلاثا وعشرين مرة، منها خمسة مواضع تكون أحكاما شرعية واجبة التنفيذ قضاء، وأحد عشر موضعا تكون أحكاما شرعية واجبة النفاذ ديانة فقط، والنوع الأول خاص بأموال اليتيم، والثاني خاص بالحث على حسن معاملته (٨).

وعليه فقد جاءت أحكام الشرع تدعو إلى حفظ ماله وحسن معاملته.

## حفظ ماله

لقد جاء التشديد في تحريم أكل أموال اليتامى في القرآن الكريم والسنة النبوية، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ (الأنعام:١٥٢)، ويقصد بذلك أن الولي أو الوصي على اليتيم يجب عليه إدارة أموال اليتيم إدارة حسنة، ولا يأخذ منها إلا بحق كما في قوله عزوجل: ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء:٦).

ويمنع الشرع التعدي على أموال اليتيم لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ (النساء:١٠).

لذا على الوصي رد المال إلى اليتيم عند بلوغه سن الرشد، قال تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا﴾ (النساء:٦)، وقوله عزوجل: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾﴾ (النساء:٢).

بل أمر الأوصياء والأولياء بتنمية أموال اليتيم، فضلا عن الحفاظ عليها وعدم المساس بها، أو الأكل منها، فقد روي عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه قال: «من ولي يتيما فليتاجر له، ولا يتركه حتى تأكله الصدقة».

● **حسن معاملته:**

لقد راعى التشريع حق الأيتام في: الاعتناء بهم وحسن معاملتهم، فحث على إعطائهم شيئا من التركة، مع أنهم غير وارثين، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾﴾ (النساء:٨).

كما حذر من الإساءة إليه، حيث أخرج الإمام البخاري في كتابه: «الأدب المفرد، وابن ماجه في سننه» عن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال: «خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه» (٩).

ومما تقدم يتضح أن الشريعة الإسلامية قد استهدفت أن ينشأ اليتيم فردا صالحا كريما عزيزا، لا يشعر بالعزلة أو المهانة بين أفراد المجتمع، وفي سبيل ذلك حذرت من تحقيره أو الاعتداء عليه، أو على ماله، بأبلغ عبارات التهديد والوعيد،

بل أمرت بحمايته ورعايته والإحسان إليه، وإكرامه بما لا مزيد بعده.

من هنا سيكون المجتمع في مأمن من انحراف اليتيم وتشرده، إذا راعى حقوقه التي كفلتها له الشريعة الإسلامية.

**الإهمال: أسبابه ونتائجه**

من أهم أسباب الإهمال ما يلي:

**أ- الأسباب الاقتصادية**

ويمكن إجمالها في الفقر والبطالة

**١- الفقر**

يعد الضيق الاقتصادي عاملا أساسيا في إهمال الأطفال والتخلي عنهم، ذلك بأن الفقر من شأنه أن يؤثر سلبا على تماسك الأسرة وتكاملها، فعجز الأب أو رب الأسرة عن تلبية مطالب وحاجيات أبنائه من مسكن وملبس وغذاء وصحة، قد يدفع به إلى إهمال أبنائه مكرها تحت ضغط ظروف لا حول ولا قوة له بها.

**٢- البطالة**

نعني بالبطالة عدم توفر العمل بصفة دائمة، أو توفره بصفة متقطعة، مما يؤدي إلى الشعور بعدم الاستقرار والإحباط، فعدم التوفر على دخل كاف يؤثر سلبا على الأبناء، وذلك بحرمانهم من إشباع حاجاتهم المادية والمعنوية، حيث يقيم الطفل مقارنة بينه وبين أقرانه، ليخلص إلى مأساة نفسية تعود عليه وعلى أبويه بما لا يقدران عليه، فيؤدي ذلك إلى إيداعه بإحدى المراكز.

**ب- الأسباب التربوية**

قد يغفل الآباء جانب التربية، مكتفين بما هو اقتصادي، ظنا منهم أن الابن لا يحتاج إلا إلى الملبس والغذاء، ومما يمكن ملاحظته والوقوف عنده في الواقع ثلاثة أمور، ألا وهي:

**١- الحماية المفرطة للطفل**

فالإهمال قد ينتج بسبب العناية المفرطة، وذلك بإرضاء حاجات الطفل إرضاء تاما، وإظهار الحب والعطف له، مما يؤدي به إلى استغلال هذا الاتجاه في السيطرة على والديه، فهذا النوع من المعاملة يمنع نضج الطفل الاجتماعي، ويحول دون تحرره، والتدرب على الأخذ والعطاء، فينعكس ذلك سلبا على شخصيته.

**٢- شدة الضبط وغياب الحوار**

يتجسد في رغبة الآباء فرض تعاليم صارمة ودقيقة، مجبرين الأبناء على اتباعها، وكل مخالفة لهذه التعليمات تقابل بعقاب من قبل الأب، مما يؤدي بالطفل إلى الإحساس بالظلم والقهر، فيقع فريسة سهلة للحيرة والضياع والقلق، ويدفعه هذا الشعور إما إلى الانقياد أو الخنوع، أو إلى العصيان والتمرد حين تسمح له الظروف.

**٣- إحساس الطفل بالرفض من قبل والديه**

حيث يتمثل في عدم الاهتمام بالطفل، وإهمال متطلباته المادية والمعنوية، والتقصير في إظهار العطف والحنان والرعاية اللازمة، أو الشعور بعدم الرغبة فيه، وبكونه يشكل عبئا ثقيلا على كاهل الأسرة، وأن ميلاده كان نتيجة خطأ، أو سوء تقدير، إضافة إلى انشغال الوالدين عن الأبناء، وعدم تخصيص أوقات معينة لهم.

**ج- التفكك العائلي**

يشكل التفكك العائلي تهديدا وتعطيلا للدور الطبيعي للأسرة في التربية ورعاية الأبناء، فعرفه بعضهم بأنه «تصدع الأسرة» في حالة تعدد الزوجات، أو وفاة أحد الوالدين أو كليهما أو الطلاق، وأطلق عليه البعض الآخر تعبير البيوت المحطمة بسبب الطلاق، أو الفراق، أو موت أحد الوالدين أو كليهما، بينما أطلق عليه فريق ثالث «الأسرة المحطمة» التي تتحطم بالطلاق، أو بالمشاجرة المستمرة، أو الوفاة، أو السجن لأحد الوالدين، أو غيابه بصورة مطردة، وفريق آخر يطلق عليه تعبير «التفكك العائلي» أو «التفكك الأسري». غير أن هذا التنوع في الألفاظ لا يخرج عن كونها جميعا تشترك في معنى واحد (١٠).

إن الحياة المضطربة وتفكك الروابط الأسرية وكثرة الخلافات، من شأنه أن يؤثر سلبا على الأطفال، مما يجعلهم عرضة للضياع والتمزق، الشيء الذي يؤدي بهم إلى الإهمال.

**د- الفساد**

حيث تفشى بنسب كبيرة في المجتمع العربي، ومن بين أسبابه.

**١- ما يبث في وسائل الإعلام**

إن ما يبث في وسائل الإعلام من سموم مقصودة تؤدي إلى التقليد الأعمى، وهذا ما يلاحظ في صفوف المراهقين الذين يقلدون الممثلين والمغنين في اللباس والمظهر، ويتهافتون على أحدث صيحات الموضة، ظنا منهم أنهم يسايرون التطور، مستبيحين لأنفسهم علاقات غير شرعية، يكون ثمرتها أطفالا أبرياء، مصيرهم الإهمال والضياع.

**٢- عدم مراقبة الآباء لأبنائهم**

انشغال الآباء عن أبنائهم يجعلهم عرضة للفساد، لما لأصدقاء السوء من أثر جلي على نفسية الأطفال، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن

يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحا نتنة» (صحيح مسلم).

## نتائج الإهمال

لا مراء في أن لإهمال الأطفال نتائج وخيمة، تؤثر سلبا على شخصية الطفل، تبعا لنشأته في أوضاع غير متزنة وفي مناخ يطبعه التوتر وعدم توفر الشروط الموضوعية للنمو السوي، فيكون بذلك مهددا لولوج مختلف دروب الانحراف والإجرام، لتقبر سواعد كان يمكن أن يعول عليها في بناء المستقبل.

١- الآثار النفسية للإهمال

إذا تعددت مواقف الحرمان، وزادت شدتها، فإن الطفل يمكن أن يفقد توازنه النفسي فيصاب باضطرابات تعيب شخصيته، وتكون مصحوبة بقلق واكتئاب، وشعور بعدم الاستقرار، تجعله من غير الممكن أن يدرك الواقع إدراكا صحيحا، مما يدفع به إلى الميل نحو العزلة والانطواء، فاقدا بذلك الثقة في كل من حوله لعدم شعوره بالأمان، إلى أن يصل إلى درجة الرغبة في إيذاء الآخرين بتمرده، لأنه شخص غير مرغوب فيه حسب اعتقاده.

**٢- الانحراف**

أضحت ظاهرة انحراف الأطفال المهملين من أكبر الإشكاليات المطروحة، نظرا لخطورة العواقب التي تهدد مستقبل الناشئة، متخذة تجليات عدة نذكر منها:

- **الإدمان على المخدرات**

حيث يلجأ إليها الكثير من الشباب لتسكين القلق، وتناسي الأزمات النفسية التي يعيشونها.

- **الاستغلال الجنسي**

شهدت هذه المشكلة تناميا ملحوظا خاصة مع تصاعد موجة الفساد، ما جعلها مادة للندوات والمؤتمرات الدولية، ولكن ما يجب الإشارة إليه هو ذلك الصمت الرهيب الذي ساهم فيه كل من المجتمع المدني والضحايا، في مقابل الأعداد الهائلة من الأطفال الذين يتعرضون للاستغلال الجنسي.

- **التشرد**

المتشرد هو من لم يكن له محل إقامة مستقر ولا وسائل للعيش، ولا يتعاطى عادة صناعة ولا حرفة، فالشارع ملاذهم الوحيد الذي لا بديل لهم عنه، فيه وجدوا الرفيق الذي احتضنهم بعد أن ضاقت بهم كل السبل، وأغلقت في وجوههم كل الأبواب، فلفهم بين جناحيه، ومنه تجرعوا القطرة الأولى للتشرد، إنهم أطفال مازالوا في عمر الزهور، أذاقتهم الحياة كل أنواع الحرمان العاطفي والمادي، فلم يجدوا بديلا عن التشرد، واختاروا الشوارع والأزقة، ومن أدبياتها تعلموا، فتنامي ظاهرة التشرد قاد إلى ظهور مآس أخرى، تمثلت خاصة في امتهان التسول كوسيلة لضمان لقمة العيش، الأمر الذي يدفع إلى إعادة التفكير في السياسات الاجتماعية المتبعة، وتحسين الظروف المعيشية، وخلق مراكز لإيوائهم، تتم فيها إعادة تكوينهم واسترجاع ثقتهم بنفسهم، كخطوة أولى لتقليص حدة هذه الظاهرة.

وللحد من هذه الظاهرة لابد من البحث عن حلول ناجعة. من بينها ما يلي:

- خلق منظومة اقتصادية متكاملة، للحد من ظاهرة الفقر، التي تعد من أهم روافده.
- ترسيخ معالم الدين الإسلامي في الأسرة والمجتمع، وذلك ببناء الأسرة على تعاليم الدين الإسلامي، سواء من حيث اختيار الزوج أو الزوجة، أو من حيث التربية الملقاة على عاتق الآباء.
- تصميم وتنفيذ حملات إرشادية عبر وسائل الإعلام المختلفة، والوسائل الإرشادية الأخرى، كإعداد كتيبات ونشرات، وتنظيم الزيارات الميدانية، وتنظيم الندوات وورش العمل الموجهة نحو أفراد المجتمع وأسره بشكل عام.
- تشجيع الزواج له ارتباط وثيق بالمنظومة الاقتصادية، فدحض أعراف البذخ تجعل الزواج ميسرا، مما يضيق دائرة هذه الظاهرة.
- القيام بدراسة الأسباب الاقتصادية والاجتماعية المساهمة بشكل كبير في ظاهرة التفكك الأسري.
- التنسيق مع الجهات والمؤسسات الحكومية والأهلية والخاصة ذات العلاقة والاهتمام، بهدف توفير الأوضاع والظروف الصحية والنفسية والاجتماعية، التي تساعد على تجنب وقوع المشكلة.

## الهوامش

١- الإمامان: موفق الدين وشمس الدين بن قدامة: «المغني والشرح الكبير على متن المقنع في فقه الإمام أحمد بن حنبل» الجزء ٦، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ص ٤٠٣.

٢- الإمام علاء الدين أبوبكر بن مسعود الكاساني الحنفي: «بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع» الجزء ٦، دار العربي، بيروت - لبنان، ص ١٩٧.

٣- المرجع نفسه، ص ١٩٨.

٤- أبوعبدالله محمد الأنصاري المشهور بالرصاع: «تحقيق محمد أبوالأحقاف والطاهر المعموري، شرح حدود بن عرفة» الجزء ٢، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، ص ٥٦٥.

٥- الإمام أبي الوليد محمد بن أحمد ابن رشد القرطبي: «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» الجزء ٢، دار القلم، بيروت - لبنان ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ص ٣٠٩.

٦- أبوالوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي: «المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات» تحقيق أحمد أعراب، الجزء الثاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ص ٤٧٦.

٧- السرخسي، «المبسوط» الجزء ٧ ص ١٧٧.

٨- محمد عبدالجواد محمد «حماية الطفولة والأمومة» منشأة المعارف الإسكندرية، ١٩٩٠م، ص ٣٧.

٩- عبدالكريم زيدان: «المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم في الشريعة الإسلامية» الجزء ٨، مؤسسة الرسالة، ص ١٠٤.

١٠- جعفر عبد الأمير ياسين: «آثار التفكك العائلي في انحراف الأحداث، عالم المعرفة، بيروت، ص ٢٢-٢٣.

## قيمة إيجابية.. أم ظاهرة مرضية؟

# الغيرة.. عند الأطفال

صبحة بغورة
باحثة جزائرية

كثيرا ما نسمع من يتحدث عن المعاناة من وجود الغيرة بين الأطفال، وبخاصة بين الإخوة، وعن حجم ما تجلبه هذه الغيرة على الأسرة من متاعب جمة ومشاكل وخصومات. والواقع أنه قد تبدو هذه الغيرة في بعض الحالات طبيعية؛ انطلاقا من واجب الاعتراف بميل الأطفال الفطري نحو الأنانية وحب التملك والرغبة في الظهور، إلى جانب تلهفهم على إشباع حاجاتهم طالما كانت تتعلق بالتنافس نحو الخير والنجاح لأنفسهم وللآخرين، أو في التسابق نحو لفت الأنظار إليهم، أو الاستئثار بحب الأهل لهم. ومع ذلك، علينا أن نتعامل معهم بحكمة كبيرة تقتضي أولا ألا نميز أحد الأطفال، في غمرة تلهفهم، عن الآخرين إلا بمقدار ما اجتهد فيه، ولا نبالغ كثيرا في إظهار الحب الكبير لأحد الأطفال دون سواه وأمام إخوته وعلى مرأى منهم. وإذ لا ننكر أيضا مقدار التفاوت بين الإخوة في الذكاء، سواء الوراثي أو الذكاء الاجتماعي المكتسب الذي عليه ستتباين قدراتهم الذاتية وإمكاناتهم الطبيعية في التكيف مع المتغيرات، ولباقتهم في الحديث ولياقتهم في التصرف، فإنه ستبرز لنا معضلة التوفيق بين مبدأ عدم التمييز بين الإخوة من جهة، وبين واجب الاعتراف بفضل المجتهد منهم وحقه في الشكر والتقدير من جهة أخرى. والحكمة تقتضي لتحقيق أقصى درجة من التوفيق بين الأمرين، الإشادة بالمجتهد، وهذا حقه، وتلمس أسباب الإخفاق مثلا لمن لم يسعفه الحظ أو الظروف، مع التأكيد له على أنه لو توافرت له الظروف نفسها التي واجهها المجتهد لكان هو أيضا النجاح من نصيبه، ثم تشجيعه المستمر على إعادة المحاولة مستفيدا من أخطائه، مع دوام بعث الحماسة في نفسه، بإنارة سبل التوفيق التي يكون قد غفل عنها، أو قلل من شأنها، أو تجاهلها تماما، وعدم التردد في توجيه النصح، مع ترك هامش يعمل فيه الطفل بعقله واجتهاده. ومن المفيد هنا التأكيد على أن من سلامة التصرف التوضيح للطفل أن التأسي بالنماذج الناجحة لا عيب فيه، وأن التقليد فيما فيه الخير له ليس عارا عليه. هذا السلوك من جانب الوالدين لا يضع الناجح من أطفالهما على قدم المساواة مع من أصابه الإخفاق، وفي الوقت نفسه يقلص كثيرا من هامش التمييز المفضي إلى التباعد بينهم، والذي تولد فيه

بذرة الغيرة المدمرة، أي التي لا تدفع للتأسي بالناجحين، أو محاولة اللحاق بهم.. بل إلى تدميرهم، وهنا مكمن الخطر الداهم، لأن الأمر حينها يتعلق بوجود خليط من الانفعالات، كالخوف والغضب والحقد والشعور بالنقص، والتي تنعكس في صورة مظاهر سلوكية مختلفة تدل على عدم التوافق الشخصي والاجتماعي عند الطفل، ومنها التبول اللاإرادي وقضم الأظافر ومص الأصابع والعصبية الشديدة والصراخ من دون سبب، وصولا إلى درجة بروز ميل عدواني ذي بعد انتقامي.

### في المدرسة

وكما أن الغيرة تنشأ عند الأطفال من طبيعة معاملة الآباء لهم، فكذلك الأمر في المدرسة حين تبدو المعاملة السيئة من جانب المعلمين، خصوصا في المراحل المبكرة من الدراسة، بتفضيلهم أحدهم بالمدح وتوجيه الذم لآخر، إنها معاملة تثير غضب الطفل، لأنها تشعره بأنه مهزوم غير مقبول، فيزيد إحساسه بعدم الأمان، وتهتز ثقته بنفسه وبالآخرين. والمذموم عادة يشعر بالمهانة والدونية، وهذا يؤدي به إلى الإحباط ثم الفشل الدراسي، فتنمو بداخله العداوة، والغلظة في الحديث، والجفاء في التصرف، ويمكن أن تستمر معه في كبره فتجلب له المتاعب في عيشه وعمله وحياته المستقبلية كلها.

من المهم جدا إشعار الطفل بالاهتمام بشؤونه، بالاستماع إليه والتفاعل معه بإيجابية، وتوجيه العناية بغذائه وملبسه وصحته، وإظهار الحب له بالابتسام في وجهه، والتربيت برفق على كتفه، أو بمسحة رقيقة على رأسه وغير ذلك من صور التلامس الجسدي الرقيق، وتخصيص وقت للعب معه.. فهي وسائل مهمة تبعث في نفسه السرور والطمأنينة، والمبادرة بتقديم ما يحب دون إفراط، وتشعره بقيمته ومكانته في الأسرة والمدرسة وبين أقرانه بتعظيم ما ينجح فيه من أعمال، ولو كانت تافهة وصغيرة. ومن الطبيعي ضرورة توخي الحرص على عدم الضجر من تصرفاته مهما كانت طائشة، وذلك بالاكتفاء بالتوجيه إلى السلوك الصحيح بصوت منخفض، على أن بعض الحالات يراها الآباء تتطلب شيئا من العقاب في حالة تعمد تكرار الخطأ على ألا يكون العقاب بتهديده بحرمانه من الحب والرعاية، وإنما بالتركيز فقط على أن والديه ومدرسيه يرفضون التصرف الخاطئ، وأنه سيظل محبوبا ومقبولا بحسناته، ولن تنزع سيئاته ما فطر عليه قلب الأبوين من محبته.

### المنافسة الشريفة

من أصول التربية السليمة تعويد الطفل في صغره أن الحياة أخذ وعطاء، وأنه يجب على الإنسان أن يحترم حقوق الآخرين، وتعويده على المنافسة الشريفة بروح رياضية تجاه الآخرين من دون الشعور بالنقص أو عدم الثقة، وكذلك توفير أجواء أسرية ومدرسية لإقامة علاقات على أساس المساواة والعدل، من دون تمييز أو تفضيل أحد على آخر، مهما كان جنسه أو سنه أو قدراته، وأنه لا تحيز في المعاملة، وتعويده على السعي بكل ماأمكنه للتفوق، وعليه أيضا تقبل الهزيمة بشرط أن يعي جيدا قيمة أن يعمل لتدارك إخفاقه بالمزيد من الصبر والجهد، وهذه هي قيمة الإصرار.

كثيرا ما تنشأ الخلافات بين الأطفال في الأسرة الواحدة، وهذا أمر طبيعي في سيرة الحياة. ومن المهم هنا توخي أقصى درجات العدل والإنصاف أثناء الفصل بينهم فيما تنازعوا فيه بالاستماع جيدا إلى كل المتخاصمين، وإعطاء كل منهم الفرصة كاملة لتوضيح رأيه والدفاع عن نفسه، لابد من إعطاء كل ذي حق حقه، ولكن في المقابل ستبرز ضرورة امتصاص حنق من خسر منهم بإعطائه شيئا لا يتوقعه ولا تكون له صلة بموضوع الخلاف بينهم، مع احتضانه، وعدم مجادلته في شكواه، بل ابتكار عمل جماعي مرح يشاركون فيه جميعا لتعزيز التوافق بينهم والانسجام، خصوصا بين الذكور والإناث، فكثيرا ما تنشأ بينهما مظاهر التفرقة حسب الجنس في مجال التنافس نحو اكتساب خبرات عملية تتطلب بعض الخشونة والقوة العضلية، ولا يجوز أن تكون البنت هي الضحية في حالة فض كل شجار مع أخيها، بل من المفيد أن نتركها تدرك هي بنفسها، ومن خلال التجربة، الفارق الطبيعي في طبيعة التكوين الجسماني الذي قد يمنحها القدرة على القيام بأعمال معينة ولكن لن يسعفها في غيرها، وبذلك نتجنب تسلل مشاعر الغيرة المرادفة في هذه الحالة للكراهية.

وفي السياق ذاته، يمكن أن تكون للغيرة بين الأطفال بعض الميزات، وذلك حين تعطي للأطفال الفرصة لتعلم بعض المهارات العملية، خصوصا في المدارس أثناء التنافس العلمي أو الرياضي، كالتحادث ومحاولة التفاهم لحل النزاعات أو التعاون لتجاوز مشكلة معينة، هنا يكون من المفيد عدم تدخل الأسرة في فض النزاع بين الأطفال وتركهم يعتمدون على أنفسهم في ذلك؛ حتى لا يعتمد الطفل بعد ذلك على أسرته لحل مشاكله، ولا يتعمد يوما إثارة المشاكل من باب جذب الانتباه إليه، وعلى الأسرة التدخل فقط إذا استدعى الأمر ذلك، أي لمنع حدوث أي ضرر بدني.

إن أسلوب تجنيب الطفل البريء الإصابة بمشاعر لم يكن يعلمها، وليس مسؤولا عنها، أخف بكثير من معالجته من آثارها المدمرة بعدها، ويجب الاعتراف بأن سوء التربية من قلة التعلم، وأن الأطفال ضحايا من أنجبوهم وفشلوا في إعدادهم للحياة، وإذا تجاوز الأمر بعض العائلات فالفرصة دائما قائمة لتصحيح الوضع بتصحيح المعاملة من أجل سعادة الأسرة والمجتمع.

# وسائط ثقافة الأطفال وخصائصها

عبدالمجيد إبراهيم قاسم
باحث دراسات تربوية

لقد كان ينظر إلى الأطفال قديما على أنهم رجال صغار، عليهم خوض غمار الحياة ومواجهة صعوباتها بطرائق الراشد وأساليبه. لكن، وبعد التطورات الهائلة التي شهدتها وتشهدها العلوم، والتغيرات التي طرأت على النظريات التربوية بخاصة، ومع تجدد المفاهيم حول عالم الطفولة وتبدل النظرة إليه، ثبت - قطعا - أن للأطفال قدرات واحتياجات وميولا خاصة بهم، فأدركت الأمم والشعوب - بإدراكها تلك الحقائق - قيمة هذه المرحلة الحقيقية، وأخذت بالاهتمام بأطفالها، وإيلائهم الرعاية الكافية، حتى عد هذا الينبوع الإنساني أهم ثرواتها، وأسمى الغايات التي تنهض بها إلى التطور والتقدم. وفي الوقت نفسه، عد ذاك الاهتمام مؤشرا إلى تقدمها ورقيها، ومقياسا لمكانتها بين مصاف نظيراتها.. وقد أصبح الاهتمام بتربية الطفل ثقافيا - تحديدا - هدفا استراتيجيا وتنمويا، ومن الضرورات التي تجتهد في مجالاتها الشعوب، كونها تحمل رسالة عظيمة في مضمونها ومحتواها. فالتربية الثقافية التي يتشربها الطفل اليوم، هي التي ستسهم في توجيه مسار حياته وتحديد اتجاهاتها مستقبلا.

لم تعد الأسرة أو المدرسة وحدهما مصدر الثقافة والمعرفة، بل إن الطفل أصبح يتلقاهما عبر وسائط أو وسائل عدة. والوسيط في ثقافة الأطفال هو كل أداة تستخدم في تقديم أو إيصال المادة الثقافية باختلاف أشكالها إليهم. ولوسائط ثقافة الطفل خصائص واعتبارات تختلف كثيرا أو قليلا عن خصائص وسائط ثقافة الكبار. وفي الوقت نفسه، فإن لكل وسيط ثقافي طبيعة وآلية مختلفة عن غيره من الوسائط، إلا أن أفضلها على الإطلاق ما لاءم طبيعة الطفل، وقدم له صورا ومواقف واقعية عن الحياة.

تتعدد هذه الوسائط وتتنوع، ابتداء بالكتاب المطبوع، ووصولا إلى بعض المنجزات التقنية الحديثة كالإنترنت، ومرورا بالصحيفة والتلفاز والسينما والإذاعة والفيديو والمسرح والمتحف والمعرض والرحلة الاستكشافية وغيرها. ويمكن تقسيم وسائط الثقافة إلى ثلاثة أنواع: وسائط الثقافة المقروءة، ومنها الكتاب والمجلة، وهو نوع يستخدم المطالعة كوسيلة اتصال وتأثير، وميزته أن الرسالة فيه تبقى ثابتة، يمكن الرجوع إليها. والوسائط المسموعة، كالإذاعة والاسطوانات، والوسائط المسموعة المرئية، كالتلفزيون والمسرح والسينما والفيديو، وهي تعتمد الصوت والصورة في نقلها للثقافة، وتمتاز بدرجة عالية من الفعالية والتأثير، لأنها تتوجه إلى حاستي السمع والبصر.

١- الكتاب: أولى وسائط تقديم الثقافة وأهمها، ولا يمكن الاستغناء عنه مهما تقدمت الوسائط الأخرى.. إذ يعد أكبر مورد لتنوع ثقافة الطفل، والبوابة العظيمة التي تقوده إلى المعرفة بمفهومها العام والشامل. من أهم خصائص كتاب الطفل وشروطه:

- المضمون: وما يطرحه من أفكار ومعارف وقيم مناسبة، ومدى تحقيقه للاعتبارات التربوية والنفسية والتذوقية الخاصة بالطفل.

- الإخراج والشكل: يؤديان دورا مهما في جذب الطفل، وتنمية حبه للمطالعة، كأن يكون حجم الكتاب مناسبا، وغلافه جذابا، شكلا ولونا، وأن يحتوي على رسوم ملونة ومعبرة.

٢- المجلة: وسيلة تثقيفية مهمة في حياة الأطفال، فهي تحسن مهاراتهم القرائية، وتزيد في حصيلتهم اللغوية، وترقى بتذوقهم الفني والجمالي، عبر ما تقدمه من مجموعة المواد، كالقصص والأشعار والمعلومات وغيرها من المواد الثقافية المتنوعة، وعبر ما تحققه من تفاعل إنساني، ودافعية مرتبطة بميول الشريحة الموجهة إليها.

٣- الإذاعة: للكلمة المسموعة دورها المهم في رفد الطفل بالثقافة.. والإذاعة كوسيلة إعلامية تعتمد الكلمة، وتستخدم المؤثرات الصوتية، إنما تثير خيال الطفل عبر تحويل الكلمات إلى صور صوتية نابضة بالحياة. إن الإذاعة تسهم في التعليم والترفيه والتذوق عبر برامجها التي تتنوع بين الغناء والموسيقى والقصص والحكايات، وبرامج المهارة والترفيه والتواصل. كما أنها تملأ أوقات الفراغ بالمفيد والممتع، وتكسب مهارات عدة، كالتدرب على الخطابة والنطق السليم، وحسن الاستماع والإصغاء.

٤- التلفاز: أهم مصادر تثقيف الطفل وأكثرها جاذبية وإمتاعا له، إذ يجمع بين العديد من المؤثرات كالصوت والصورة، واللون والحركة. ولعل طبيعة الطفل المولعة بالاستكشاف والاستطلاع، جعلت هذا الجهاز السحري يستأثر بحيز كبير في

نفسه. والتلفاز - في الحقيقة - ليس وسيلة لتزويد الطفل بالمعارف والقيم والعادات السلوكية فحسب، بل وسيلة تمتلك شيفرة تأثير مهمة في شخصيته، وتكوين وعيه الثقافي الإنساني. وهي تسهم إسهاما أساسيا في بنائه التربوي عموما، ذلك إذا مكناه من الاستفادة من البرامج المفيدة والمناسبة كبرامج التعليم المبسط، وموضوعات الطبيعة والحيوان، وأفلام المغامرات الشيقة، والقصص العلمية المناسبة.

٥- المسرح: وسيلة اتصال فكرية وثقافية واجتماعية لا يختلف على أهميتها اثنان. ويكفي الاستشهاد بمقولة الشاعر الإسباني لوركا بأنه: «ترمومتر تقاس به عظمة البلاد». للمسرح في حياة الطفل دور كبير، فهو ينمي مداركه، ويوسع ثقافته، ويدربه على ضبط انفعالاته وتفريغ شحناته العاطفية، ويبعث في قلبه مشاعر الفرح والسعادة. بيد أن أهم مزايا المسرح تتمثل في التجسيد الحي للمواقف، وما يحققه من تأثير وتفاعل أولا. وفي المزج بين الكثير من الفنون الإنسانية، كالتمثيل والإلقاء والحوار والاستعراض والغناء، وتنوع المؤثرات التي تعتمدها عروضه، كالموسيقى والضوء والصوت والإضاءة، ثانيا. وفي تعدد أنواعه، كالمسرح المدرسي ومسرح العرائس ومسرح الظل، وتلون أشكاله، كالمسرح الغنائي والشعري والنثري والحواري، ثالثا.

٦- السينما: وسيلة اتصال مهمة، تؤدي دورا بارزا في نشر الثقافة وتعميم المعرفة، وتعد - بعد التلفاز - من أكثر وسائل الإعلام تأثيرا في نفوس الأطفال، حيث الصورة المتحركة والناطقة، والقادرة على شد انتباههم وجذبهم.

٧- الفيديو: اختراع حضاري ملازم للتلفاز ومكمل له، تكمن ميزته في استخدام التسجيلات والبرامج التعليمية على نطاق واسع، وفي الاحتفاظ بها وعرضها في الأوقات المرغوبة.

٨- المتحف: مرآة تعكس تاريخ الشعوب وحضاراتها، وأداة تربوية وثقافية تمتاز بمقدرة هائلة على رفد الطفل بالثقافة. كما يحقق أغراض التعرف على التراث الإنساني، والاطلاع على عادات الشعوب في المراحل المختلفة وتقاليدها، إضافة إلى تنمية التذوق الفني والجمالي للأطفال.

ولوسائل الإعلام عموما، كمنظومة واسعة لنقل الثقافة، دور مهم في مجال تثقيف الطفل، وصياغة المفاهيم الثقافية الحديثة في حياته، من خلال التوجه التربوي السليم، والتأسيس لشخصية طفلية متوازنة. تختلف خصائص كل وسيط ثقافي للطفل عن غيره بحسب طبيعة الوسيط نفسه، غير أنها تشترك جميعا في مجموعة خصائص لعل أهمها على الإطلاق: مراعاتها لمتطلبات نمو الأطفال في كل طور، ومن مختلف جوانبه الإدراكية والعاطفية والاجتماعية، وتوافقها، شكلا ومضمونا، مع ميولهم ودوافعهم، والاستجابة لرغباتهم واحتياجاتهم في المعرفة والتعبير والإبداع. ثم أن تتصف هذه الوسائط بالمقدرة على الإثارة والتشويق والإمتاع، لتتمكن من الولوج إلى نفس الطفل، وتحرك أحاسيسه وانفعالاته. ومن المهم هنا أن تتنوع هذه الوسائط، فلا تقتصر العملية التثقيفية على وسائط معينة بذاتها، بما يجعلها مصدرا لإثارة تفاعل الأطفال وشد انتباههم. ولكي تؤدي هذه الوسائط دورها المطلوب في التربية، وتحقق الأهداف المرجوة، ينبغي التوجه بها توجها جادا، والعمل على تطويرها بصورة مستمرة، وربطها بأحدث المعطيات، وإحاطتها بأسباب التشويق والجاذبية.. إذ لم يعد ممكنا اليوم اختصار مسألة «تثقيف الطفل» بالكتاب أو بطريقة صناعته، لأنه أصبح مفهوما أشمل وأعمق. وقد أشار أحمد فضل شبلول لهذا الجانب بقوله: «لم يعد أمر ثقافة الأطفال مقصورا على طريقة صنع الكتاب بشكل يجذب إليه الطفل، أو على اختيار النص الشعري أو الحكاية أو القصة المناسبة له، ولم يعد الأمر مقصورا كذلك على مناقشة تقديم ما هو غير ناطق من حيوان أو طير بطريقة ناطقة، لقد جلب التطور التكنولوجي والإلكتروني معه أشكالا وأفكارا ومشاكل جديدة لأطفالنا، وينبغي على صانعي ثقافتهم الجديدة استيعابها أولا، ثم طرح مضامين جديدة تناسب هذه الأشكال».

# في منهجية الحوار مع الطفل

فاطمة عبد الرؤوف
كاتبة من مصر

**ليس من المبالغة القول: إن الحوار هو أهم آلية لنقل الأفكار والمشاعر، ومن ثم التوجيه والتعليم والتربية. لذلك فلا غرابة أن اشتمل القرآن الكريم على عدد هائل من الآيات المشتملة على الحوار. فثمة حوار بين الأنبياء وأقوامهم. وينقل القرآن الشبهات التي يثيرها هؤلاء، وردّ الأنبياء وجدل المشركين. وهناك حوار الأب وأبنائه، كإبراهيم ويعقوب ولقمان ونوح، وهناك حوار أهل الجنة وأهل النار، وحوار أهل النار مع خزنة جهنم.. القرآن كتاب حي، لذلك فهو زاخر بالحوارات التي هي أفضل وسيلة لتوصيل المشاعر والأفكار.**

فكيف يمكن للحوار أن يكون منهجية تربوية ناجحة ومؤثرة، خاصة مع تنوع واختلاف المراحل العمرية للطفل، وتباين المشاعر النفسية والانفعالية له.

## أهميته التربوية

إذا كان الحوار أمرا فطريا عفويا لصيق الصلة بالإنسان، منذ لحظة وجوده، وهو أمر طبيعي داخل نطاق الأسرة بين الوالدين والأطفال، فإن الفوائد التربوية التي يمكن تحقيقها من خلاله هي من الأهمية بحيث يجب أن يتنبه الوالدان للغايات المرجوة من خلال الحوارات العفوية أو المقصودة، والتي يأتي على رأسها:

١- إقامة علاقة قوية عميقة مع الطفل وهو أمر ليس بالهين، لأنه يعتبر القاعدة الأساسية للبناء، حيث سيترتب على عمق هذه العلاقة مدى استجابة الطفل للتوجيهات أو التحذيرات. لذلك لا تندهش عندما يستجيب أحد الأطفال لوالديه ببساطة، بينما لا يبدو على طفل آخر أي بوادر استجابة أو حتى اهتمام بما يقوله والداه. فوراء الطفل الأول علاقة عميقة كان أساسها الحوار، بينما يقف وراء فتور الطفل الآخر علاقة يشوبها الإهمال والجفاف وضعف الحوار.

٢- وسيلة للتوجيه

فمن خلال الحوار نستطيع توجيه الطفل لما هو مطلوب منه، في أمر دينه ودنياه. فمثلا عندما يحين موعد عيد الأضحى تسأل الأم ابنها: هل تعرف لماذا اشترى والدك هذا الكبش؟ فتنبه الطفل عن طريق السؤال، وقد تتلقى الأم إجابة ما، أو يجيبها بالنفي، فتكون لديها الفرصة لشرح الأمر، وقد يسألها الطفل أو يستزيدها، كي يعرف أكثر عن قصة الذبيح. وفي نهاية الحوار ستقوم الأم الذكية باستخلاص أهم الدروس، وتجعل الطفل يشاركها في استخلاص هذه الدروس، وينزلها على واقعه.

٣- إزالة الشبهات والمشكلات

قد يعاني الطفل من شبهة ما، خاصة في البلاد التي يسكنها أغلبية من غير المسلمين، أو قد يعاني من مشكلات في المدرسة، أو مع جماعة الرفاق، وقد تسبب هذه الشبهات أو المشكلات أزمة نفسية شديدة عند الطفل. فإذا كانت تقنية الحوار مفعلة، فلن يكون هناك مشكلة عند الطفل، وسيطرح شبهته أو مشكلته ببساطة على طاولة الحوار.

٤- فض الشجار

من أهم المشكلات التي يعاني منها الوالدان كثرة الشجار بين الأبناء، بحيث يتحول جو البيت الهادئ إلى صراخ وصياح، وكل منهم يلقي بالسبب على الآخر.. هنا تعمل تقنية الحوار كفتيل لحل الأزمة، عن طريق إجراء حوار فوري مع الجميع، يوضح فيه كل طرف وجهة نظره، ويلتزم بآداب الحوار. وأهمها الاستماع للطرف الآخر وعدم مقاطعته، ثم منح كل منهم فرصة للتعقيب، حتى يتم الوصول لوجهة نظر مقبولة. وأهم درس يتعلمه الأبناء أن الحوار وسيلة فعالة لتحقيق الأهداف، وليس الشجار.

هناك عقبتان كبيرتان تمنعان إجراء حوار صحي مع الأبناء:

**العقبة الأولى:** هي آفة العصر الحديث، ألا وهي انشغال الوالدين في العمل والحياة العامة، بحيث يكونان واقعين في مصيدة الضغوط، ومستهلكين تماما، ولا يمتلكان الطاقة النفسية لإجراء حوار بناء مع الأبناء.

**العقبة الثانية:** هي الجهل بمنهجية الحوار البناء، فالكثير من الآباء يستعيرون نمط التربية الذي عايشوه بحلوه ومره، وكثيرا ما يكون التسلط وإصدار الأوامر الفوقية، وعدم الرغبة في الحوار واعتباره أمرا عبثيا، وإهدارا للوقت هي مكونات أساسية بارزة في هذه التربية التي كانت سببا وربما نتيجة لحالة التردي الحضاري الذي عايشته أمتنا، وربما لا تزال تعايشه على نحو ما.

**العقبة الثالثة:** هي لغة الحوار الباردة التي تخلو من العواطف الدافئة والتعاطف الصادق مع ما يقوله الأبناء، ففي كثير من الأحيان يكون الابن بحاجة لمن يقدر مشاعره، أكثر ممن يحل مشاكله بأفكار منطقية (ذلك لأن في أعماق الأطفال الصغار عموما حاجة ملحة إلى أن يكونوا محل حب الآخرين وعطفهم، وهذا ما يتغذون عليه نفسيا بهذه المحبة التي يجب أن ينعموا بها من قبل أمهاتهم وآبائهم على السواء) (١).

## الحوار والمرحلة العمرية

من الثابت علميا أن الجنين يسمع الأصوات بوضوح، وأنه يولد وحاسة السمع مكتملة لديه. إن الحديث للوليد ليس حوارا من طرف واحد كما قد يظن البعض، وإنما هو حديث من طرف، وانتباه وإنصات وتفاعل من آخر يريد أن يتعرف على أبجديات الحياة. لذلك فقد حث الإسلام على أن يكون أول عهد المولود بكلمات الحياة الأذان والإقامة. ويستمر الرضيع عامين كاملين يستمع وينتبه ويبني ذاكرته العميقة التي تكون ملامح شخصيته فيما بعد. إن الطفل في هذه المرحلة يتحاور بملامح وتعبيرات وجهه، والهمهمات التي يصدرها كبداية للكلام، بل حتى بالبكاء والصراخ الذي يرسل من خلاله رسائل معينة لوالديه، رسائل احتجاج، أو غضب، أو لفت انتباه، أو تنبيه لحاجة غير مشبعة.

## الطفولة المبكرة

ثم تأتي مرحلة الطفولة المبكرة (٢- ٦ سنوات) حيث العبارات الأولى ذات المغزى للطفل، ومن ثم يستطيع الحوار أن يأخذ شكله الطبيعي.. في هذه المرحلة ستكون الوظيفة الأولى للحوار هي تعميق العلاقة مع الطفل، تمهيدا لمرحلة التوجيه الحقيقية التي تبدأ من سن التمييز.

إن مادة الحوار الأساسية تدور حول اللعب، كما فعل النبي ﷺ عندما كان يتحاور مع طفل فطيم (دخل لتوه مرحلة الطفولة المبكرة)، ويتحاور معه حول أهم شيء لهذا الطفل، وهو طائره الذي يلعب معه. فعن أنس رضي الله عنه أنه قال: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا، وكان لي أخ يقال له: أبوعمير - أحسبه قال: كان فطيما -، قال: فكان إذا جاء رسول الله ﷺ فرآه قال: يا أبا عمير، ما فعل النغير - طائر صغير كالعصفور-؟ قال: فكان يلعب به» (رواه مسلم).

الحوار في مرحلة الطفولة المبكرة سيأخذ شكلا إيجابيا نشطا، فكما يتحدث ويسأل المربي، فإن الطفل أيضا يتحدث ويسأل (يطلق البعض على هذه المرحلة «مرحلة السؤال»، فما أكثر أسئلة الطفل في هذه المرحلة. إنك تسمع منه دائما ماذا؟ لماذا؟ أين؟ كيف؟ من؟... إن الطفل في هذه المرحلة علامة استفهام حية لكل شيء، إنه يحاول الاستزادة العقلية المعرفية، يريد أن يعرف الأشياء التي تثير انتباهه، وأن يفهم الخبرات التي يمر بها.

هو يسأل وقد يفهم الإجابات، وقد لا يفهم، وقد ينصت وقتا كافيا لسماع الإجابات، وقد لا يفعل. ويقرر بعض الباحثين أن حوالى ١٠-١٥ ٪ من حديث الطفل في هذه المرحلة يكون عبارة عن أسئلة). (٢)

والسؤال يعني الحوار، فلابد للسؤال من إجابة. ومهارة المربي أن يجعل من إجابته مادة غنية لإثراء الحوار مع الطفل: ولكي يتحقق ذلك لابد أن:

- تكون الإجابة قصيرة، وواضحة.
- شيقة لطرح مزيد من الأسئلة، إذا كنا نريد تعميق الحوار.
- تشد انتباه الطفل، حتى يتأثر بها.

## سن التمييز

مرحلة الطفولة المتوسطة (٦-٩) يطلق عليها في الأدبيات الإسلامية سن التمييز. حيث يبلغ النضج العقلي للطفل مرحلة جيدة، يميز فيها الأمور بشكل حقيقي، هنا ينطلق الحوار كأهم وسائل التربية، إنها مرحلة الأسئلة الواعية، والإنصات للإجابة والتعليق والتعقيب عليها.

إنها مرحلة تعليم الصلاة «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين» (رواه أحمد والحاكم وأبوداود). ويحضرني في هذا السياق هذا الحوار الحقيقي الذي دار بين أم وطفلتها.

الأم: لقد حدثتك كثيرا عن أهمية الصلاة، ولكنك لا تحافظين عليها، لماذا؟

الطفلة تصمت قليلا، وتنظر لأمها، وتقول: هل تريدين الصراحة؟

الأم باهتمام: نعم.

الطفلة: لا أحفظ التشهد (نسيته) و..

الأم: وماذا أيضا؟

الطفلة: أريدك أن تصلي معي...

الطفلة في هذه المرحلة (مرحلة سن التمييز) مستبصرة واعية بأسباب تحول بينها وبين الصلاة، فهي من جهة تشعر بالخجل، لأنها نسيت صيغة التشهد، ومن جهة أخرى تطلب دعما نفسيا من خلال صلاة الجماعة.

هذه المرحلة العمرية على الرغم من درجة النمو العقلي الجيدة التي تمر بها، فإنها لا تدرك جيدا وبعمق الأفكار المجردة، كالضمير والمراقبة.. إنها تشهد بزوغ نمو هذه القيم. ومن الأهمية بمكان طرح هذه القيم للحوار والسؤال، وقص القصص حتى تقترب من ذهن الطفل بشكل محسوس، يساعده على استيعاب هذه الأطروحات، وتحويلها لجزء من وجدانه الحي. وللحديث عن الطفولة المتأخرة حيث الاستعداد للبلوغ شأن آخر.

### هامشان

(١) التأصيل التربوي للأبناء، السيد أحمد المخزنجي، صـ ٨٢.

(٢) علم نفس النمو، الدكتور حامد زهران، صـ ١٧٣.

## إحياء للعلوم الشرعية وللآداب الإسلامية في زمن العولمة والتغريب

# العَوْدَةُ إلى الكَتاتِيبْ

د. سوسن عبد الكريم بونقيشة
عضو هيئة تدريس - جامعة حائل، السعودية

الكتاتيب، يتعلم الطفل فيها النطق السليم، وآيات القرآن الكريم، إذا لم نقل: إنه يختم فيها القرآن الكريم، ويحفظ فيها نصيبا لا بأس به من أحاديث رسول الله ﷺ ، ويتربى قلبه فيها على محبة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. فهي تنمي في داخل الطفل عقيدة سليمة، وجملة من المبادئ والأخلاقيات الإسلامية التي ترسخ في الذهن، ولا تنسى مهما تباعد الزمن، إننا نتعلم فيها صفة اللباس الشرعي والحشمة وعدم الاختلاط. فتكون الصفوف الأولى للذكور، والأخرى للإناث. ونتعلم فيها حب اللغة العربية والاعتزاز بها وبر الوالدين، وكيفية الدعاء والذكر، وكيفية الصلاة والوضوء، وكيفية احترام وإجلال المؤدب وطاعته. فهو المثال الأعلى والقدوة. ولقد استبعدت الكتاتيب منذ زمن بعد أن حلت محلها رياض الأطفال التي غزت بلداننا مخلفة في القلب حسرات.. إنها نسخة مصغرة من رياض الأطفال الموجودة في البلدان غير الإسلامية، مما يجعلنا نصدم بواقع مرير، نعم، لقد طال الغزو الفكري والتغريب أطفالنا بكل مساوئه، وبكل ما يحمله من فراغ روحي وأخلاقي، فالطفل فيها حر طليق، يقضي طيلة الوقت في اللعب واللهو والرقص المختلط، ويركز اهتمامه على الثياب والزينة والحفلات والأكل الجاهز... فهو حتى وإن تعلم فيها بعض الآيات، يبقى حفظه غير مستجيب للتلاوة الصحيحة في النطق والأحكام، وهي سرعان ما تتلاشى من ذهنه، لأنها في الأخير ليست محور اهتمامه، لأن رياض الأطفال محور اهتمامها هو اللعب والترفيه، استجابة للنظريات الغربية في تربية الأطفال... فيخرج منها الطفل، وقلبه متعلق بكل ما تربى عليه.

إن وجود مختصين في العلم الشرعي يوجهون الطفل في مرحلة مبكرة من حياته يضمن لهذا المجتمع شابا ورجلا متمسكا بدينه، ويضمن لنا طالبة وزوجة وأما متمسكة بدينها، لأن شحذ الشخصية يبدأ في مرحلة مبكرة. فالاهتمام بالطفل منذ التنشئة الأولى أمر ضروري، صار من اللازم أن ننتبه إليه، وأن نعلم خطورة الاقتباس من الغرب على أبنائنا، إنه تقليد أعمى لمجتمع يعيش أزمة أخلاقية على كل المستويات.

لقد أصبحنا اليوم نتحدث عن مشكلات عجيبة غريبة، تفتك بأطفالنا وبشبابنا، كالانجذاب إلى الراقصات والمغنيات والممثلات... ثم تقليد هؤلاء، وكالإعجاب والمثلية التي بدأت تظهر في مجتمعاتنا منذ سن مبكرة...

فإعادة النظر في مناهجنا وفي كوادرنا أمر أصبح حتميا، فلا يكفي أن تعرف المربية مثلا قواعد علم النفس، وكيفية صنع الدمى والأشياء الفنية، حتى تتأهل لتربية الأجيال. شتان بين هذه الشروط ونظيرتها في الكتاتيب، حيث كانوا يشترطون في المؤدب أو المؤدبة أن يكون من أهل الصلاح المشهود لهم بذلك، زيادة على الإتقان لتلاوة كتاب الله المجيد وحفظه، وشروط أخرى أدبية، مثل اشتراطهم أن يكون المؤدب متزوجا.. ولقد كانت الدولة تشرف عليها من خلال المحتسب، من حيث أنظمته. ويسهم الفقهاء في تنظيم مناهجها. وقد ألفت كتب كثيرة في هذا الشأن (١).

ولقد أتى كتاب «آداب المعلمين» مثلا، على كثير من المسائل المتعلقة بالمعلمين، وما يجب عليهم نحو تعليم الصبيان وتأديبهم، حتى يسلموا من تبعات السؤال عمن استرعاهم الله تعالى (٢).

ولعلي أتساءل: لماذا لم تتعالَ أصوات الدعاة والباحثين المهتمين بالشأن الديني إلى إرجاع هيبة الكتاتيب التي تعد ظاهرة مفيدة في المجتمعات الإسلامية؟ هل

نسينا مكانة الكتاتيب دينيا وتاريخيا وثقافيا وإنسانيا؟ لقد كانت الكتاتيب من الإنجازات التي يفتخر بها المسلمون، والتي حبذها أولياء أمور الأطفال، واطمأنوا بها على المستوى التعليمي لأبنائهم وبناتهم وعلى تربيتهم، على مر التاريخ. وتجدر الإشارة إلى ما ورد عن مجمع الفقه الإسلامي من قرارات داعية إلى أسلمة المناهج التعليمية (٣)، مما يدعو جديا إلى وقفة حاسمة وموضوعية، لتقييم التجارب الموجودة في مجتمعاتنا.

ويجب ألا ننسى أننا نعيش في زمن الصحوة الإسلامية، حيث استفاق المسلمون على كوارث البديل الغربي الذي تبنته الدول والشعوب، وظنت أنه المنقذ من التخلف ومن الأزمات، فقد أصبح لزاما علينا اليوم أن نقف لمراجعة الذات، هذه الهوية المهددة، ولنتخلص من النظرة الدونية للأشياء الأصيلة، فالأغلبية ينظرون إلى الكتاتيب وكأنها تراث يجب أن نحييه في لوحة أو في صورة من صور الاحتفالات بيوم التراث الوطني.. في حين نتناسى أن العودة إلى الأصل فضيلة، وإحياء لسنة من السنن المندثرة، وقد كان الصبيان زمن رسول الله ﷺ يتعلمون. فعن ابن عباس: «توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين، وقد قرأت المحكم» (أي المفصل) (٤).

«وقد ظل المسجد النبوي على مدى تاريخه الطويل المنهل العذب والمدرسة الأولى التي يتلقى فيها الطلاب العلم والتعليم، وتخرجت منه أجيال عديدة من أبناء المدينة والمسلمين كافة، وبقيت ساحاته وجوانبه زاخرة بحلقات العلم حتى الآن، وبالكتاتيب حتى فترة متأخرة من القرن الرابع عشر الهجري. وذكر الشيخ جعفر فقيه في حديثه عن التعليم في المدينة المنورة في بداية القرن العشرين، وبحدود عام ١٣٢٥هـ أن عدد الكتاتيب في المسجد النبوي كان ستة كتاتيب. وذكر ناجي الأنصاري في كتابه «التعليم في المدينة المنورة» أن عدد الكتاتيب بالمدينة المنورة في عام ١٣٤٩هـ ثلاثة كتاتيب أميرية في داخل المسجد النبوي الشريف، ومجموع التلاميذ بها (١٢٥) تلميذا، وعدد المعلمين فيها (٦) معلمين. كما ذكر عثمان حافظ في كتابه «صور وذكريات» أن عدد الكتاتيب في المسجد النبوي الشريف في عام ١٣٣٣هـ /١٩١٤م كان (٨) كتاتيب، وموقعها في الجهة الشمالية من المسجد. وقد تعطلت بسبب الحرب العالمية الأولى...

ومنذ عام ١٣٧٣هـ أخذت هذه الكتاتيب سواء داخل المسجد النبوي أو في المدينة تتلاشى شيئا فشيئا.. ولم يبق من هذه الكتاتيب في المسجد إلا حلقات لتعليم القرآن الكريم، وحلقات أخرى لدروس العلم» (٥).

إننا إذا قمنا بإلغاء الكتاتيب وقعنا في مشكلة التغريب. وإن اختزلنا وظيفتها في تحفيظ القرآن الكريم فقط، فقد وقعنا في إقصاء حفظ أحاديث رسول الله ﷺ، وهو أمر ضروري. وكذا تعلم الوضوء والصلاة وسائر العبادات والأخلاقيات الإسلامية فضلا عن اللغة العربية وحذقها.. وما من شأنه أن يكون له وقع في توجيه ملكات الطفل إلى ما يحبه الله ويرضاه.

فالحل الأنسب هو تطوير الكتاتيب

التقليدية، بتحديث آلياتها، وإدخال تعديلات تناسب الفترة المعيشة، من تقنية حديثة وأساليب معاصرة، حتى تتمكن الكتاتيب الحديثة من إثبات وجودها.

وفي هذا الصدد تحضرني التجربة التونسية، حيث قاموا بتفعيل دور الكتاتيب فوجهوا المختصين من الشريعة إلى العمل في الكتاتيب، بعد أن أسندت لهم الدولة دورة تدريبية مطولة في تكوين المؤدبين، تتضمن كل ما يحتاج له المربي للتعامل مع الأطفال وفهمهم. كما يوجد في هذه الدورة تدريب للمؤدب والمؤدبة على التقنية الحديثة، وعلى الألعاب المدروسة لتنمية الشخصية وتثبيت الهوية... فنراهم قد أدخلوا جانب

اللعب (فسحة، مسرح الظل عوض عروض الأزياء وما تخلفه من تبلد، توجيه نحو القصص الصغيرة، وتحبيب الأطفال في المطالعة، وتوجيه كذلك نحو القصص الإسلامي..).

أما عن المادة العلمية، فقد بقيت على ما هي عليه من تعليم الطفل التلاوة الصحيحة للقرآن الكريم، وتحفيظه أحاديث رسول الله ﷺ، وتعليمه اللغة العربية والحساب والرسم... وما أضافوه هو دمج الحاسوب في العملية التعليمية ومبادئ اللغات الأجنبية، كما أدمجوا السنة التحضيرية، فأسندوها للمؤدب مباشرة قبل دخول الطفل إلى السنة الأولى من التعليم الابتدائي.

كما وفرت الدولة من جانبها كتاتيب مجهزة، عادة ما نجدها محاذية للمساجد، فتعرف الكتاتيب بأسماء المساجد التابعة لها، وهو نظام متجذر في تاريخ البلاد، كما أضافت الدولة دعما ماديا للمؤدب والمؤدبة، وتركت لهم مجالا لأخذ أجورهم من الأولياء حسب مقدار محدد لكل طفل، حتى تضمن للمؤدب الحياة الكريمة، إيمانا منها بالدور الذي يقدمه للمجتمع، كما هيأت الكتاتيب لعدد معين، حتى تضمن الأداء الجيد وأخضعتها لسلطة إشراف، فهي تابعة لوزارة الشؤون الدينية، يزورها من حين إلى آخر الوعاظ الدينيون، حتى يراقبوا سير العمل عن قرب. هذا على المستوى التنظيمي والمنهجي. ويبقى المؤدب خاضعا لدورات تدريبية، كلما اقتضت الحاجة، وقد لوحظ بعد فترة قصيرة من تطبيق هذه التجربة إقبال متزايد على الكتاتيب من الأولياء، وانجذاب لها من الأطفال، واستحسان لها من المجتمع، لم تشهده البلاد من قبل (٦).

هذا وتجدر الإشارة إلى أننا في زمن اخترق فيه المسلمون، وتداخل فيه الحلال والحرام، وأصبح القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر. واعلم أيها المكرم أنه إن صلحت العقيدة استقامت حياة الإنسان كلها. وقد علم الرسول ﷺ أصول العقيدة أولا لصحابته رضوان الله عليهم، فكانت الفترة المكية بمثابة وضع الأسس التي قامت عليها الدولة الإسلامية، بفضل الله ومن بعده رسوله ﷺ.

## الهوامش

(١) انظر كتاب «آداب المعلمين»، تأليف العلامة والفقيه أبي عبدالله محمد بن سحنون فقيه المغرب وابن فقيه المغرب عبدالسلام سحنون ابن سعيد التنوخي، القيرواني، شيخ المالكية (ت٢٥٦هـ).

(٢) المصدر الإلكتروني: http://elmalikia.blogspot.com

(٣) قرارات مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي المنعقد في دورته الخامسة عشرة بمسقط (سلطنة عُمان) ١٤ - ١٩ المحرم ١٤٢٥هـ، الموافق ٦ - ١١ آذار ( مارس ) ٢٠٠٤م. قرار رقم ١٣٨ (١٥/٤) من موقع: www.fiqhacademy.org.sa/qrarat

(٤) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب تعليم الصبيان القرآن، رقم٥٠٣٥، ص٤٣٦ من موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة)، إشراف ومراجعة الشيخ صالح بن عبدالعزيز ابن محمد ابن إبراهيم آل الشيخ، دار السلام للنشر، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الثالثة سنة ٢٠٠٠ م.

(٥) مقال عنوانه: «الكتاتيب» يحتفظون بحضورهم في المسجد النبوي جريدة الرياض بتاريخ ٥ رمضان ١٤٢٩هـ - ٥ سبتمبر ٢٠٠٨م - العدد١٤٦٨٣.

(٦) مقال عنوانه: برنامج إصلاحي متكامل لمنظومة الكتاتيب في تونس، نشر في أخبار تونس، بتاريخ: ٢٠٠٩/٨/٩م.

# المسلمون «المنسيون» في جمهورية تتارستان

نجاح إبراهيم منصور
باحثة إسلامية متخصصة في التراث

جمهورية تتارستان إحدى الجمهوريات الإسلامية السوفييتية الواقعة في منطقة الفولجا (في قلب روسيا)، يجاورها خمس جمهوريات إسلامية أخرى، هي: بشكيريا، وتشوفاش، وموردوفيا، وماري يل وأودمورت. وذلك إضافة إلى منطقة القوقاز الشمالي (جنوب غرب روسيا)، وتشمل سبع جمهوريات (داغستان، والشيشان، وإنغوشيا، وقبردين بلقاريا، وأوسيتيا الشمالية - ألانيا وكارتشييف شركيسيا، والأديغة). ويبلغ إجمالي عدد المسلمين في هذه الوحدات الإدارية نحو ١٦-١٧ مليون نسمة، إضافة إلى ٥-٦ ملايين آخرين يتوزعون بشكل مبعثر عبر الأصقاع الروسية، من حدود الصين واليابان شرقا إلى حدود فنلندا غربا.

## دور التجار

وصل الإسلام إلى تتارستان في بداية القرن الرابع الهجري، عندما وصل التجار المسلمون إلى حوض نهر الفولجا، وأسلم شعب البلغار، وأرسل إليهم الخليفة العباسي المقتدر (٢٩٠هـ - ٣٢٠م) من يفقههم في الدين. وكان الإسلام يسود منطقة الحوض الأدنى من نهر الفولجا، بل تجاوزها إلى منطقة القرم في شمال البحر الأسود، غير أن الدفعة الأساسية للدعوة الإسلامية في حوض الفولجا وصلت بإسلام التتار.

## روسيا القيصرية

عندما احتل قياصرة روسيا تتاريا في سنة (٩٦٠هـ - ١٥٥٢م) كان الإسلام منتشرا بين سكانها، واضطهد الروس أهلها، وحاولوا جذبهم إلى المسيحية بالقوة والقهر، لكنهم فشلوا في ذلك فشلا ذريعا، وقد بذلت الإمبراطورة كاترين الثانية جهودا جبارة في هذا المجال في سنة (١١٩٢هـ - ١٧٧٨م)،

**• ٣٠ ألف مسلم يحفظون القرآن ويدرسون تفسيره!**
**• جميع محاولات طمس الهوية الإسلامية باءت بالفشل**
**• «التتار» في حاجة ماسة إلى من يعلمهم اللغة العربية**

فأمرت بأن يوقع كل من الذين اعتنقوا المسيحية «الجدد» على إقرار كتابي يتعهد فيه بترك خطاياه ويتجنب الاتصال بالكفار، ويظل على الدين المسيحي، وطبق هذا بالقوة على التتار المسلمين، ولكنهم كانوا مسيحيين اسما، ثم تخلصوا من هذا التعسف، وظلوا على إسلامهم، ولقد دونت أسماؤهم في السجلات المسيحية زورا. ووقف المسلمون التتار في ثبات وقوة ضد الصليبيين وحملاتهم، وشهد القرن التاسع عشر الميلادي عدة قوانين تحد من انتشار الدعوة، لدرجة أن القانون الجنائي الروسي كان يعاقب كل شخص يتسبب في تحويل روسي إلى الإسلام بـ «الأشغال الشاقة»، وعلى الرغم من هذا فإن الدعوة انتشرت بصورة سرية، ولما صدر قانون حرية التدين في روسيا القيصرية في سنة (١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م) حانت الفرص للدخول في الإسلام بصورة جماعية، فبلغ من أعلنوا إسلامهم في سنة (١٣٢٣هـ - ١٩٠٦م) ثلاثة وخمسين ألفا، وفي سنة ١٩٠٩ دخلت ٩١ أسرة في الإسلام.

وسارت الدعوة الإسلامية قدما في حماسة بالغة، فكان كل مسلم داعية إلى دينه، وقد خدمت الدعوة الإسلامية هجرة جماعات ممن احترفوا الحياكة في القرى الإسلامية في زمن الشتاء، واعتنق هؤلاء الإسلام وتحولوا إلى دعاة للإسلام عند عودتهم إلى قراهم، وأثمرت دعوة التتر أنصارا في سيبيريا وغيرها.

### قبل الثورة الماركسية

كان في مدينة قازان عاصمة جمهورية تتاريا جامعة إسلامية بها سبعة آلاف طالب، وكانت بها مطبعة أخرجت مليون نسخة من ٢٥٠ كتابا في سنة (١٣١٠ هـ - ١٩٠٢ م)، كما كانت في مدينة قازان مكتبة إسلامية كان يزورها ٢٠ ألف قارئ سنويا، وكان يوجد مسجد لكل ألف مسلم، وكان يوجد مركز للدعوة الإسلامية. واجتهد علماء قازان في نشر الدعوة، وطبعوا منشورات لها، واهتموا بالتعريف بالإسلام باللغة التترية، وانتشر الدعاة (مليات) وطلاب جامعة قازان في القرى والفيافي يدعون إلى الإسلام، ونشطوا في هذا الأمر بعد صدور قانون حرية الأديان في روسيا في سنة ١٩٠٥ م، ونجحوا في بث الدعوة الإسلامية بين تتار سيبيريا.

### السوفييت في الحكم

واجه التتار حربا قاسية على معتقداتهم، فأغلقت المدارس الإسلامية، ودمرت المكتبات والمطابع الإسلامية في قازان عاصمة تتاريا، وثار التتار ضد الاضطهاد الديني، وقدموا العديد من الشهداء، وأعدم حتى أولئك الذين تعاونوا مع السوفييت، ورفض السوفييت وحدة الأراضي الإسلامية، وعملوا على تفتيتها إلى قوميات للقضاء على الوحدة. وقد أدمج الروس كل المناطق الإسلامية التي توجد في روسيا الأوروبية في إدارة دينية واحدة مقرها أوفا عاصمة جمهورية بشكيريا، وتشرف على المسلمين في سيبيريا أيضا، وجردوا هذه الإدارة من كل السلطات فأصبحت أمرا شكليا، ولكن في الآونة الأخيرة حدث تغير في روسيا الاتحادية، ونتجت عن هذا حرية الأديان، وبدأت صحوة إسلامية في المناطق الإسلامية.

### صحوة إسلامية واعدة

وعلى الرغم من معاناة مسلمي تتارستان، فإنهم شهدوا في الحقبة الأخيرة صحوة إسلامية واسعة، وقد بلغت نسبتهم حوالي ٧٠ في المئة من تعداد السكان، كما بلغ عدد حفظة القرآن الكريم ٣٠ ألف مسلم. وقاموا أخيرا بتجديد المساجد وترميم الآثار الإسلامية التي تعرضت للهدم والإزالة في الحقب الماضية، ولا ينقصهم سوى الدعاة القادرين على تعليمهم اللغة العربية.

## فكرة مبتكرة تفيد الناشئة

# «ألف اختراع واختراع» في المركز العلمي بالكويت

علاء عبدالفتاح

**فكرة معرض «ألف اختراع واختراع»، الذي شهدت فعالياته ساحة المركز العلمي بالكويت في الفترة من ٤ فبراير إلى ٧ مارس ٢٠١٥م، فكرة متميزة، أثمرت في ذهن أكثر من ٦ ملايين زائر لهذا المعرض المتجول حول عواصم العالم، ما يبدل الصورة النمطية لمشاركة المسلمين في حركة العلوم، وأسهمت في تشكيل وعي الناشئة الذين تعرفوا - ربما للمرة الأولى - على إنجازات الفكر الإسلامي وبراعة علماء المسلمين في عصور كانت البلدان الغربية فيها تتعلم من أمتنا.**

المعرض يرفع درجات الثقة بالنفس، ويزيد الشعور بالفخر المطلوب لمقاومة تيار الدونية الذي تسعى أجهزة إعلام كثيرة إلى بثه في نفوس أبنائنا.

يستقبلك في هذا المخيم المواجه لمبنى المركز العلمي بالسالمية، إحدى مناطق الكويت المتاخمة للخليج العربي، عرض سينمائي (معرب) تم إنتاجه في يناير ٢٠١٠م، بطولة النجم العالمي بن كينغسلي Ben Kingsley ومن إخراج آلان ديكنز Alan Deakins.

### مقابلة المخترعين

العرض، الذي يمتد لنحو ١٣ دقيقة، يعرفنا من خلال ثلاثة تلاميذ يجرون بحثا عن العصور المظلمة، ويقابلون بديع الزمان أباالعز الجوزي باكتشاف ابن الهيثم للأسس التي اخترعت على أساسها الكاميرا، وبالتالي السينما، من خلال إسقاط صورة على سطح آخر من خلال ثقب

في غرفة مظلمة.

أو عباس بن فرناس، الذي فكر في الطيران قبل الأخوين رايت بألف عام، وكذلك بأبي القاسم الزهراوي، الملقب بـ «أبوالجراح»، الذي اخترع العديد من الأدوات الجراحية، مثل: المشرط وخيط أحشاء القطط للجراحة.

أو مريم الأسطرلابية، التي اخترعت الكثير من الأسطرلابات التي تعرض منظر السماء والنجوم لتحديد الزمن وحركة الكواكب.. وفي نهاية الفيلم يسأل الأطفال الثلاثة ابن الجوزي عما اخترعه، فيقول إنه اخترع جهازا يحول الحركة الدائرية إلى حركة طولية بواسطة ذراع تدوير و«عَتَلة» متصلة، ومن دون هذا الجهاز لم تكن لتتم الثورة الصناعية، كما اخترع آلة قياس الأوقات.

بعد العرض مباشرة تنفرج الشاشة ليجد الجمهور نفسه في مواجهة ممثلين محترفين يقومون بأدوار العلماء المسلمين، وكل أمام أشهر جهاز اخترعه يدعو الزائرين، وأغلبهم من الأطفال، إلى التعرف على الجهاز، وأحيانا تجربته، كما حدث من عباس ابن فرناس، حيث يجرب الزائر أن يحلق بذراعيه أمام شاشة تفاعلية، فإذا ما أحس بتعب سقط النموذج الذي كان يحلق أمام عينيه!

## ورش علم وفن

بعد الجولة في المعرض والتوقف عن الاختراعات، يمكنك الحصول على نسخة من كتاب الاختراعات بثمن رمزي، هو ديناران كويتيان. وهناك ورش تلوين للأطفال، وورش علمية لتوليد التيار الكهربائي وتحويل الحركة إلى طاقة ضوئية وغيرها.

## قالوا عن المعرض

قال مدير عام مؤسسة الكويت للتقدم العلمي عدنان شهاب الدين، يوم افتتاح المعرض، إن المؤسسة تتبنى هذا النشاط من واقع اهتمامها ومساهمتها الفعالة في نشر برامج الثقافة العلمية التي تمثل أحد المحاور الرئيسية الأربعة التي بنيت عليها استراتيجيتها.

بينما قال مدير ومنتج معرض «ألف اختراع واختراع» أحمد سليم، إن المعرض، الذي يستضيفه المركز العلمي بدعم مؤسسة التقدم العلمي، هو من أكبر المعارض، ويسلط الضوء على الحقبة الذهبية الغنية بالإنجازات الإسلامية، مشيرا إلى أن الهدف من إقامة المعرض هو الإسهام في تطوير ونشر وتعلم العلوم، ودعم الموهوبين والمتميزين، والمساعدة في تطوير الثقافة العلمية والبيئة الممكنة.

أما رئيس المركز العلمي مجبل المطوع فقال إن هدف المعرض تبسيط العلوم ونشر الوعي في جو من التفاعل الترفيهي، مما يبث روح الإبداع والابتكار لدى الجيل الجديد.

**كنوز الذاكرة .. ركن نرجع فيه بالقارئ الكريم إلى بدايات القرن الماضي وما تلاه، نقرأ لعباقرة ذاك الزمان، بحروف وطباعة تلك الأيام، حتى نعيش معا الذكرى بشكلها ومضمونها.**

صاحب الامتياز المسئول: عبد المحسن الصانع

« حكمة العدد »

متى تجمع القلب الذكي وصارماً
وانفاً حمياً تجتنبك المظالم
فلا صلح حتى تعثر الخيل بالقنا
وتضرب بالبيض الرقاق الجماجم

# الخليج

مجلة شهرية
تبحث في الآداب والعلوم والفنون والاجتماع

بدل الاشتراك عن سنة
روبية في الداخل
دينار عراقي
أو ما يعادله من العملة الانجليزية في الخارج
(ثمن العدد ١٢ آنة)

« الاعلانات »
يتفق عنها مع مدير الادارة عبد الصمد تركي

العدد ٢ — الكويت آب ١٩٤٨ — السنة الاولى


## التعليم القروي في الكويت

لا يخالفني إنسان في قولي بوجوب تعميم التعليم في هذه الامارة الصغيرة. فالتعليم وحده يستطيع أن يرفع منزلتنا في اعين الامم الحية، وبالتعليم وحده نستطيع ان نبني حياة سعيدة تليق بكرامة الانسان في هذا العصر. وقد شاءت الظروف العصيبة والتجارب القاسية الشديدة أن تكشف للامة العربية سر ضعفها، وعلة اضطرابها وتخلخلها، فكان ذلك السر وكانت تلك العلة جهل الامة العربية، وتأخرها في العلوم الحديثة، وحرمان ابنائها من التربية الصالحة القويمة، فوقع ما وقع من تزعزع مؤلم وتخلخل موجع واضطراب مؤسف في كل حركة من حركاتها التحررية. ولو فكر زعماء العرب في تعليم الامة العربية، واعداد الناشئة منها إعداداً قومياً قوياً لجنوا ثمرا طيباً مرضياً في كل وثبة من وثبات الجهاد، ولما حدث شيء مما حدث طيلة هذه الفترة الطويلة. ولكنهم — وهم المخلصون طبعاً — وجهوا جل جهودهم واهتمامهم نحو استغلال حيوية الشعب العربي، نخابوا اكثر من مرة في هذا الاستغلال، وعلموا — ولكن في الاخير — ان الحيوية وحدها لا تكفي مهما كانت قوتها ومهما كانت الزعامة حكيمة في اثارتها واستغلالها.

ولست مضطرا في هذه الكلمة العجلى الى الاسترسال في هذه الخواطر ما دمت معتمداً على وعي المسئولين هنا وقبولهم الآراء السديدة، والنصائح الصادقة، وتقديرهم لكل احساس قومي شريف. فالتعليم كما قلت يجب ان يكون معمما في هذه الامارة. ومن الغرابة أن نخص به قوماً دون قوم محتجين بصدوف هؤلاء وإقبال أولئك ناسين ان سبل الترغيب كثيرة، وطرق الترهيب اكثر، وان الجهل أو الابقاء عليه جريمة شنعاء تعد في زمننا هذا.

ونحن نعترف جميعاً بأن للقروي ما لابن المدينة من الحقوق وأن على هذا ما على ذلك من الواجبات،



**عبدالحميد عبدالعزيز الصانع**

أديب ومؤرخ وصحفي كويتي، ولد بالكويت عام ١٣١٢هـ (١٨٩٤م)، اعتمد في التعليم بتوفيق الله على نفسه دون ان ينتظم في سلك التعليم العام، وعمل في بداية حياته في التجارة، ثم انتقل إلى العمل الحكومي، شارك في تأسيس المكتبة الأهلية في دولة الكويت، كما ساهم في تأسيس غيرها من المشاريع العلمية النافعة وإدارات العلم والتربية. توفي عام ١٣٧٩هـ (٤ مارس ١٩٧٦م)

— ٢ —

وأن الطبيب لا يترك المريض فريسة للمرض القاتل تلبية لرغبته في تجنب ألم العلاج ومرارة الدواء.

كما أن الزارع لا يرفع رأسه فخوراً معتزا الا إذا رأى قلب الارض الماحلة القاحلة الى زروع بهيجة ورياض نضرة تملأ النفس سرورا واعجابا. فالعناية المبذولة في نشر التعليم وتقويته في مدينة الكويت حميدة مشكورة. وقد بلغت ادارة المعارف مدى بعيدا سجل لها الثناء الجميل في قلوب جميع المواطنين، غير ان التعليم القروي - وهو جزء لا يتجزأ من رسالة المعارف — لا يزال مفقودا مع الاسف الشديد. وقد قلت غير مرة لبعض المسئولين في مؤسسة المعارف بوجوب الاهتمام بتعليم ابناء القرى وتوجيههم توجيهاً حديثاً. وكم رأيت بنفسي ذكاء ابناء القرى الكويتية واستعدادهم الفطري للتعلم. ومهما نسيت فلن أنسى ما شاهدته في زيارتي لجزيرة فيلكه منذ ثلاث سنوات، فلقد وجدت في تلك الجزيرة الوادعة المنسية مدرسة حديثة البناء ذات حجرات فسيحة وفناء صحي رحب، وموقع نزه جميل، ووجدت طلاباً يفوقون بذكائهم واستعدادهم لطلب العلم ابناء مدينة الكويت لا يقلون عددا عن مائتي طالب نشيط، ولكنني لم اجد سوى ذلك شيئاً. وكان ما في الجداول المعلقة على جدران حجرات الدراسة برهاناً على تضييع أولئك الابرياء. ويمكن القول عن الفنطاس والدمنة وحولي والجهرة وغيرها مثل ما قلت عن تلك الجزيرة المنسية. فهل آن الاوان لاصلاح التعليم القروي؟؟ وهل تعيرني ادارة المعارف اذنا صاغية فتستمع الى اقتراحاتي، وتعمل بها أو ببعضها إن وجدت فيها خيرا؟

إن هذا النوع من التعليم يجب ان تنشأ له ادارة مستقلة ترتبط بالادارة العامة، وأن يتولى شؤون هذه الادارة مدير يطلق عليه «مدير التعليم القروي». ثم يجب أن تنال هذه الادارة كل ما تفتقر اليه من المال. فاذا تم ذلك فالاصلاح المنشود محقق، والنتائج الحسنه مضمونة. لأن في المقدور الاخذ بكل أو بعض الوسائل الآتية:

(١) العناية ببناء المدارس القروية وترميمها وتأثيثها وتشجيع زراعة الاشجار فيها. فالمدرسة إن كانت منظمة نظيفة صحية جذبت قلوب الاطفال وفرضت عليهم حبها وتفضيلها على البيت.

(٢) تعيين اثنين أو ثلاثة من مدرسي الكويت الشبان لكل قرية على أن يزودوا بالنصائح والتوجيهات دائماً، ويشجعوا على تحمل حياة القريه بمخصصات مالية.

(٣) ترغيب الطلاب في التعلم بالمساعدات، كأن تعطى لهم رواتب شهرية لا تقل عن خمس روبيات، ولا تزيد على عشر. وهذه المساعدة لها وقع في نفوس القرويين الفقراء.

(٤) تأييد المدرسين وفرض الاحترام لهم على جميع سكان القرية، لأن في احترام المدرس احتراما للعلم، ومتى احترم الآباء العلم فان الابناء سيقبلون عليه عن رغبة وشوق وتقدير.

(٥) تجهيز كل مدرسه بصيدلية صغيرة للاسعاف الاولي في المدرسة والقرية ما دامت القرية محرومة

— ٥٢ —

## مجلة كاظمة

هي أول مجلة صدرت وطبعت في الكويت؛ فقد صدر العدد الأول منها في يوليو من عام ١٩٤٨م، وهي صحيفة أدبية اجتماعية، تصدر مرة في كل شهر، وأشرف على تحريرها وإدارتها أدباء كويتيون، منهم صاحب امتيازها: المرحوم عبدالحميد الصانع، ومعه عبدالصمد التركي وأحمد السقاف، وللأسف فإن المجلة لم تتعد عددها التاسع حتى انتهى أجلها، وتوقفت عن الصدور بسبب خلاف في الرأي، نشره القائمون على المجلة ولم يرق لمن خالفهم..

إعداد: د. محمود محمد الكبش
عضو هيئة تدريس جامعة
أم القرى - مكة

**لعظيم شأن الفتوى في النوازل المعاصرة، وتقريبا للعلم والاستفادة منه؛ استحدثت هذه الصفحة المباركة - في كل عدد - من أجل عرض نازلة معينة، بالوقوف على مصادرها، ومظانها المختلفة، وتجلية صورها، وبيان أحكامها، وأدلتها.**

# الاتجار في العملات والصرف

الصرف: بيع عملة بعملة أخرى من غير جنسها، ولا بد فيه من التقابض في مجلس العقد، ولذا لا يجوز شرعا البيع الآجل للعملات، ولا المواعدة على الصرف فيها.

وورد في اللجنة الدائمة جواب لسؤال: جواز الصرف المشار إليه آنفا، وإن خالف القوانين الوضعية.

يجوز شراء الذهب والفضة بالشيكات المصدقة، على أن يتم التقابض في المجلس.

أما الحوالات فجائزة بمقابل، أو بدون مقابل، وسواء كانت بالعملة نفسها، أو بعملة مغايرة، وفي هذه الحالة تجري عملية الصرف قبل التحويل.

● **القرارات، والتوصيات، والبحوث الصادرة من المجامع واللجان الفقهية، والهيئات الشرعية بخصوص هذا الموضوع:**

- أولا: قرار مجلس المجمع الفقهي الإسلامي لـ «رابطة العالم الإسلامي» في دورته الثالثة عشرة، المنعقدة بمكة المكرمة، والتي بدأت يوم السبت (٥/ شعبان/١٤١٢هـ)الموافق(١٩٩٢/٢/٨م)، بشأن: المواعدة ببيع العملات بعضها ببعض.. وهل يجوز أن يقوم المصرف، أو الشركة، بترتيب عمليات شراء مستقبلي لصالح أحد العملاء بطلب منه؟

وقد نظر في الموضوع، وتوصل إلى النتائج التالية:

أولا: إن بيع عملة بعملة أخرى يعتبر صرفا.

ثانيا: إذا تم عقد الصرف بشروطه الشرعية، وخاصة التقابض في مجلس العقد، فالعقد جائز شرعا.

ثالثا: إذا تم عقد الصرف، مع الاتفاق على تأجيل قبض البدلين أو أحدهما إلى تاريخ معلوم في المستقبل، بحيث يتم تبادل العملتين معا في وقت واحد، في التاريخ المعلوم، فالعقد غير جائز، لأن التقابض شرط لصحة تمام العقد، ولم يحصل.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

والحمد لله رب العالمين.

انتهى القرار.

- ثانيا: ثم صدر قرار مجمع الفقه الإسلامي بجدة، رقم: (٩٣ (١١/٥))، بشأن الاتجار في العملات، وجاء فيه:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين:

أما بعد:

فإن مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي في دورة انعقاد مؤتمره الحادي عشر بالمنامة، في مملكة البحرين، (٢٥-٣٠ رجب ١٤١٩هـ)، الموافق (١٤- ١٩ تشرين الأول (نوفمبر) ١٩٩٨م).

بعد اطلاعه على الأبحاث المقدمة إلى المجمع بخصوص موضوع «الاتجار في العملات»، واستماعه إلى المناقشات التي دارت حوله، قرر ما يلي:

أولا: التأكيد على قرارات المجمع رقم ٢١(٣/٩)، بشأن النقود الورقية وتغير قيمة العملة، ورقم ٦٣(٧/١) بشأن الأسواق المالية. الفقرة ثالثا: التعامل بالسلع والعملات والمؤشرات في الأسواق المنظمة رقم (٢)، التعامل بالعملات، ورقم ٥٣ (٦/٤) بشأن القبض، الفقرة ثانيا: (١- ج).

ثانيا: لا يجوز شرعا البيع الآجل للعملات، ولا تجوز المواعدة على الصرف فيها. وهذا بدلالة الكتاب والسنة، وإجماع الأمة.

ثالثا: إن الربا والاتجار في العملات والصرف دون التزام بأحكام الشريعة الإسلامية، من أهم أسباب الأزمات والتقلبات الاقتصادية التي عصفت باقتصاديات بعض الدول.

**التوصيات:**

ويوصي المجمع بما يلي:

وجوب الرقابة الشرعية على الأسواق المالية، وإلزامها بما ينظم أعمالها، وفق أحكام الشريعة الإسلامية في العملات وغيرها، لأن هذه الأحكام هي صمام الأمان من الكوارث الاقتصادية.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

انتهى القرار.

- ثالثا: ثم صدرت فتوى من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في ذي القعدة، عام (١٤٠١هـ)، وهي:

السؤال: هل يجوز تجارة العملة في السوق السوداء، رغم أن قوانين البلد تمنع ذلك؟

الجواب: يجوز شراء العملة بعملة أخرى من غير جنسها، ولو تفاوتت في السعر، يدا بيد، ولا يمنع من ذلك المخالفة للقوانين الوضعية.

انتهت الفتوى.

● **التعليق:**

الأصل جواز المتاجرة بالعملات، والتكسب بفروق أسعار صرفها، بشرط مراعاة ضوابط الصرف الشرعية، وأهمها: حصول التقابض في مجلس العقد، فلا يصح أن يفترق المتصارفان،

وبينهما شيء، لقول النبي ﷺ: «ما كان يدا بيد: فلا بأس به، وما كان نسيئة: فهو ربا». رواه الشيخان، من حديث البراء.

وإنما قلنا ذلك؛ لأن العملات من الأصناف الربوية، فهي قائمة مقام النقدين: الذهب والفضة، لأنها أصبحت ثمنا لكل مثمن، وقيمة لكل مقوم، وقد قال ﷺ: «لا تبيعوا الذهب بالذهب، إلا مثلا بمثل، ولا تشفوا بعضها على بعض، ولا تبيعوا الورق بالورق، إلا مثلا بمثل، ولا تشفوا بعضها على بعض، ولا تبيعوا غائبا منها بناجز»، (متفق عليه).

فإذا بيعت ريالات بدولارات، أو جنيهات بدنانير، أو غيرها؛ فيشترط التقابض في المجلس، ولا تجوز النسيئة فيها.

- وأما بشأن «تجارة الذهب، الحلول الشرعية لاجتماع الصرف والحوالة»، فقد صدر من مجمع الفقه الإسلامي بجدة قرار رقم: (٨٤ (٩/١))، وجاء فيه:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين

إن مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنعقد في دورة مؤتمره التاسع بأبوظبي بدولة الإمارات العربية المتحدة، (١-٦/ ذي القعدة/١٤١٥هـ)، الموافق (١-٦/ نيسان (إبريل)/١٩٩٥م)، بعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع: «تجارة الذهب، الحلول الشرعية لاجتماع الصرف والحوالة»، وبعد استماعه إلى المناقشات التي دارت حوله، قرر ما يلي:

**أولا: بشأن تجارة الذهب:**

أ- يجوز شراء الذهب والفضة بالشيكات المصدقة، على أن يتم التقابض بالمجلس.

ب- تأكيد ما ذهب إليه عامة الفقهاء من عدم جواز مبادلة الذهب المصوغ بذهب مصوغ أكثر مقدارا منه، لأنه لاعبرة في مبادلة الذهب بالذهب بالجودة أو الصياغة، لذا يرى المجمع عدم الحاجة للنظر في هذه المسألة، مراعاة لكون هذه المسألة لم يبق لها مجال في التطبيق العملي، لعدم التعامل بالعملات الذهبية، بعد حلول العملات الورقية محلها، وهي إذا قوبلت بالذهب تعتبر جنسا آخر.

ج- تجوز المبادلة بين مقدار من الذهب، ومقدار آخر أقل منه مضموم إليه جنس آخر، وذلك على اعتبار أن الزيادة في أحد العوضين مقابلة بالجنس الآخر في العوض الثاني.

د- بما أن المسائل التالية تحتاج إلى مزيد من التصورات والبحوث الفنية والشرعية عنها، فقد أرجئ اتخاذ قرارات فيها، بعد إثبات البيانات التي يقع بها التمييز بينها، وهي:

- شراء أسهم شركة تعمل في استخراج الذهب أو الفضة.

- تملك وتمليك الذهب من خلال تسليم وتسلم شهادات، تمثل مقادير معينة منه، موجودة في خزائن مصدر الشهادات، بحيث يتمكن بها من الحصول على الذهب، أو التصرف فيه متى شاء.

ثانيا: بشأن الحلول الشرعية لاجتماع الصرف والحوالة:

أ- الحوالات التي تقدم مبالغها بعملة ما، ويرغب طالبها تحويلها بنفس العملة جائزة شرعا، سواء أكان بدون مقابل أم بمقابل، في حدود الأجر الفعلي، فإذا كانت بدون مقابل فهي من قبيل الحوالة المطلقة، عند من لم يشترط مديونية المحال إليه، وهم الحنفية، وهي عند غيرهم سفتجة، وهي إعطاء شخص مالا لآخر، لتوفيته للمعطي أو لوكيله في بلد آخر. وإذا كانت بمقابل، فهي وكالة بأجر، وإذا كان القائمون على تنفيذ الحوالات يعملون لعموم الناس، فإنهم ضامنون للمبالغ، جريا على تضمين الأجير المشترك.

ب- إذا كان المطلوب في الحوالة دفعها بعملة مغايرة للمبالغ المقدمة من طالبها، فإن العملية تتكون من صرف وحوالة، بالمعنى المشار إليه في الفقرة (أ)، وتجري عملية الصرف قبل التحويل، وذلك بتسليم العميل المبلغ للبنك، وتقييد البنك له في دفاتره بعد الاتفاق على سعر الصرف المثبت في المستند المسلم للعميل، ثم تجري الحوالة بالمعنى المشار إليه.

انتهى القرار.

● **التعليق:**

الأصل أن التعامل بالشيكات لا بأس به؛ لأنه من أنواع التوثيق المشروع للدين، جاء في قرار مجمع الفقه الإسلامي بجدة، رقم (٥١ (٢/٦)) ما يلي: «الأوراق التجارية (الشيكات...) من أنواع التوثيق المشروع للدين بالكتابة».

وجاء في قرار المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة في دورته الحادية عشرة: «يقوم استلام الشيك مقام القبض، عند توفر شروطه في مسألة صرف النقود. بالتحويل في المصارف».

ويستثنى من ذلك ما إذا كانت السلعة مما يشترط فيه التقابض، كالذهب والفضة؛ فلا يجوز التعامل فيها بالأجل أو الشيكات غير المصدقة من البنك، لعدم توافر شرط التقابض.

أما أخذ البنك عمولة مقابل التحويل، فلا حرج فيه من حيث الأصل، باعتبار العمولة أجرة على التحويل، سواء كانت هذه العمولة مبلغا مقطوعا، أم نسبة من المبلغ المحول، وليست هذه العمولة من الربا، وإذا كان التحويل من عملة إلى عملة أخرى، فيشترط حينئذ التقابض بين البنك والعميل، سواء كان القبض حقيقيا، أو حكميا.

وهو ما يفهم من القرار السابق، وما نص عليه قرار مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي أيضا رقم: ٥٣ (٦/٤)، والمنعقد في دورة مؤتمره السادس بجدة في المملكة العربية السعودية (١٧-٢٣/ شعبان/١٤١٠هـ)، الموافق (١٤-٢٠/آذار (مارس)/١٩٩٠م)، بشأن القبض: صوره، وبخاصة المستجدة منها وأحكامها.

إعداد: تركي محمد النصر

## مخالفة الهوى

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: «إذا تأملت السبعة الذين يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله؛ وجدتهم إنما نالوا ذلك الظل بمخالفتهم الهوى».

(روضة المحبين، ص٦٤٨)

## من درر الأقدمين

- قال يحيى بن كثير: «لا يستطاع العلم براحة الجسد».
- قال الثوري: «ينبغي للرجل أن لا يحك رأسه إلا بأثر».
- قال ابن عبدالهادي: «كان ابن تيمية يقول: أنا رجل ملة لا رجل دولة».
- قال مالك: «ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك».
- قال أبوالحصين الأسدي: «إن أحدكم ليفتي في المسألة، لو وردت على عمر لجمع لها أهل بدر».
- قال الثوري: «صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس: القراء والأمراء».
- قال جابر بن زيد: «لأن أتصدق بدرهم على يتيم، أو مسكين؛ أحب إلي من حجة بعد حجة الإسلام».
- قال مالك بن دينار: «كفى بالمرء خيانة أن يكون أمينا للخائنين، وكفى بالمرء شرا أن لا يكون صالحا ويقع في الصالحين».

(المقتطفات النافعة، ص٢٦٠-٢٧٠)

## أويس القرني

قال أويس القرني رحمه الله تعالى: «إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لم يدع للمؤمن صديقا، نأمرهم بالمعروف فيشتمون أعراضنا، ويجدون على ذلك عونا... حتى والله لقد رموني بالعظائم. وايم الله، لا أدع أن أقوم». وكان أويس إذا أمسى تصدق بما في بيته من الفضل من الطعام والثياب، ثم يقول: «اللهم من مات جوعا فلا تؤاخذني به».

(صفة الصفوة، ٥٤/٣)

## حقيقة الخشية والذكر

قال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى: «إن الخشية: أن تخشى الله، حتى تحول خشيته بينك وبين معصيته؛ فتلك الخشية. والذكر: طاعة الله، فمن أطاع الله فقد ذكره، ومن لم يطعه فليس بذاكر وإن أكثر التسبيح وتلاوة القرآن».

(صفة الصفوة، ٥٤/٣)

## كتم الحسنات

قال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى: «وعن أبي حازم قال: اكتم حسناتك كما تكتم سيئاتك».

(سير أعلام النبلاء، ١٠٠/٦)

## خطورة العجب

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: «إذا فتح الله عليك في باب قيام الليل؛ فلا تنظر للنائمين نظرة ازدراء، وإذا فتح الله عليك في باب الصيام؛ فلا تنظر للمفطرين نظرة ازدراء، وإذا فتح الله عليك في باب الجهاد؛ فلا تنظر للقاعدين نظرة ازدراء.. فرب نائم ومفطر وقاعد؛ أقرب إلى الله منك.. وإنك أن تبيت نائما وتصبح نادما خير من أن تبيت قائما وتصبح معجبا، فإن المعجب لا يصعد له عمل».

(مدارج السالكين، ١٧٧/١)

## الناس على دين ملوكهم

قال العلامة الطبري رحمه الله تعالى: «كان الوليد صاحب بناء، واتخذ المصانع والضياع، وكان الناس يلتقون في زمانه، فإنما يسأل بعضهم بعضا عن البناء والمصانع، فولي سليمان، فكان صاحب نكاح وطعام، فكان الناس يسأل بعضهم بعضا عن التزويج والجواري، فلما ولي عمر بن عبدالعزيز، كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل: ما وردك الليلة؟ وكم تحفظ من القرآن؟ ومتى ختمت؟ وما تصوم من الشهر؟».

(تاريخ الطبري، ٩٨/٨)

## نصائح بليغة

قال العلامة شمس الدين محمد بن محمد الراعي الأندلسي: «روي عن يحيى بن يحيى الليثي قال: آخر ما اجتمعت بمالك قال: أذكر لك شيئا تبلغ به حكمة الحكماء؛ إذا حضرت مجلسا فاستعمل الصمت، فإن أصابوا استفدت، وإن أخطأوا سلمت. وشيئا تبلغ به طب الأطباء؛ لا تأكل حتى تجوع، وارفع يدك وأنت تشتهي».

**(انتصار الفقير السالك لترجيح مذهب الإمام مالك، ص٣١٤)**

## الديباج الخراساني

كان جرير إذا حدث عن الأعمش قال: هذا الديباج الخراساني.

قال عيسى بن يونس: ما رأيت الأغنياء والسلاطين عند أحد أصغر منهم عند الأعمش مع فقره وحاجته.

**(تهذيب الكمال، ٨٦/١٢)**

## فرجة في القلب

قال الإمام مالك رحمه الله تعالى: «من أحب أن تفتح له فرجة في قلبه - يعني انشراحا في صدره - فليكن عمله في السر أفضل منه في العلانية».

**(ترتيب المدارك، ٦٠/٢)**

## ابن آجروم

نحوي مقرئ شهير، عالم صالح، ولد سنة ٦٧٢هـ، يحكى عنه أنه صنف الآجرومية بالحرم الشريف، تجاه بيت الله الحرام، له شرح حرز الأماني في القراءات للشاطبي، توفي بفاس سنة ٧٢٣هـ.

**(الأعلام للزركلي، ٢٣٦/٧)**

## أطوع الناس لله

قال أبوبكر الصديق رضي الله عنه: «أطوع الناس لله؛ أشدهم بغضا لمعصيته».

**(جمهرة خطب العرب، ٤٤٦/١)**

## طريقة القوم

قال الإمام الشاطبي رحمه الله: «قال سهل بن عبدالله التستري: مذهبنا مبني على ثلاثة أصول: الاقتداء بالنبي ﷺ في الأخلاق والأفعال، والأكل من الحلال، وإخلاص النية في جميع الأعمال».

**(الاعتصام، ٣٥٠/٢)**

## إنما بنيت للذكر

خطب أبوبكر رضي الله عنه الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إنه ستفتح لكم الشام، فتأتون أرضا رفيعة حيث تمتعون فيها من الخبز والزيت، وستبنى لكم بها مساجد، فإياكم أن يعلم الله عزوجل أنكم إنما تأتونها تلهيا، إنما بنيت للذكر».

**(مواعظ الصحابة للمقبل، ص٢٢)**

## أربعة كتب

قال الإمام الذهبي رحمه الله: «قال الشيخ عزالدين بن عبدالسلام - وكان أحد المجتهدين: ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل «المحلى» لابن حزم، وكتاب «المغني» للشيخ موفق الدين.

قال الذهبي: لقد صدق الشيخ عزالدين، وثالثهما: «السنن الكبير» للبيهقي، ورابعها: «التمهيد» لابن عبدالبر. فمن حصل هذه الدواوين، وكان من أذكياء المفتين، وأدمن المطالعة فيها؛ فهو العالم حقا».

**(سير أعلام النبلاء، ١٩٣/٨)**

# علم الاجتماع الديني

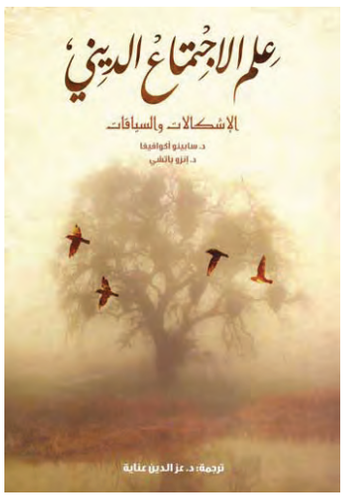


يأتي كتاب «علم الاجتماع الديني» المترجم من الإيطالية، في وقت تشهد فيه الثقافة العربية حاجة ماسة إلى هذه النوعية من المؤلفات العلمية. حيث يهدف بالأساس إلى تقديم ملخص إجمالي للمحاور الكبرى لعلم الاجتماع الديني، كما حضرت في طيات الأعمال الكلاسيكية الكبرى للفكر الاجتماعي.

إذ يتناول بالدراسة والمعالجة مفاهيم أساسية، مثل المقدس، والدين، والتدين. سواء برسم الخطوط الكبرى ذات الصلة، بالتعريفات أو الإجراءات، لتحويل المفاهيم المجردة إلى مؤشرات تجريبية، دون إفراط في النقاشات النظرية والمنهجية، التي قد تجعل النص مغرقا في التخصص، ويجافي الأهداف التعليمية التي يرنو بلوغها.

إذ رغم انتشار أقسام علم الاجتماع، في جل جامعات البلدان العربية، فإنها مازالت تشكو بعض النقائص اللافتة. تتلخص أساسا في عدم قدرة علم الاجتماع المستورد على الإحاطة بإشكاليات الاجتماع العربي، والدين إحداها، إذ ثمة اغتراب للمعرفة عن واقعها. وهو عجز ناتج عن مناهج تدريس تعول على استعراض النظريات والمناهج السوسيولوجية الغربية، تعريفيا، وأحيانا بافتتان، يفتقد لتعريبها الوظيفي، ونقصد به جعل تلك الأدوات المعرفية في خدمة الواقع الديني العربي، لفهم مضامينه وتحولاته وتحدياته.

● عزالدين عناية

# سجع المنثور هدية الثعالبي

تاريخنا الإسلامي زاخر بسير العظماء، حافل بآثارهم، وحينما يتحدث عنهم التاريخ يذكرهم في صفحاته بريشة التعظيم والإكبار، لأنهم حليته وزينته، ومن أبرزهم أبومنصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، ولد صاحبنا في مدينة نيسابور، سنة ٣٥٠ هجرية، في أسرة فقيرة، تشتغل بخياطة جلود الثعالب، وعمل الفراء منها، ويبدو أنه انخرط في مهنة أسرته في بداية حياته، ثم دفعت به أسرته إلى أحد كتاتيب نيسابور ليتأدب فيه، ويتلقى مبادئ العلوم العربية والمعارف العامة، ولما أنهى دراسته، فارق مهنة أسرته، واشتغل بالتأديب وتعليم الصبيان، وتشير كتب السير والتراجم إلى صلاته بالعلماء الذين توافدوا على نيسابور في عصره، وخير شاهد على ذلك تتلمذه على يد أبي بكر محمد العباس الخوارزمي الذي أشاد الثعالبي بعلمه وأدبه، والذي لقبه في كتبه بالأستاذ، كما لازم غيره من العلماء، وأخذ عنهم العلم والمعرفة، كما تشير كتب السير والتراجم إلى رحلاته خارج نيسابور، ومن بينها رحلته إلى مدينة بخارى، عاصمة الدولة السامانية، وتذكر أن صاحبنا استفاد من هذه الرحلة زادا علميا وفيرا، نتيجة لقاءاته بعلماء وأدباء بخارى، وإقامة العلاقات الوثيقة معهم، وخير شاهد على ذلك، إيراد الكثير من معارفهم وعلومهم في كتبه ومؤلفاته التي وصلتنا، كما تشير كتب التراجم والسير أيضا إلى استفادته من بديع الزمان الهمذاني، الذي تعرف عليه بعد عودته من بخارى، كما التقى صاحبنا في نيسابور أبا سهل أحمد بن الحسن الحمدوني.

وقد برز الثعالبي في مجال التأليف، وفي ذلك يقول الدكتور أسامة محمد البحيري محقق الكتاب: «عاش الثعالبي ما يقرب من ثمانين سنة، قضى معظمها في الدرس والتحصيل والترحال والتأليف، ورزق بسطة في تصنيف الكتب، حتى تجاوز عددها مئة كتاب في العلوم اللغوية والأدبية والتاريخية والمعارف العامة، وقد تميزت كتبه بصغر الحجم، ووضوح الأسلوب، وسهولة التراكيب، والبعد عن الغموض والتعقيد، والتخصص»، ولهذه الأسباب ذاعت وانتشرت في جميع الأقطار بين العامة والخاصة على السواء، حتى إنه يقرن دائما بالجاحظ في الشهرة والذيوع وكثرة التأليف.

● محمد فؤاد علي

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

info@alwaei.com

# المالديف وتعليم اللغة العربية

شعب جمهورية المالديف كله من المسلمين.. ومع دخول الإسلام إلى المالديف تأثرت اللغة المالديفية باللغة العربية.. فأصبحت تشبه العربية إلى حد كبير.

وبرزت أهمية تعريب الشعب المسلم في المالديف بعد الاستقلال عام ١٩٦٥ ميلادية.. وقبل إدخال التعليم الحديث.. كان التعليم يتميز بالطابع التقليدي في التلقين المباشر أي التحفيظ.. وقد تركز ذلك في التعليم الديني.

وقد تم إنشاء معهد الدراسات الإسلامية، ليكون نواة للدراسات الإسلامية والعربية في المالديف.. وكان ذلك في غرة المحرم عام ١٤٠١هجرية.. ومن أهدافه تعليم اللغة العربية، ونشرها بين أفراد الشعب المالديفي المسلم.. وإعداد الطلبة الذين سيوفدون للدراسة في الدول العربية.. وتخريج مدرسي التربية الإسلامية واللغة العربية، وتعليم القرآن الكريم، تلاوة وحفظا.

إن المالديف.. ماضية في نشر اللغة العربية – لغة القرآن الكريم – وتعريب مناهجها الدراسية.. ويساعد على تنفيذ هذه الخطة التعريبية عدة مدرسين من الأقطار العربية.

● من كتابات الأستاذ محمود حسن

# وداع صديق

نطق اليراع وفاض بحر شجونه
وتدفقت من حزنه الأنهار
الشيخ راح، وختمت أوراقه
وتكدرت بذهابه الأخبار
فخر العدالة والنزاهة والتقى
وتواضع عرفت به الأخيار
ماذا يقول المنصفون لمدحه
هيهات تحصي فضله الأشعار
يا «ناصر» الأخلاق فارق نبلكم
من يا أخي من بعدكم نختار؟!
الباب أغلق، والمواعد أبعدت
واليسر أضحى بعدكم إعسارا
«دار الحبيب» بكى لفرط حنينه
فبكى لفرط بكائه الزوار
ما للبشاشة غاب نجم ربيعها
لم يبق من أنهارها آثار؟!
ما للسماحة جف نبع عطائها
لم يبق من أربابها ديار؟!
بعض الأنام يعز فينا مثلهم
والبعض في أرقامنا أصفار

● عبدالعزيز بن صالح العسكر

# الشهيد أسد بن الفرات

هو أحد رجالنا وأبطال أمتنا، لم يعش في عهد النبوة، ولا في عصر الخلفاء الراشدين، ولا في عصر الصحابة رضوان الله تعالى عنهم أجمعين، بل سطع نجمه في مجتمعه بعد عصر النبوة، بنحو مئة وخمسين عاما، وكان موضع تألقه بعيدا عن منزل الوحي ومهبط الرسالة، كان هناك في شمال إفريقية، ومع ذلك بقي نور الإيمان مشرقا في صدره وقلبه، مرشدا له على طريق دربه، ولم يصده تأخر الزمان ولا بعد المكان عن الإسهام الرائع في بناء مجتمعه، على أسس من الدين واليقين، والعلم والفقه، والإعداد والاستعداد، والربط بين كتاب الدرس، وجهاد النفس وسلاح الميدان.

إنه العالم العامل والإمام الفقيه، والقاضي القائد: أبوعبدالله أسد بن الفرات بن سنان، كان مولده بحران، سنة ثنتين وأربعين ومئة، وانتقل وهو طفل صغير مع أبيه إلى مدينة «القيروان» في شمال أفريقية، ثم انتقل إلى مدينة «تونس»، وحفظ القرآن الكريم.

بعدها بسنوات ذاع صيت أسد في الفقه، ونشر كتاب «الأسدية» بين الناس، ويعد من أهم المراجع الأساسية في فقه المالكية، واختير لتولي القضاء في إفريقية سنة ثلاث ومائتين، فجعل القرآن والسنة عهدته في الأحكام بين الناس.

● أحمد الشرباصي

# شكر وعرفان

صاحب الفضيلة مدير التحرير الموقر
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
نرجو لسعادتكم موفور الصحة وهناء البال، وبعد:
فنتلقى ببالغ التقدير مجلتكم الغراء «الوعي الإسلامي» باستمرار.
ونقدر جهودكم التي تبذلونها في نشر العلم والثقافة الإسلامية، ونشكركم على إرسالها للمكتبة المركزية بجامعة الفلاح في الهند التي يستفيد منها نحو خمسة آلاف طالب وطالبة ومئات الأساتذة والباحثين. فالرجاء من سعادتكم التكرم بالاستمرارية في إرسالها ونحن نشكر جهودكم المتواصلة ومساعيكم الجبارة، وندعو الله لكم بالتقدم والتوفيق لخدمة الإسلام والمسلمين، ونشر الثقافة الإسلامية في أنحاء العالم. وتقبلوا منا أزكى التحيات والله يحفظكم ويرعاكم.
والسلام عليكم ورحمة الله

**عرفان أحمد الفلاحي**

# جسر ثقافي

تحية ملؤها الحب والتقدير والاحترام، أرسلها لكم عبر أثير المودة، راجيا من المولى «عز وجل» أن تكونوا بوافر الصحة والخير والسعادة.
مع اعتزازي بكم دائما..الكادر المتألق في «الوعي الإسلامي» الغراء، الجسر الثقافي والفكري والأدبي الرحب الذي يجمع المفكرين والأدباء والمثقفين شرقا وغربا، والمنبر الذي أتشرف بالانتماء إليه.
تمنياتي لكم بدوام النجاح، والمزيد من الإبداع والتألق والازدهار..
دمتم بحفظ الله ورعايته.

**عبدالمجيد إبراهيم قاسم**

# الزهرة الذبيحة

هي طفلة سورية ما بلغت العاشرة، شردتها عصبة الشر وأبادت أخواتها، وأجبرتها وبقية أهلها على الفرار، فنزحت عن مسجدها ومنزلها ومدرستها، وهامت على وجهها تطلب الرحمة لنفسها ولذويها، وتطلب القصاص العادل من ذئب البرية.

**أبصرتها في زيها والدمع يشرح حالها**
**وقد استبد بها العناء مخدرا أوصالها**
**وتحطمت منها القوى سهم المجاعة طالها**
**هي زهرة لعب الزمان بحسنها ودلالها**
**ذبلت برغم ربيعها حتى غدت يرثى لها**
**لاذت بحضن شجيرة والدمع يغرق شالها**
**حزنت عليها نجمة لما رأت ما هالها**
**راحت تسبح ربنا ثم انثنت تدعو لها**
**ساحت دموع صغيرتي لما بكيت لحالها**
**وسألتها عما بها فتحدثت أسمالها**

● رفعت بروبي

## النجاح الكامل

المحترم رئيس تحرير مجلة «الوعي الإسلامي»

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تحياتنا الطيبة المباركة، وبعد: أتقدم إليكم بالشكر الجزيل على تزويدكم مجلتكم الغراء لمجلس الدراسات والبحوث الإسلامية في كيرالا- الهند، كهدية منكم إلى الأقلية المسلمة في الهند. ونحن مسؤولي المجلس وأعضاءها والمنتسبين إليه من العلماء والمثقفين وأساتذة جامعة روضة العلوم وطلابها الباحثين كلهم يستفيدون من المجلة، ويستخدمونها للمطالعة والدراسة العميقة، وإعداد المقالات والبحوث، وتصنيف الكتب، لأن كل مقالة تنشر فيها ذات قيمة علمية، توازي كتابا جامعا، صنف في الموضوع. وتمتاز المجلة عن غيرها من الصحف بعرضها أفكار العلماء المجتهدين، وتناولها القضايا الحساسة الدينية التي تهم المسلمين في العصر الحاضر. ويسرنا أن نشعركم بأننا نبذل أقصى جهودنا لتكون فائدة المجلة عامة، غير قاصرة على من يتقن اللغة العربية. فنحن نترجم بعض مقالاتها القيمة المختارة إلى لغتنا المحلية، وننشرها في مجلاتنا الإسلامية المنشورة في مالايالم - لغة كيرالا.

هذا، ونقدر جهودكم العظيمة في نشر هذه المجلة التي تتسم بمستوى عال في المضمون. فالقارئ يتذوق من مائدتها بأنواع من مواد العلم والأدب والثقافة والتاريخ. وندعو الله سبحانه وتعالى أن يوفق لها السير إلى الأمام بخطى راسخة والنجاح الكامل في رسالتها النبيلة. تقبلوا منا فائق الشكر والامتنان.

**محمد كوتاشيري**

**الأمين العام لمجلس الدراسات والبحوث الإسلامية**

**كلية الفاروق - كيرالا- الهند**

# ردع المجرم في الشريعة الإسلامية

حفظت شريعة الإسلام للإنسان تلك الضروريات الخمس، أو ما يعرف بالكليات الخمس، وهي الدين والعقل والعرض والنفس والمال، والمتدبر لأحكام تلك الشريعة يتبين له ذلك الأمر بجلاء ووضوح، فقد شرع الإسلام أركان الإسلام الخمسة كشعائر تعبدية لديننا الإسلامي الحنيف، كذلك شرع أركان الإيمان الستة، وغير ذلك من الأحكام التي تحافظ على دين المسلم واعتقاده، وفي مجال حفظ النفس شرع الزواج من أجل الحفاظ على نسل الإنسان وتكاثره، كذلك من اعتدى على هذه النفس بأي صورة، وجب تطبيق الحد عليه قصاصا، وحرم الإسلام تعاطي الخمور وكل مسكر، حفاظا على هذا العقل، ولأجل الحفاظ على المال، حرم الإسلام الغش والاحتكار والسرقة، وكل معاملة فيها غرر وتدليس، أما العرض فصانه الإسلام من مجرد الكلام عليه بغير دليل، فشرع حد القذف على من نال من الأعراض، وجعل بعض الظن إثما.

ونفس الإنسان التي بين جنبيه تحدثه بالخير مرة، وبالشر مرات ومرات، والعاقل من ألجم تلك النفس، فقادها وألزمها الصراط المستقيم، لأجل ذلك لابد وأن يكون لتلك النفس رادع، هذا الرادع إما أن يكون ذاتيا، أي من داخلها، وهذا لمن وفقه الله لكبح جماح تلك النفس، وإما أن يكون رادعا من العقوبة، بحيث ترى تلك النفس ما ينزل بغيرها من العقوبة عند ارتكاب جريمة، فتفكر ألف مرة إذا أقدمت على ارتكاب منكر، أو إلحاق الأذى بالغير.

ولا يظن إنسان أن تعاملات الإسلام مبنية على العفو وحده، أو التسامح وحده، بل إن العفو يسير موازيا للقصاص، والتسامح يسير موازيا للعقوبة، والله تعالى قرر ذلك عن نفسه سبحانه وتعالى فقال: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ (الحجر: ٤٩-٥٠)،

وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾ (الرعد: ٦)، وقد قيل في الحكمة: «من أمن العقوبة أساء الأدب»، فالردع مطلوب لتلك النفس، حتى تكف عن الجرائم والآثام.

● **كمال خليل**

# حرية التعبير

قال أحد المفكرين: «إن الأمة التي لا يملك أفرادها حرية التعبير عار عليها حرية الأمم الأخرى». كل ما في هذه الطبيعة ثمين وجميل وعظيم، ولكن أثمنه وأشرفه وأعظمه هو الإنسان.

وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا».

وتنادت جمعيات ومؤسسات في مختلف أنحاء العالم، تؤكد على حقوق الإنسان، ورعايتها، والدفاع عنها إذا تعرضت لظلم أو جور أو خدش حياء. وليست الحرية مشاعا، أو كلمة مطلقة من دون ضوابط أخلاقية ووجدانية واجتماعية، فالحرية لا تعني على الإطلاق إهانة معتقدات الآخرين، وجرح المشاعر، وإيذاء النفوس، والتهكم والسخرية والانتقاص. فالمشكلة ليست في الدين، وإنما في نفوس البشر، فالإرهاب لا هوية له، وما من إنسان عاقل ناضج واع يستسيغ الظلم والجور والتعسف.

إن ما حدث في أوروبا وصمة عار في جبين السياسات الأوروبية المتعاقبة، فهي تقول ما لا تفعل، وتضرب بحقوق الإنسان عرض الحائط، وتبرر لمواطنيها ما يقدمون عليه من إساءات وانتهاكات، وإن الذين يسيئون إلى الرسول ﷺ لا يملكون قيما روحية، ولا يعترفون بحقوق الآخرين ومعتقداتهم.

أخط هذه السطور وأنا أشعر باعتزاز وفخر كبيرين بانتمائي إلى الأمة العربية، وإحاطتي المتواضعة بتراثها، حيث رضعت حليب العروبة والإسلام، وكتبت عشرات القصائد في مدح الرسول ﷺ وبالتراث التليد، فالأديان جميعها تنبذ العنف وتدعو إلى المحبة والتسامح والغفران، ويتجسد مثل هذا الحب الكبير بقول الرسول ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

كما تجلت الرحمة بكل ما تعنيه من صفاء ونقاء وود في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ (الأنبياء:١٠٧).

إن هذه المعاني السالفة الذكر تمثل معاني الحرية الحقّة، وليست الحرية التي لا ترتبط بالضوابط الأخلاقية والروحية، ولكل أمة عاداتها وتقاليدها وأعرافها، ويجب أن يتم الاعتراف المتبادل بهذه القيم والافتخار بها لأنها تمثل قيم الشعوب في كل أمم الأرض.

وهكذا، إن حرية التعبير لا تعني المساس بشرائع الآخرين، وإنما الإجلال والإكبار والاحترام لمعنى هذه الكلمة السامية، وما توحي إليه من صدق العاطفة واحترام الطرف الآخر من أجل تقدم البشرية نحو رؤية إيجابية تحقق الخير لكل بقاع الأرض، ضمن حرية إيجابية شامخة المآثر والشمائل وليس إقصاء الآخر.

جاك صبري شماس
كاتب سوري